أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Wael AL-Islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٣٨) جمادى الآخرة ١٤٣١هـ - مايو - يونيو ٢٠١٠م

أحمد المعصراوي شيخ عموم المقارئ المصرية: لا أدعو إلى تعلّم المقامات لقراءة القرآن

مجلة «حراء» التركية العربية في ضيافة الكويت

من يتحدث باسم الإسلام؟

من إصدارات

الوعي الإسلامي

الإصدار الثالث عشر

(كتاب رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام)

للإمام تاج الدين الفاكهاني المالكي (٦٥٤ - ٧٣١ هـ).

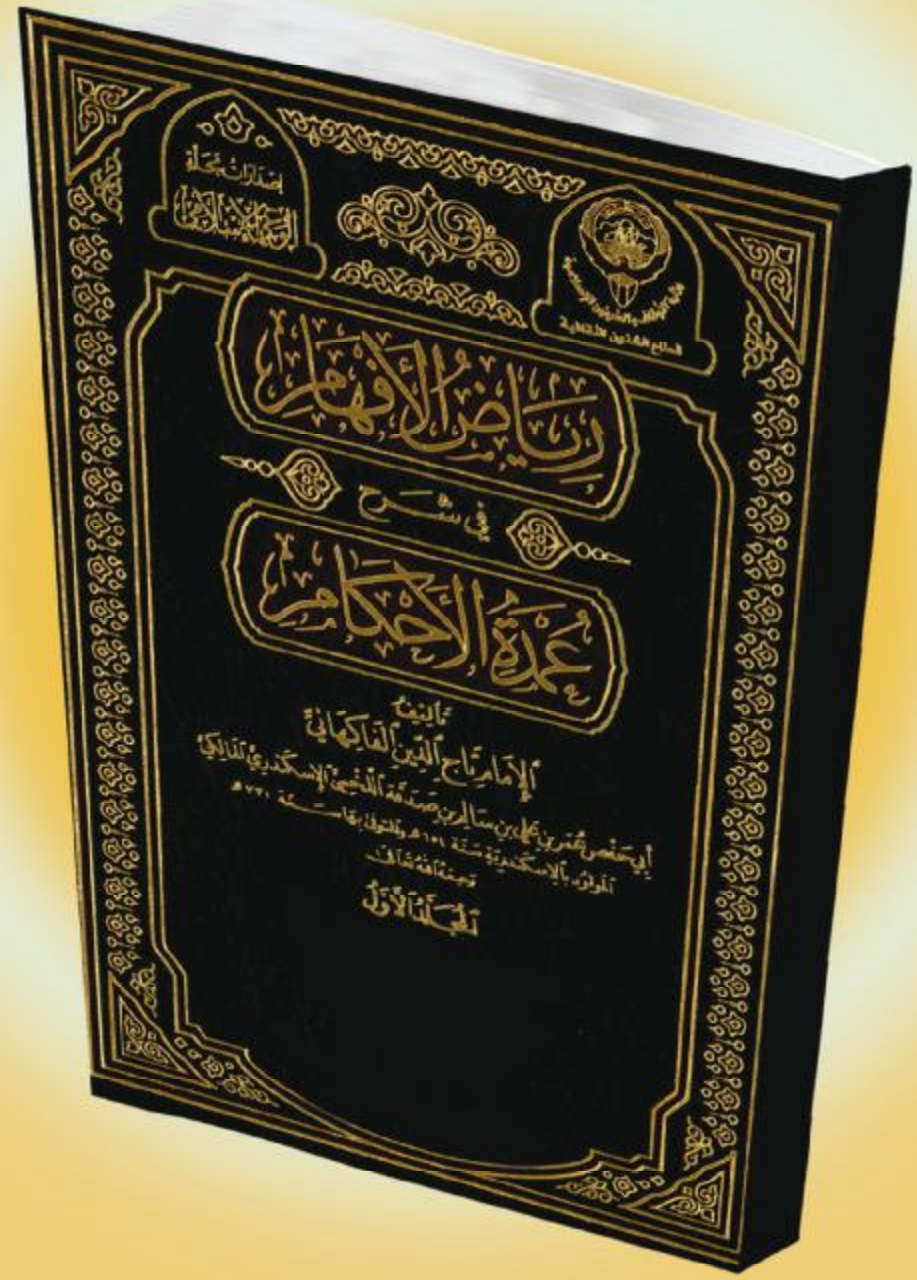

الافتتاحية

التنمية في الإسلام

كما هو شأن الإسلام دائمًا، كان السّباقُ في جميع الميادين ميزتَه من بين الأديان والأفكار كلّها، ومن ذلك سبقه المتفرِّد في معالجة قضايا التنمية وإشكالاتها المتعدّدة، وإذا لم تكن فكرة التنمية موجودةً في مصدري الوحي كمصطلح وقانون، فإن روحها وحقيقتها متقرّرةٌ فيهما بألفاظ متنوعة ومتعدّدة، ومنها مثلا مصطلحات «التعمير» و«العمارة» و«الحياة الطيبة» و«التثمير».

ومَن تأمّل علم السياسة الشرعيّة والاقتصاد الإسلاميّ عَرَف بجمْعه بين النصوص ونَظَره الفاحص فيها أنّ «مصطلح التنمية» يقترب كثيرًا من مصطلح «العمران» الذي هو العمل بشرع الله تعالى لتحقيق الكفاية والكفاءة على جميع المستويات للوصول إلى أكمل النِّعم المباحة من الطيّبات، وذلك هو المعنى الصحيح لقول الله جلّ شأنه: ﴿هو الذي أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (هود:٦١)، فممّا جاء في تفسير ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: «أي استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنِّعم الظاهرة والباطنة، ومكّنكم في الأرض، تبنون وتغرسون وتزرعون، وتحرثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها، وتستغلّون مصالحها، فكما أنّه لا شريك له في جميع ذلك، فلا تشركوا به في عبادته».

إنّ المنظور الشرعيّ للتنمية منظور شاملٌ يتناول مظاهر الحياة جميعًا، ماديَّها ورُوحيَّها؛ إضافةً إلى محوريّة اهتمامه ببناء الفرد والمجتمع والدّولة كأساس للعمليّة التنمويّة، وإنما تَعَلّق هذا الاهتمام البالغ بالإنسان في التنمية لكوْنه العاقلَ الوحيد في هذه المعمورة القادرَ على إحداث التّغيير، ومتابعة التطوير الإنمائيّ النافع، وذلك لاختصاصه بتشريف إلهيٍّ خالص لمباشرة هذه العملية البنّاءة الرّائدة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:٣٠).

وفي هذا السبيل الأرشد نبذ الإسلام معاول الكسل والاتكالية والفُرْجة الفارغة التي تلد التخلّف والفقر الماديّ والفكريّ اللّذَيْن هما رُكْنَا الإعاقة المُهْلكة لأيّ عمليّة تنمويّة مرغوبة، فرديّة كانت أو عامّة.

إنّ الإسلام أوجب على الناس جميعا عمليّة التّنمية، وجعلها مستمرّة إلى يوم القيامة، ومصداق ذلك من التوجيه النبويّ قوله ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليفعل»، وجعل الله تعالى لمن يعمل على تشييد التنمية وتنصيبها في أرض الواقع حوافزَ عاجلة وأخرى آجلة، قال تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ (الكهف: ٣٠)، وقد أخرج مالك- رحمه الله- في الموطّأ من حديث هشام بن عروة عن أبيه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ»، وهذا الهدي النبويّ الكريم فيه إشارةٌ إلى أنّ على الإنسان أنْ يعمل ويصنع ويبادر، ولا ينتظر المفاجآت الكونيّة والكرامات الإلهية، بل ولا النموَّ الطبيعيّ للأشياء، فإنّ الله تعالى أرشد إلى أنّ النفس البشرية هي مبدأ التغيير وأُسُّهُ: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد:١١).

وحتى يجْمُل البناء التنمويّ في الدنيا العامرة جعله الإسلام مرتبطًا بالقيم العالية والأخلاق الحميدة والمُثُل السّامية من مساواة وعدل وعدم إسراف وصيانة عن التبذّل والفحش الماديّ والمعنويّ،والاستقراء الواسع لكليات الشّرع وقواعده العامّة دلّ على أنّ الدّين له علاقةٌ وثيقةٌ بظاهرة العَمارة والتنمية، بحيث كلّما زاد التّديّن زاد الاهتمام بظاهرة الإنماء، ولذلك تقرّر بين أرباب علم المقاصد أنّه حيثما وُجدت المصلحة المعتبرة فثَمّ شرع الله الحكيم.

التحرير

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٣٨

العام السابع والأربعون

جمادى الآخرة ١٤٣١ هـ

مايو - يونيو ٢٠١٠ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

إنسان الفكر والحركية 8

حوار مع الشيخ المعصراوي 12

العالم الإسلامي ومعضلة التنمية 18

الأزمة المالية الاقتصادية 32

الجامع العمري الكبير في لبنان 48

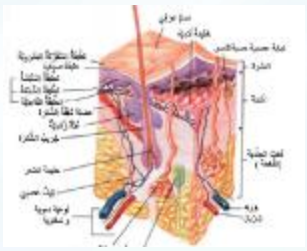

الكشف المبكر عن سرطان الجلد 86

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف

إقامة الملتقيات والندوات والحلقات النقاشية نهج تعمل المجلة على تأصيله وترسيخه وصولاً الى فكر وسطي يلبي متطلبات الواقع والمستقبل.. ومن هنا جاء انعقاد الملتقى الكويتي - التركي حول مجلة «حراء» التركية.

داخل العدد

الملتقى الإعلامي الكويتي - التركي	٦
مناخ ثقافي لإحياء الوحدة الإسلامية	
الإعلام الثقافي العربي	٢٦
وتنمية العمل الخيري	
قراءة القرآن بالمقامات	٣٦
علم مختلف الحديث	٤٠
دعوا المراهق يفكر	٦٠
الإسلام.. الماضي والحاضر والمستقبل	٨٨

كلمة العدد

بركان أيسلندا وعملية التنمية

قراءنا الأعزاء:

بركان أيسلندا الذي هز أوروبا بشكل خاص والعالم قاطبة بشكل عام ترك آثارًا سلبية على عملية التنمية في كثير من المجالات، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد قال الاتحاد الدولي للنقل الجوي (أياتا): إن التعطل الناجم عن انبعاث التيار البركاني يكلف شركات الطيران اكثر من 200 مليون دولار يوميًا، وإذا ما أضفنا إلى هذه الخسائر المالية الكبيرة الخسائر الناتجة عن تعطل ملايين المسافرين عن أعمالهم، والتعويضات المالية التي سيطالبون بها أدركنا حجم الكارثة البيئية وأثرها في عملية التنمية.

لقد حاولنا من خلال هذا العدد استعراض العملية التنموية والتحديات التي تواجهها، خاصة في عالمنا العربي والإسلامي، والمنهج القرآني في معالجتها، حيث جاء التوجيه التنموي في القرآن ملائمًا لطبيعة الإنسان وتطلعاته المستقبلية، كما قدمنا كذلك قراءة دينية للكوارث البيئية التي ألمت بالأمم السابقة كعقاب إلهي نتيجة الطغيان والفساد والبعد عن منهج الله كما وضح ذلك القرآن الكريم.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلس
- السعودية : ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الإمارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : دينار واحد
- مصر : ٢ جنيه
- السودان : ٥٠٠ جنيه
- موريتانيا : ٢٠٠ أوقية
- تونس : ٢ دينار
- الجزائر : ١٠ دنانير
- اليمن : ٧٠ ريالا
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سورية : ٣٠ ليرة
- المغرب : ١٠دراهم
- ليبيا : دينار واحد
- اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله
- اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

نظمته مجلة «الوعي الإسلامي» حول مجلة «حراء» التركية

الملتقى الإعلامي الكويتي - التركي مناخ ثقافي لإحياء الوحدة الإسلامية

التحرير

أكد وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد للشؤون الثقافية إبراهيم أحمد الصالح حرص قطاع الثقافة بالوزارة على أهمية الشراكة الثقافية مع جميع الفعاليات الثقافية الأخرى، سواء من داخل الكويت أو خارجها، وسواء كان ذلك مع الهيئات الرسمية أو الجمعيات الأهلية المشهود لها بالعمل الجاد البناء.

الوكيل الصالح يكرم القنصل التركي

وقال الصالح خلال الملتقى الكويتي- التركي الذي نظمته مجلة «الوعي الإسلامي» واستضافت من خلاله القائمين على مجلة حراء العربية- التركية، إن الإعلام بوسائله وتقنياته المتعددة يمثل ثقافة مستقلة بحد ذاته، مشيرا إلى أنه إنتاج ثقافي يتطور مع تطور المعرفة من أجل الوصول إلى كيفية أرقى وأجمل في التواصل والتعاون، لافتا إلى ضرورة مواكبة هذا التطور من خلال إقامة مثل هذه الملتقيات النافعة ثقافيا وإعلاميا، «وكان اختيارنا لمجلة حراء العربية التركية، لما لها من سمعة طيبة في كثير من البلدان العربية، وتواصلا منا مع الإرث الثقافي التركي، لذلك أخذنا على عاتقنا مسؤولية نشر الثقافة العربية والإسلامية الدعوية النافعة من خلال مجلتنا الوعي الإسلامي، وبالتعاون مع الواجهات والمنابر الإعلامية كافة، بما يحقق لنا الوصول إلى صناعة مناخ ثقافي إسلامي معتدل، وتحقيقا لشعارنا نحو الثقافة المتميزة».

وأوضح أن هذا اللقاء الثقافي المبارك دليل على مدى اهتمامنا بدفع عجلة التنمية الثقافية إلى الأمام، وتحقيق الريادة في ذلك، وأن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ممثلة في مجلة الوعي الإسلامي تهدف في اللقاء مع مجلة حراء التركية العربية إلى خدمة وإثراء الجانب الثقافي، وتبادل الخبرات العلمية والفنية بين المجلتين الرائدتين، وذلك من خلال تنمية ثقافة علمية ملتزمة.

وبين أن هذا اللقاء يهدف إلى بناء مقومات شخصية المثقف الواعي، فكريا وثقافيا، انطلاقا من مضمار المعلومة الشرعية والثقافية، التي تقدمها لنا مجلتا الوعي الإسلامي وحراء، فهي ثقافة راشدة تتسلح بالعلم والإيمان والقيم والمبادئ، وتبرز ثقل الدور الريادي المأمول للمثقف عموما، والمثقف الكويتي والتركي على وجه الخصوص، مؤكدا أن من أبرز أهداف هذا الملتقى محاولة التبادل الثقافي والإعلامي بين مجلة الوعي الإسلامي ومجلة حراء العربية التركية، والمجلات الأخرى والصحافة المعنية، هذا التبادل الذي من شأنه أن يرجع بالمنفعة العلمية على المجلتين، بما يتضمن استقطاب المفكرين والكتاب للتعاون مع مجلة حراء.

بدوره قال رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» فيصل العلي: من خلال الزيارة الثقافية التي قمنا بها لمقر مجلة حراء في تركيا، تبين لنا ما تحظى به هذه المجلة من حضور ثقافي وإعلامي متميز، إضافة إلى تأثيرها الواسع في توجيه المثقفين وإصلاح المجتمع، فهي عربية اللغة وإن كانت تركية التأسيس، يشعر قارئها أن القائمين عليها أحبوا العربية وعشقوها، ولذلك فهم يحرصون على أن تكون مواد المجلة راقية اللغة، رصينة السبك والمبنى، قيمة الموضوع والمعنى.

وقال العلي إن مجلة حراء أنموذج حي على أن العربية كلسان وثقافة ليست حكرا على العرب، بل إن غيرهم ممن لهم تاريخ عريق في خدمة الإسلام والمسلمين كالأتراك مثلا قد يكونون مثلهم أو أشد منهم حبا للعربية وفنونها، وفي هذا دلالة واضحة على أن الإسلام كرسالة أعمق وأوسع من أن يختصر في شعب أو لغة، وإنما هو دين جاء لحياة الناس جميعا.

وأشار إلى اهتمام مجلة حراء بموضوعات فكرية حساسة غاية في الجدة وعمق الطرح، ومما أعانها على ذلك كوكبة العلماء المتمرسين في الكتابة بأسلوب عال مكين، إذ تمكنت بفضل علاقاتها وسياساتها

جانب من الضيوف في الملتقى

رئيس التحرير مع الوفد التركي

التحريرية من إقناعهم بأن يصطفوا للكتابة عبر صفحاتها، وهم في الحقيقة مبدعون بأتم ما تعنيه الكلمة من معنى، وقد أخذت حراء على نفسها شرطا أن يكونوا طيفا متعدد المشارب والألوان، ومن بلدان عربية وإسلامية متنوعة، ومن مدارس دعوية وفقهية مختلفة، على أن القناعات في نهاية الأمر تلتقي على خدمة الأمة وبعثها من جديد.

وأضاف أن «المتابع لما تعنى به مجلة حراء يرى من سلطانها على القلوب ما يجعله يحيا في ملكوت روحاني منسجم مع التوجيهات القرآنية والنبوية التي يذكرها ويركز عليها المفكر العملاق فتح الله كولن وغيره من كتاب المجلة وعلمائها، وهي لهذا تنتشر بسرعة واسعة في أوساط ثقافية متكاثرة، بسبب ما تشعر به كثير من هذه التجمعات الثقافية بفراغ روحي وتربوي، يلح عليها بالتوجه الأكيد نحو القراءات التربوية النافعة التي تحيي من موات القلوب ما كادت النفوس تيأس من حياته».

ولفت إلى أن أهم ما يميز هذه المجلة الصاعدة الواعدة أنها انتهجت وسطية معتدلة في الطرح والكتابة، ما جعل لها مصداقية شعبية ورسمية أهلتها لأن تمارس دورها الثقافي بحرية ونشاط منقطع النظير، ومن تتبع حركتها عرف صدق ما نقول، فزيارات القائمين عليها في المشرق والمغرب ودول الشام، وزيارتهم الميمونة لبلدهم الثاني الكويت، دليل على هذا النشاط وتلك الحيوية التي جعلت منها زائرا مرغوبا فيه في كثير من الأقطار العربية والإسلامية.

وخلص إلى «أننا لنتطلع إلى شراكة ثقافية بين مجلة الوعي الإسلامي العريقة وبين مجلة حراء الواعدة، بما يكفل استفادة الطرفين من بعضهما، كل حسب خبرته وطاقته، بما يرجع على البلدين الكويت وتركيا بمصلحتيهما الوطنية والأدبية، وبما يحقق للأمة النفع العام».

من جهته أكد ممثل الوفد التركي مصطفى أوزجان أن انطلاقة مجلة حراء التي بدأت قبل ٥ سنوات جاءت لتواكب مرحلة تاريخية مهمة، لاسيما في ظل التقارب السياسي بين تركيا والعالم العربي، مشيرا إلى أن إصدار هذه المنشورة يعد رافدا لهذا الانفتاح المتبادل، ومؤكدا أن ما مر به العالم في القرنين الماضيين من انحدار في المستوى الروحي والأخلاقي وطغيان الجانب المادي وسيطرته على الأيديولوجيات البشرية ساهم، إضافة إلى الرهبانية التي أشاعتها المسيحية في القرون الوسطى، في تردي الأحوال الإنسانية للمجتمعات، ولافتا إلى الفرصة التي يعيشها العالم الإسلامي لإفادة البشرية في الاقتصاد والعلوم والثقافة والاجتماع.

وأشار إلى أن مختلف الأيديولوجيات أفلست كونها متناقضة مع طبيعة الانسان، كما انها لا تستطيع ان تلبي مطالبه، ولأنها ليست عالمية، وهي مثالية غير قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان، بينما انتشر الدين الاسلامي وتسيد الدنيا لانه يحترم الانسان كونه انسانا، بل ويسعى للإنسان أيا كان بقيم رفيعة، مؤكدا انه يحتوي على جميع انواع العلاج الا اننا مطالبون باستخراجها.

أما رئيس تحرير مجلة «حراء» الدكتور نوزاد صواش فبين أن الدين الإسلامي انطلق وتجدد من غار حراء، ولذا جاءت تسمية المجلة بهذا الاسم، وهو تعبير رمزي يزيد انتماءنا الإسلامي الذي ربطنا بالعالم العربي بمشرقه ومغربه، مشيرا إلى أن الأمة الإسلامية وجدت وبعثت تقرأ، مشيرا إلى أن مجلة حراء جاءت لتثري هذا النهج وتقرأ الإنسان عقلا وروحا.

من جانب آخر قال الدكتور وائل الحساوي في كلمة عن المشاركين إن زيارة الوفد التركي تمثل رابطا قويا وفتحا للآمال لوجود علاقات بين أبناء العالم الاسلامي، والذين يجتمعون على كتاب واحد هو القرآن الكريم.

وأكد أن التواصل الإعلامي بين تركيا والعالم العربي هو ما نحتاج إليه في هذا العصر، خصوصا أننا نرى انتشار الإعلام الغربي بفضل حيازته للتقنيات العالية، الأمر الذي يجعلنا مطالبين بمضاعفة الجهود للوصول إلى التكامل الإعلامي والربط بين المنشورات ذات التوجهات الإسلامية.

وتحدث الدكتور محمد حسان الطيان قائلا إن «مجلة حراء تمثل بكتابها مبعث أمل لإحياء الوحدة الاسلامية، خصوصا أنها فتحت المجال أمام كبار الكتاب العرب والمسلمين».

إنسان الفكر والحركية

سعيد النورسي أنموذجًا

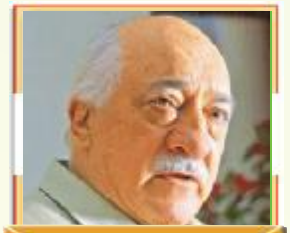

فتح الله كولن

انسان الفكر والحركية هو رجل الانطلاقة والحملة، الحركي المخطط الذي يقوم ويقعد على خفقان شد العالم بالنظام مجددًا، ويمثل حركة اقامة صرح الروح والمعنى من جديد بعدما آل الى السقوط منذ عصور، ويُفسر قيمنا التاريخية كرة أخرى، ويستخدم بمهارة مكوك الارادة والمنطق في الفكر والحركة، وينقش على قماش روحنا ومعنانا زخارف مستظرفة وجديرة تناسبنا، فهو في خط الحياة الممتد على مدى فصولها من الحس الى الفكر، ثم الى الحياة العملية، يتنفس النظام دومًا، وينشغل بحس البناء والانشاء أبدًا. انه وليّ الحق اللدني الذي يُعدّ «قادة أركان» الروح ومهندسي العقل وعمال الفكر، بدلًا عن استخدام القوة المادية لفتح البلاد ودحر الجيوش، وينفخ بلا كلل نَفَس البناء والاعمار فيمن حوله، ويرشد أعوانه الى سبل عمران الخرائب. وليٌّ للحق جياش بالشوق والشكر، استطاع أن يحول فقره الى الغنى، وعجزه الى القدرة عينها، انه لا يقهر أبدًا مادام يستخدم مصادر قوته هذه كما ينبغي وبحس الاخلاص والوفاء لصاحبها، وحتى حين الظن بأنه قد هُزم، فستجده على رأس فوج آخر للنصر والظفر.

قد تجد انسان الفكر والحركية ابنًا بارًا للوطن، أو انسانًا حركيا ذا بُعد فكري، أو رجلًا متفانيا في العلم، أو فنانًا مبدعًا داهية، أو رجل دولة، أو رجلًا يجمع كل هؤلاء فيه، وفي العصر الأخير ظهر كثير من رجال الفكر والحركية يمثلون قسمًا من هذه الصفات، فمنهم من سبق فكره عمله الحركي، ومنهم من تبارى فكره مع عمله الحركي، ومنهم رجال حركة فكرهم مكنون ومخزون منهم، بديع الزمان سعيد النورسي.. عَلَمٌ ينبغي التفكير فيه باعتناء وتعريفه للانسانية بأبحاث مستفيضة، فهو رجل العصر الأول الذي أبرز ايمان العالم الاسلامي ومعنوياته وعمقه الوجداني الفسيح، وبصورة صافية ومؤثرة، ولا نحسب أن مقتربات الملاحظات العاطفية لفهم شخصيته وأفكاره مقتربات سليمة لمعرفته ومعرفة تراثه وآثاره، فالعواطف لا تتآلف مع جدية المسائل العالية الزخم التي أظهرها وأبانها بشجاعة عظيمة في كل زمان وآن، فقد عاش حياته كلها انسان محاكمة منطقية وعقلية، في ظل الكتاب والسنة، وبموازين التجربة والمنطق، في حال العشق والحماس العميق.

لقد دبجت الأقلام كتبًا، وأطلقت الألسن خطابات كثيرة عن حقيقة الفكر العالي لبديع الزمان النورسي، وسعته الانسانية، ووفائه، واخلاصه لأخلائه، واستعفافه، وتواضعه، واستغنائه. والحقيقة أن كل خصلة من هذه الخصال التي يتصف بها ويتطرق اليها في رسائله مرارًا وتكرارًا، تستحق بذاتها كتابًا مستقلًا، ويشهد على أحواله هذه عدد كبير من أصدق الشهود الذين سعدوا بالعيش قريبًا منه، ومازالوا أحياء بين ظهرانينا كأنهم كتب شاخصة متجولة.

يبدو بديع الزمان انسانًا بسيطًا وعاديا من الناس في مظهره الخارجي لأول وهلة، لكنه يختزن شخصية راسخة قلّما تتوافر في غيره أو في كل زمن من جهة حياته الفكرية وعمله الحركي، فقد كانت تصرفات عادية بالنسبة اليه أن يحتضن الانسانية جمعاء في المسائل الحيوية للانسانية، ويمتلئ بغضًا وتقززا ونفورًا على الكفر والظلم والضلالة، ويحارب الاستبداد أنّى كان، الى درجة الاستخفاف بالحياة لهذه الغاية بوفائه ومروءته وترحيبه مستبشرًا بالموت، عاش انسان حس رحيب، ملتزمًا في رسالته ودعوته بفلك الكتاب والسنة لا يغادره، متلونا بألوان المحاكمة العقلية والمنطق، لقد اتصف في كل وقت بصفتين ظاهرتين، الأولى: صفة كونه رجل وجدان رحيب، ومثال عشق وحماس أصيل، وانسان شهامة ومروءة عظيمة. والثانية: صفة كونه مفكرًا متوازنا غاية التوازن، يتقدم على معاصريه أشواطًا في الرأي والبصيرة، وصاحب عقل سليم ينتج خططًا وبرامج شاملة. فالاقتراب الى بديع الزمان ودعوته من هذه الجهة، مقترب مهم لفهم ما يعنيه لنا في عصرنا الذي نحن فيه باعتباره امتدادًا لسلسلة عظماء الاسلام.

ومهما تغاضى بعضهم أو تناسى، فقد لقي بديع الزمان قبولًا بأنه مفكر وكاتب بزّ أقرانه المعاصرين له، وصار رائدًا وترجمانا لجمهور الناس، لكنه لم يصب بالعُجْب قطعًا، ولم يمل الى الظهور والرياء، ولم يقرب منه الكِبْر، فمن بياناته الذهبية قوله: «الشهرة عين الرياء وعسل مسموم يميت القلب». لقد دخل التاريخ واحدًا من المعالم في العالم الاسلامي، والعالم كله في الوقت الحاضر، الذين يرتقون الدرجات العليا في سلم الكُتّاب المشهورين والمقروءة كتبهم بشغف في كل وسط وزمان، والذين لم يذبل غصن جدتهم.

ان مصنفات بديع الزمان

مفكر تركي

كلها ثمرة جهد جاد ودؤوب من أجل توضيح مسائلٍ ومشكلات معروضة على الرأي والنظر في العصر الذي صنفت فيه- اذا أطللنا عليها من هذه الجهة- فمن بين سطورها ينبعث صوت الأناضول، ثم العالم الاسلامي، حينًا نشيجًا ونحيبًا، وحينا أملًا وشوقًا وطربا، ولئن كان النورسي قد ولد في قرية قصية من أصقاع شرقي البلاد، فانه أحس في نفسه بمشاعر ابن الأناضول أبدًا، وتنفس مشاعرنا وأحاسيسنا كسيد من أبناء استانبول، واحتضن الوطن جمعًا وكلًا في كل وقت وزمان، بشفقة رحيبة وخلوص شاخص وطري.

لقد أرشد بديع الزمان انساننا المترنح برجّة تصيبه بعد رجّة، الى السبل الموفية الى نبع «الخضر»، ونفخ في جموع البشر هواء «الانبعاث بعد الموت» أينما رحل وحطّ، في زمان شؤم أوقع الفكر المادي فيه حياتنا الفكرية في تشتت الهرج والمرج، وجن فيه جنون الشيوعية، وسقط العالم في أسوأ أيام الضياع والظلمات والمحن، وذلك بمصنفاته التي تفوح منها نفحات الايمان والأمل، لقد استشعر وشخص الداء الأعظم قبلنا وقبل الناس جميعًا، ألا وهو الفوضى الناشئة من الكفر والالحاد، فتصدى لها، لقد نفث في انساننا طوال حياته ضرورة التغلب على وباء العصر هذا، وكافح في سبيل ذلك كفاحًا فوق طاقة البشر.. كان بديع الزمان في أوعى حالات الادراك لواجباته الملقاة على عاتقه، عندما جابهه عالم ينشج في حمى ثقيلة الوطأة، فلما حمل حملًا أثقل من جبل

النورسي يرى مصدر المفاسد كلها في الجهل والفقر والتفرقة

«قاف» أحنى ظهره في غاية حال من التواضع والمحوية، وفي استحياء، ولكن في غاية الثقة بالقدرة المطلقة للحق تعالى وغناه اللانهائي.

فان بديع الزمان- وبأدائه كالطبيب الحاذق- ذكّرنا جميعًا بالزنزانات التي في دواخلنا وأنواع المحكوميات في أرواحنا، وجرائمنا الذاتية وتقييد ذواتنا بأنفسنا، ونفخ في قلوبنا المشتاقة الى العلويات أنفاسًا متوالية بتحريك جوانبنا الانسانية الخامدة من عالمنا الروحي وحياتنا الوجدانية، ونشر أمام الأنظار علاقاتنا الوطيدة المغزى بالأخرويات، وصب فوق رؤوسنا جميع واردات التكايا والزوايا والمدارس.. في أيام نحس سود سيق البشر فيها الى الالحاد بالاستغلال السيئ للفنون والفلسفة، وتعرضوا الى «غسيل الدماغ» بالشيوعية، وأبعد المتصدون لهذه السلبيات في البلاد نفيًا وتغريبًا، وأشيع في أرجاء البلاد أشد الخيارات المخجلة، والباعث للحيرة أن كل ذلك جرى باسم التحضر و«العصرنة»، حتى غدت «العبثية (Nihilism) «سحر العصر الساري كالنار في الهشيم.

نعم، قد صار النورسي طبيبًا حكيمًا، مفكرًا، وباحثا عن الحلول، وفاحصًا ومشخصًا، ثم واصفًا دواء هذه الأمراض، لزمن الفتن والهرج، كان الشعب فيه يعيش حمى الضعف الفكري والهموم الاجتماعية، ويُسَلّط عليه مئات الحوادث المرعبة في أنحاء الوطن كافة، ويئن تحت ركام القيم الاسلامية والملّيّة التي تهدمت فوق رأسه، فهو رجل عاش منذ البداية مشدودًا دائمًا، مفكرًا، مقدمًا الحلول البديلة للدولة والمجتمع، ساعيًا في تلقين هذا الشعب المجيد، لكن الفقير حظًا، وهذه الدولة الشامخة، لكن الآفلة طالعًا، دروس ماضيه الرحيب والغني، اذ يرى حيرة الأجيال المسكينة المضطربة قلقًا تحت المصائب والنكبات المهولة التي أعدتها السنون السود الطويلة وجهزتها لها، فتتخبط في وديان العجز والضلالة والشك، وكلما أرادت الخلاص دفنت نفسها في أوحال أزمات أعمق.. يرى حيرتها، ويستشعرها، ويصغي الى صوت ما يراه وما يستشعره.

ساح بديع الزمان في أرجاء كثيرة من البلاد منذ عهد الدولة العلية العثمانية، بمدنها الكبيرة أو قراها القاصية، وبنواحيها التي تعج بالبشر أو مناطقها القليلة أنفسًا، فرأى حيثما حل سريان الجهل في الناس وتضورهم في الفقر وحد الضرورة، ونهشهم وافناءهم لبعضهم بعضًا بأنواع التفرق، فخاف وذعر، فأراد أن يشحن تلك الجموع التعيسة بروح العلم، باعتباره مفكرًا واعيًا بأحوال العصر، والتفت الى معضلة الفقر والحاجة والاقتصاد. وبحث عن حلول التفرق وصار داعية يتنفس وحدتنا في كل زمان وبلا توان.. ولم يترك شعبنا وحيدًا لحظة واحدة في تلك الأيام العصيبة الكأداء، كان ينادي بأعلى صوته حيثما حل: «سوف تؤول أمراضنا الى أسقام مزمنة، وجراحنا الى عطب لا يبرأ، ان لم نبادر منذ الآن الى معالجة عللنا، وضماد جراحنا على أيدي حكماء حاذقين، فلا بد من تشخيص عللنا العلمية والاجتماعية والادارية، وحل عقد مشكلاتنا المادية والمعنوية كلها، حتى لا نقع في مضايقات تسحبنا كل يوم الى المهاوي الشنيعة التي تمضغ وجودنا وتهز كياننا من الأساس».

فالنورسي يرى مصدر المفاسد كلها- بالأمس كما اليوم- في الجهل والفقر والتفرق.. الجهل هو أول الأسباب لمآسينا الاجتماعية ومقدمة الدواعي الى بؤسنا السائد، فلا شبهة في أن أعظم مصائبنا- أمس واليوم- هو الجهل بالله وتناسينا للنبي ﷺ وترك روابطنا بالدين والتعامي عن محركات تأريخنا المادية والمعنوية، ولقد جعل بديع الزمان حياته وقفًا على محاربة هذه الجراثيم القاتلة، فلا جدوى- عنده- في انتظار خلاص الشعب ما لم تُنوّر جموع الناس بالعلم والعرفان، وما لم يتعود المجتمع على التفكير المنظم، وما لم توصد الأبواب بوجه تيارات الأفكار الخاطئة والمنحرفة، أليس الجهل هو الذي فك روابط الكائنات بالقرآن، وروابط القرآن بالكائنات؟ وبفك روابطهما جعل أحدهما يتيمًا في زنزانات خيال النفوس

المتعصبة، الجاهلة لأسرار الوجود والمنحبسة في الأشياء والحوادث، وجعل ثانيهما عبئًا وفوضى في أيدي الجاهلين جهلا مكعبا، الباحثين عن كل شيء في المادة، والعميين تماما عن المعنويات، ثم أليس الجهل هو الذي أبكى هذه الأرض المباركة نحيبًا في قبضة الفقر والبؤس وجعلها متسولا يستجدي خدام الأبواب القدامى، وهذه سهولها المنبتة وسهوبها الفياضة وأنهارها الكوثرية؟

ثم ألسنا بسبب الجهل والفقر نعيش بؤساء ومشردين؟ وفي شدة الديون الرهيب، محنية ظهورنا وطاوين على بطوننا، وتلك معادننا التي لا تقدر بثمن نائمة في سكينة تحت التراب، ومصادر ثرواتنا التي لا تعد ولا تحصى، تصب في خزائن غيرنا؟

هذا البلاء يعذب شعبنا منذ سنين طويلة.. فالعامل والفلاح يكد بلا كلل وينسحق رهقًا، ثم لا يجني ثمار كده وكدحه، وان جنى شيئًا فلا يجد فيه بركة، ولا يسعد به، ويتوارى شيئًا فشيئًا قهرًا وشقاء.

وبسبب الجهل والتفرق المنبعث من الجهل، يعيش العالم الذي يرتبط بنا حيثما كان، حياة من القهر والأسر والتحكم والذل وأنواع البلاء والأمراض، ويغرق في بحار الدم، وتنتهك فيه الأعراض ويداس على الشرف، ويعجز عن كبح جماح الفرقة واعطاب عجلة الفواجع والفضائح في تقلبه ذات اليمين وذات الشمال في هذا العالم المترنح في شباك فقدان الموازنات والمعايير، بل لا نجد وسيلة لخلاص العالم الاسلامي من التدحرج يوما بعد يوم الى مهاوٍ مهولة وبئيسة، ولا نتحفز بروح الوحدة، ولا نصفي حسابنا مع العصر.

ابّان تجرعنا الآلام في فخ الأوجاع القاهرة المتسلطة على شعبنا، تداعى قومٌ خَلَبَ أبصارهم بريق رقي الغرب الصوري والمادي، فتكدرت بصائرهم ودارت رؤوسهم، فجردوا جموع البشر من السجايا «المليّة» وحرموهم من حس التاريخ وسلبوهم الأخلاق والفضيلة، لهثًا وراء تقليد أعمى وشعارات خداعة، بتصرفات لا جذور لها ولا روح فيها البتة، بدلًا عن امداد أدمغتهم بالعلوم التجريبية، وقلوبهم بالحقائق الدينية، بلوغًا الى الغنى المادي والمعنوي، وعندي أن سيرهم في الطريق الأول الذي انحرفوا اليه باسم انقاذ الشعب، أوقع الضرر الأعظم وفتح في روح المجتمع جرحًا لا يندمل.

لقد واجه بديع الزمان المعالجات في كلا الحالين وتصدى للتعقيدات الاجتماعية التي خلفتها أخطاء هذه المعالجات، وشق بمبضعه أورام قرن من الزمان، وشرّح وشخص الفواجع الناجمة من احتقان قيحها، فأعاد ابن الوطن البار هذا، وكرر بلا فتور قولًا وكلامًا ثابتًا، وحمل على أدوائنا بلا كلل حملة دائمة لا تضعف، ووصف لها أدوية ناجعة، من أجل انقاذ الوطن وخلاص انساننا من السقوط والضياع، فلم يتوان عن ذلك طوال حياته من بدايتها الى وقت لقاء مولاه الجليل في «أورفة»، بصدق واخلاص قلبي، وبصوت جهوري وقول متين.

ان غرس أفكار جديدة في عقل المجتمع عمل شاق وعسير بقدر انتزاع العادات والتقاليد الموروثة من الماضي بنفعها وضرها والمفاهيم والمتلقيات الراسخة، وفي جموع البشر ميل دائم في الماضي والحاضر الى الوقوع في مؤثرات أمثال هذه التركات- سواء النافعة منها أو الضارة- فتصطبغ الحياة الفردية والاجتماعية بصبغة هذه المؤثرات، وتشمئز مما لا ينسجم مع المعتاد ولا يداعب الحس العام، فينفرون مما يخدش حسهم ويبتعدون عنه، وقد يخطئ هذا الحس أو الشعور أو القبول أحيانًا، فان كانت مثل هذه الأفكار والقناعات غير الصحيحة قد وجدت رضا وقبولًا عند الجمهور والجموع البشرية، وتمثلها المجتمع بطول المعايشة، ومدت جذورها وتنامت أغصانًا وفروعًا في منابت الحياة واستقوت، فاللازم لتقدم الشعب نحو المستقبل أن تُهدم هذه القناعات الخاطئة، وأن تُزال هذه الانحرافات الاجتماعية، وأن تُنظّف القناعات المتعفنة بتمرير الأفكار العامة ووجدان البشر من مرشحات التخلية والتحلية، من الحَسَن الى الأحسن، بمعنى التصفية من كل فاسد والتزود من كل صالح.

وهكذا كان بديع الزمان النورسي منذ أيام الشباب في مشاعره وأفكاره، فعَدّ اخفاء أدنى حقيقة في هذا الباب غدرًا بحق وطنه وانسانه، وفتح ذراعيه بطولهما حاجزا أمام الأفكار والقرارات الخاطئة المودية بالشعب الى مهاوي النكبات، ونادى بأعلى صوته صارخًا: قفوا.. هذا الطريق مقطوع! كانت فطرته متحيزة انحيازًا كاملًا ضد كل خطأ أو كل ما يناقض القيم الدينية، وكان صاحب أفق مديد وذا همة من أهل العزائم.. فغضّ الطرف عن فناء أمة عظيمة واضمحلالها، واللامبالاة بذلك، يناقض ويضاد طبائع هذا الانسان الطاوي صدره على قلب أسد، فأرشد الأمة الى محاسبة نفسها بعد تسليط الضوء على أدق وأخفى

نقاط قصورنا ومعايبنا وأسباب مصائبنا ونكباتنا، فذكرها من غير ملل بأسباب انقراضها ووصف لها سبل الخلاص، وأبان جهارًا أشد الحقائق ايلامًا من غير تلكؤ.. وحَمَل بخَيْله على القناعات الخاطئة والأفكار المتعفنة والكفر والالحاد، وكافح بلا هوادة، وطوال حياته، مقاومًا عوائق انتشار أنوار الحقيقة جميعًا.

لقد انبرى النورسي في أحلك العصور، اذ أحجم الناس عن ذكر الحقائق الدينية توجسًا وخيفة، فشحن جموع البشر باليقظة لما أرادوا لهم الغفلة، وأعلن الحرب على الجهل والفقر والتفرق، وزعزع أركان أنواع الأوهام التي جثمت على صدر المجتمع، ومارس كفاحا على طول البلاد وعرضها وليس في خط الدفاع فقط ضد الالحاد وانكار الألوهية، وكذلك خنق الباطل والخرافات في اشكالاتها المنغلقة، وأبدى دومًا جرأة مدنية سلبت الألباب اعجابًا في اشهار همومنا المزمنة وسبل معالجتها، لقد أُشْتُهر أن «آخر الدواء الكي»، فكأنه في مجالدته للرياء وحب الظهور والكبر المستفحل منذ قرن أو قرنين وسَمَهَا وكواها بالساقور، فخاطب بقول ثرّ وندي وَجَد صدى في روح كل انسان، يستوي في ذلك رجل السراي ورئيس عشيرة في شرق تركيا، والمشيخة الاسلامية وأركان العسكرية، فلما خاطبهم شدّ اليه أنظار الناس من كل صنف، ومع أن جبلّته تنفر من ذلك أشد النفور، فان طبائع شؤونه وأموره استدعت ذلك الالتفات.

ان غرس أفكار جديدة في عقل المجتمع عمل شاق وعسير بقدر انتزاع العادات والتقاليد الموروثة من الماضي

نبّه النورسي كل فئة الى ضرورة كسر الأغلال الآسرة لأفكارنا وأرواحنا، قبل سل السيوف من الأغماد، ان أردنا دوام الجهاد، وأرشد الأجيال الفتية الى السبل الموفية الى الفكر الاسلامي في بشرى «الانبعاث بعد الموت»، فكان يخشى ويرتعش فزعًا من انقسام جغرافية الوطن وتمزقها وانكماشها، لكنه كان أشد فزعًا من أمور تؤدي الى تلك السلبيات مثل ضيق التفكير وبؤس الأرواح وتقليد الغرب والشكلية.

لم يملّ النورسي من الاصرار على القراءة والتفكير والعمل، ولم يكلّ من السعي لأجل انقاذ أفراد الشعب من الفردية المتبادلة وبناء مجتمع مثالي وشعب عامر، فكان يلح على «المعارف» و«التربية والتعليم»، فيحث بالضرورة على نشر المعارف والتربية والتعليم في كل مكان وبكل وسيلة، فينبغي عنده انخراط المساجد والمدارس والمعسكرات والدروب والمتنزهات، بل حتى السجون، في نفير التعليم العام، فبالمعارف وحدها تتحقق الوحدة العقلية والمنطقية، والذين لا يتوحدون عقلًا بعقل، ولا ينصهرون على ذلك، يعجزون لا محالة عن السير معًا في طريق معين زمنًا طويلًا، ولا يحفظون تساندهم وتعاضدهم، فينبغي أن يتوحد الوجدان أولًا حتى تتوحد القلوب والأيدي، ووسيلة وحدة كهذه هو ضبط الحياة بضوابط الدين وتفسير الأمور المتعلقة بالزمان حسب مدارك العصر مع التقيد بالكتاب والسنة والاجتهادات الصافية للسلف الصالح.

نعم، لا بد من أن يتعرف انساننا بهذا العصر، وبواردات العصر ومعانيه وتفسيراته، وأن ينجح في ذلك ويتواءم معها، فان مقتلنا في انحسارنا داخل قشورنا واستغراقنا في الانزواء، والدنيا تسير سابلة الزمام، فلابد أن يمسك الذين يريدون أن يحيوا حاضرهم بحبل الانسجام والوئام والتعاون ما بين شلالات الحياة، وبين ارادتهم الذاتية وسعيهم وجهدهم، وبخلاف ذلك لا مفر من الاضمحلال في حال مقاومة التيار العام في الكائنات.

ولو تفهم عدة مئات من المثقفين بديع الزمان وأعانوه، عندما كان يسعى حثيثًا ويلهث ركضًا في كل ناحية من أرجاء البلاد، عارضًا رسالته، فربما كنا اليوم أغنى من كل دولة، وأسبق شوطًا في الحضارة بين الأمم، وربما بلغنا قوة كانت تؤهلنا لاجتياز العراقيل التي وضعت في طريقنا لاحقًا، فكنا انخرطنا في طريق النور- الذي يبدو كأننا انخرطنا فيه الآن- منذ بداية القرن العشرين، ولم يكن الكثير من مشاكلنا الحالية تواجهنا اليوم.. مع كل هذا، مازلنا متفائلين وأنا أجزم بأن الذين يزعمون أن منابع المعاني لشعبنا قد نضبت تمامًا هم في غفلة وذهول. نعم، قد سقطنا مثلما سقطت شعوب أخرى.. هذه حقيقة ظاهرة لا يمكن أن تخفى، لكن قدرتنا على رفع هامتنا واستعادة وعينا أيضًا حقيقة لا شك فيها، ونرى في الحاضر بوارق لمعان يقظة تحل محل الركون القديم الى الراحة، فثم حرارة للحيوية الندية والانبعاث الطازج تسري في أرواحنا الغارقة في أحضان الراحة والخمول، ولابد أن يعقب هذه التطورات ربيع زاهر الأيام، لكننا في انتظار رجال يسيحون فيفرشون الوديان بالسجادات كالخضر، ويفتحون الأشرعة في السهوب بلا وجل كالياس، وبديع الزمان علامة مهمة في هذا الطريق.

يقال «ان العبقري لا يَختار»، والمعنى أن الداهية لا يقول أعملُ هذا ولا أعملُ ذاك، أو يحكم بأن هذا العمل مفيد وذاك ضار؛ لأنه صاحب فطرة خارقة يجمع في روحه قوى تتحمل فوق أكتافها أمورًا كثيرة بموهبة الهية وبسائق وشائق لدني، فيحتضن بها حاجات محيطه الظاهرية والباطنية والروحية والاجتماعية بأعمق أغوارها وأوسع حدودها، ومن يمحص النورسي ومصنفاته سيجده جامعًا لعناصر الدهاء، فيرى أنه صان رفعة درجته فوق الدرجات دائمًا وتكلم بدهاء في كل زمن، ابتداء من أيام شبابه في كتبه التي تُعدّ من أول أنفاس دهائه، بثها فيمن حوله، الى مصنفاته التي انكشفت وتكاملت في عمر النضوج عبر حياة معذبة مرت بالمحاكم والسجون والمنافي.

الشيخ المعصراوي لـ«الوعي الإسلامي»:

لا أؤمن بتعمد قراءة القرآن وفق المقامات

حوار: عامر أحمد عامر

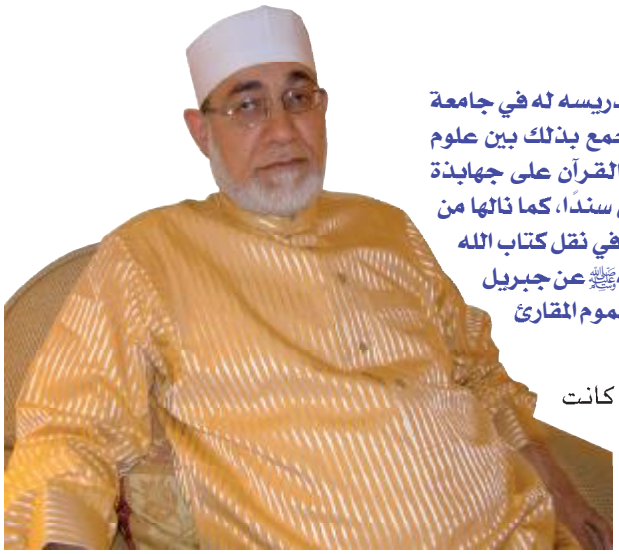

برغم حصوله على درجة الدكتوراه في علم الحديث النبوي، وتدريسه له في جامعة الأزهر، فإنه تولى عن جدارة مشيخة عموم المقارئ المصرية، ليجمع بذلك بين علوم مصدري الشريعة الإسلامية الرئيسيين، ولا غرو فقد قرأ الرجل القرآن على جهابذة القراء في ستينيات القرن الماضي، ونال الإجازة من أعلى قراء الأرض سندًا، كما نالها من نفر قد ذاع صيتهم في العالم الإسلامي كله، وعُرفوا بالشدة والحزم في نقل كتاب الله كما تلقوه عن أسلافهم، ليسجل اسمه في سلسلة تنتهي إلى رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جل وعلا.. «الوعي الإسلامي» التقت شيخ عموم المقارئ المصرية د. أحمد عيسى المعصراوي ليكون هذا الحوار:

● شيخ عموم المقارئ المصرية وأستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر.. مسيرة علمية حافلة ونموذج يحتذى في طلب العلم.. هلا حدثتنا عن هذا؟

- أتممت حفظ القرآن الكريم وأنا لم أتجاوز السنوات العشر تحت رعاية جدي لأمي الشيخ علي محمد السحيمي في قريتي دنديط بمركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، وكان والدي، رحمه الله، انتقل إلى القاهرة للعمل، وبعد أن جودت القرآن على يد الشيخ محمد إسماعيل عبده، وقرأت القرآن بالقراءات عليه، سافرت إلى والدي في القاهرة والتحقت بمعهد الخازندار.

أنهيت دراستي بالمعهد، وكنت من أوائل دفعتي بفضل الله عز وجل، ثم التحقت بكلية الدراسات، وكنت ثاني الدفعة، وعينت مدرسا في المعاهد الأزهرية، ثم التحقت بالدراسات العليا في كلية الشريعة، ثم تعاقدت مع كلية المعلمين بالرياض وعدت بعد أربع سنوات إلى القاهرة لإكمال الدراسات العليا، لكني غيرت مسار الدراسة من الفقه المقارن إلى أصول الدين (التفسير والحديث)، وبعد أن سجلت الماجستير في قسم التفسير حول القراءات الشاذة في تفسير الشوكاني شاء الله أن أسحب الخطة يوم انعقاد المجلس، لأقدم خطة في الحديث، وكان ذلك بسبب رؤيا رأيتها، أظنها كانت خيرا، حيث أكرمني الله بالجمع بين علوم القرآن وعلوم السنة، وعينت عضوا في لجنة مراجعة المصاحف، أثناء مرحلة الدراسات العليا، وانتقلت للعمل بجامعة الأزهر بعد حصولي على درجة الدكتوراه عام ١٩٩٢.

● لعل انتشار معاهد القراءات الآن مؤشر إلى انتشار هذا العلم والاهتمام به.

- برغم كثرة هذه المعاهد، فإنها في حال يرثى لها، ويمكننا القول إن العصر الذهبي للقراءات في المعاهد الأزهرية قد انتهى، أما تعليم القراءات عند أهل الضبط والإتقان، كتعليم خاص، فقد شاع وانتشر بفضل الله عز وجل في الآونة الأخيرة، وأقبل طلبة العلم الحقيقيون عليه، لينالوا الإجازات من شيوخهم، ويدخلوا في سلسلة السند المتصلة بالنبي ﷺ، أما معاهد القراءات فقد كانت تحوي في الخمسينيات والستينيات والسبعينيات قراءا مشهودا لهم، وعلى أعلى درجة من الضبط والإتقان، وأما خريجو هذه المعاهد الآن فلا يحفظون القرآن، فضلا عن معرفة القراءات، وكان الشيخ طنطاوي شيخ الأزهر السابق، رحمه الله، يفكر في تقليل هذا المعاهد، لأنها انتشرت إلى أن صارت غثاء كغثاء السيل، ولا تجد من يدرس فيها من أهل الضبط والإتقان، وحتى إن وجدتهم، فإنهم لا يحصلون على أدنى حد مادي لإقامة حياة كريمة، بل لا تكفي رواتبهم لوسائل المواصلات، ما يلجئهم إلى الجلوس في بيوتهم والإقراء فيها ومنح الإجازات، فنحن لا نحتاج في مصر إلى كل هذه المعاهد، بل نحتاج إلى ستة معاهد فقط توزع على أنحاء الجمهورية.

سرقة النفس أثناء القراءة حرام.. وهذا هو الدليل

● ما السبيل إلى إعادة الضبط والإتقان إلى متعلمي القرآن والقراءات؟

نحن نحتاج إلى إعادة ما كنا عليه سابقا، لأن بعض القائمين على امتحانات القرآن، للأسف، لا يحفظون القرآن! والقضية في كل الأحوال قضية ضمير وأمانة، فقد سمعت أخيرا عن بيع الإجازات دون قراءة

ولا حفظ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

● على من قرأت من مشايخ السند؟ ومن أجازك منهم؟

– قرأت على معظم المشايخ الذين كانوا في معهد الخازندار في الستينيات، ومعي إجازة من الشيخ محمد إسماعيل عبده، والشيخ محمد عبدالحميد عبدالله، والشيخ بكري الطرابيشي، والشيخ عبدالحكيم عبداللطيف.

● من أعلى القراء سندًا الآن؟

– الشيخ بكري الطرابيشي أعلى القراء سندا في القراءات السبع، والشيخ محمد عبدالحميد عبدالله، وهو يساوي الشيخ الزيات في السند، وهناك أيضا الشيخ عبدالحكيم عبداللطيف.

● ربما لا يعلم كثيرون شيئا عن مشيخة عموم المقارئ، فما سبب ذلك؟ وماذا عن هذه المشيخة؟

– أغلب من تولى مشيخة المقارئ المصرية كان مشغولا عنها، فالشيخ الحصري عُيِّن وهو من مشاهير القراء، والشيخ عامر عثمان كان كبير السن، وكذلك الشيخ رزق خليل حبة، وبفضل الله زادت المقارئ في مصر الآن، فبعد أن كانت لا تتجاوز مائتي مقرأة، بلغت ١٢٠٠ مقرأة، تضم ١٥٠٠٠ عضو، ووزير الأوقاف ألزم الأئمة بحضور هذه المقارئ، حتى يستفيدوا منها، وبعض هؤلاء الأئمة يتقدمون إلى المسابقات التي تقام وينضمون إلى عضوية هذه المقارئ، ومشيخة المقارئ قائمة على رعاية شؤون هذه المقارئ التي تعقد يوميا على مستوى محافظات مصر، (جلسة في كل أسبوع بعد صلاة العصر)، حيث يقرأ العضو على شيخ المقرأة الذي يعلم ويوجه ويصوب، يذكر بعض الشروح والتفسيرات، ولاشك أن هذا يثري ويفيد الحاضرين.

● يدعو بعض الباحثين اليوم إلى كتابة مصحف إمام يعود إلى الصورة الأولى التي كتب بها مصحف سيدنا عثمان، بعد أن تغيرت، من وجهة نظرهم، طريقة رسم بعض الحروف دون الكلمات.. فما رأيكم في ذلك؟

– ليس المقصود بالرسم العثماني الكتابة وفق ما يرى سيدنا عثمان رضي الله عنه، إنما النسبة هنا نسبة أمر، فهو الذي أمر، أما الرسم القرآني فهو رسم توقيفي، فقد كان ﷺ يوجه الكاتب إلى صورة الكلمة وهو لا يقرأ ولا يكتب، وهذا من ضمن الإعجاز، والمهم أن رسم الكلمة وقوامها لا يتغيران، كأن تمد الألف المقصورة، وتقصر المدودة، أو تفتح التاء المربوطة أو العكس، أو يحذف مثبوت أو يثبت محذوف، أما التغيير في طريقة كتابة الحرف فلا غبار عليه، فالميم هي الميم والقاف هي القاف... وهكذا، وهو لا يعد خروجا على الرسم، فشكل الكلمة، أي الضمة والفتحة والكسرة والسكون والشدة والتنوين، وكذلك النقط لم يكونا موجودين.

● هنالك أيضا أصوات تنادي باعتماد الرسم العثماني في الكتابة العادية.. فماذا عن هذا الرأي؟

– الرسم العثماني خصوصية من خصوصيات المصحف، ولما كان تطور طريقة الكتابة عبر العصور أمرا طبيعيا، وأدرك العلماء ذلك، أجمعوا على أنه لا تجوز كتابة المصحف إلا بالرسم العثماني، حفاظا عليه، ولولا ذلك لصار الرسم العثماني ألعوبة لهذه التطورات، أما إن وافقت هذه التطورات أصل هذا الرسم، فلا شيء فيها، والخط القديم يصعب التعامل به الآن قراءة وكتابة، ولابد من الاستجابة للتطور الطبيعي للخط.

● بعض القراء يلجأون إلى إطالة أنفاسهم بالتنفس أثناء القراءة، فيما يعرف بـ «سرقة النفس»، فما الحكم في هذا؟

– أغلب القراء الآن، حتى من المشاهير للأسف، يأخذون النفس، وهؤلاء متجرئون على كتاب الله، وإذا نصحتهم قالوا ما دليلك، والدليل أن المرجعية في القراءة إلى رسول الله ﷺ، فلم يرو أنه ﷺ كان يأخذ نفَسه، فنحن تلقينا القراءة عنه ﷺ هكذا، وهو قد أمر باتباع قراءة جبريل عليه السلام ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ (القيامة: ٨١)، وبعضهم يكبر بين السور، ولا يعلم هذا التكبير لمن، فليس هناك تكبير إلا من طريق ابن كثير، بداية من سورة الضحى، وهم يكبرون لكل القراء، وإن كان ابن الجزري ذكر في الطيبة أن التكبير في كل السور، لكن هذا رأي لم يقم عليه دليل، مع تقديرنا الكبير لابن الجزري وعلمه، فأخذ النفس في القراءة حرام، لأنه تغيير للطريقة المتواترة للقراءة.

● شيخ عموم المقارئ المصرية حينما يريد أن يستمع إلى القرآن.. فإلى من يستمع من القراء، قديما وحديثا؟

– أحب أن أستمع إلى المشايخ القدامى مثل الشيخ المنشاوي والشيخ عبدالباسط والشيخ الحصري والشيخ عبدالفتاح الشعشاعي (الأب) والشيخ محمد رفعت، وأحيانا أستمع إلى الشيخ مصطفى إسماعيل، وهو مدرسة، لكني أميل أكثر إلى سماع القرآن بصورة شرعية، ولا أستمع إلى أحد من القراء الجدد، وهذا لا يعني أنهم غير مجيدين، لكن ما دام الأصل موجودا فلماذا أبحث عن الفرع.

● أثار موضوع قراءة القرآن وفق المقامات الموسيقية جدلا على الساحة في الفترة الأخيرة.. فماذا ترون في هذا؟

– لا أومن بقراءة القرآن على الألحان، ولا أدعو إلى تعلم المقامات المعروفة اليوم، والرسول ﷺ حينما أثنى على قراءة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وقال لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود، كان هذا كناية عن السليقة والطبيعة العربية، لأن أبا موسى رضي الله عنه كان يقرأ بها، ولم يكن يعلم عن هذه المقامات شيئا، ونحن مأمورون بقراءة القرآن ومعايشته في القراءة، وتجميل أصواتنا به إن وهبنا الله ذلك، على ألا يخرجنا هذا عن أدب القرآن وأحكامه وجلاله...إلخ، أما لجنة اختيار القراء بالإذاعة التي أشرف بعضويتي فيها، فصحيح أن بها ثلاثة أعضاء موسيقيين، لكن لم يحدث يوما أن قيل للقارئ المختبر اقرأ على مقام كذا، أو سُئل عن المقام الذي يقرأ به، المهم ألا يكون في قراءته نشاز.

ضوابط النشر

حرصاً من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس وضرورة إرسال البريد الالكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشوراً في الصحف والمجلات المطبوعة والالكترونيه.

ملاحظة: المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

ملف العدد ...

عملية التنمية الإنسانية تحديات وطموحات

الأزمة المالية العالمية التي عصفت بالعالم منذ أكثر من سنة ومازالت تعصف به من كل جانب تركت بصماتها السلبية والخطيرة، ومزقت النسيج الاجتماعي لمعظم أمم وشعوب العالم، ووسعت الفجوة بين الأغنياء والفقراء وأصابت عملية التنمية والانتاج بسهام قاتلة سيظل العالم يعاني منها لسنوات عديدة.

ان الانسان العاقل الممعن في كنه هذه الأزمة يصل بسرعة الى حقيقة مفادها أن سبب هذه الازمة هو الخلل الحاصل في العلاقة بين طاقة الانسان وجهده وبين الثروة التي اودعها الله سبحانه وتعالى في ارضه، الأمر الذي نتج عنه جشع الطبقات المستغلة وشحها، وما لم يتم إصلاح هذا الخلل بإعادة التوازن السليم لعملية الانتاج والتنمية القائمة على أسس وثوابت النظام الاقتصادي الاسلامي فإن العالم سيظل يعاني أزمات متكررة.

لقد حاولنا من خلال هذا الملف الذي نضعه بين أيدي قرائنا تسليط الاضواء على أسس العملية التنموية من خلال تحديد وتأصيل مفهوم العمل والانتاج بمعناه التكاملي الشامل، وبما يحقق المصالح ويدرأ المفاسد في إطار تحقيق العدالة الاجتماعية التي تحفظ للإنسان كرامته.. والله الهادي إلى سواء السبيل.

إعداد : التحرير

التخطيط وعلم المستقبليات كأساس للتنمية

إبراهيم نويري

هل صحيح حقا وصدقًا ما يقال عنا نحن العرب والمسلمين من كوننا تعودنا على أن نزاول أعمالنا دون تخطيط أو دراسة مسبقة واعية محكمة؟ وأن كل ما نأتيه من أعمال إنما نأتيه بطريقة تلقائية فوضوية موغلة في البدائية والعشوائية؟ وإذا كان ذلك صحيحا والتهمة ثابتة، فهل الحل العتيد والأسلوب الرشيد يكمن في ضرورة أن نتعلم وننسج على منوال غيرنا من أصحاب المناهج والتجارب الرائدة أو الناجحة في الحياة، عملا بالأثر القائل «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها»..أم أنه تجب المحافظة على الأسلوب الذي تعودنا عليه، وترسخ في أنماط وأساليب التعامل عندنا وتوارثته الأجيال عن بعضها؟

الجواب الفذ على هذا التساؤل الخطير أنه يجب على أية أمة لها رسالة في الحياة، وتتطلع إلى الإسهام بشرف وفخر في مسار الإنسانية ومنجزاتها التاريخية والحضارية، وقبل ذلك يهمها وجودها الحقيقي الفاعل.. المرتبط ارتباطا وثيقا بأهداف رسالتها وتطلعات أجيالها.. أقول يتوجب على أية أمة هذه صفتها، وتلك تطلعاتها أن تترك الفوضى والتلقائية في كلّ شؤونها ومناشطها لأنهما لا يسوقان ولا يفضيان إلى نتائج إيجابية فيما تأتيه من أعمال أو فيما تبذله من جهود، بل لابد من التخطيط لكل عمل أو مشروع تتصدى لإنجازه أو تتمنى تجسيده، حتى ترتقي إلى مستوى القيام بالمهام العظمى والأعمال الكبيرة والمنازل الجليلة، كما أن التخطيط لما نقوم به من أعمال يجعلنا- إلى جانب الإدراك السليم لحاضرنا- أكثر فهما وتحكما في مستقبلنا. إذ من شأن التخطيط ومن مهامه الرئيسة أن يبيّن لنا أين كنا، وأين نحن الآن، وإلى أيّ المواقع نريد أن نصل وكيف ولماذا.

التخطيط والتنمية

التخطيط في أبسط تعريفاته يعني عملية تحديد احتياجات العمل أو الواقع الفردي أو الجماعي، بوضع أفضل الطرق والأساليب بغية الاستجابة لتلك الاحتياجات، أو هو عملية تحديد الأهداف بدقة وواقعية في ضوء الإمكانات المتاحة، مع ضبط الوسائل التي من شأنها أن تفضي إلى تجسيد تلك الأهداف المرسومة سلفا.

إن المفهوم العام للتخطيط مرتبط بوضع آليات ومناهج مضبوطة للمشروع أو العمل المزمع إنجازه، لا فرق في ذلك بين الأعمال الفردية التي لا تغيب عن واقع كلّ واحد منا، وبين الأعمال الكبرى الحاضرة في مناشط الأمم والدول، ومما لا شك فيه أنه كلما كانت الآليات والمناهج أكثر دقة وعلمية توافرت للعمل ظروف النجاح والإثمار المرجو، والعكس كذلك صحيح، ومن هنا ينبغي أن يكون التشديد مركزا والإلحاح صارخا على ضرورة التخطيط بدقة وعناية لكل عمل نقوم به أو نشرف على تحقيقه ومتابعته، لاسيما إذا كانت نتائج هذا العمل ذات ارتباط حيوي بمصير الأمة ومستقبلها وتطلعاتها وآمالها. لقد صدق كل الصدق الحكيم الذي نصح صديقه بقوله «إذا أنت فشلتَ في التخطيط تكون قد خططت للفشل».

يقول المفكر السعودي الدكتور محمود سفر في كتابه الرائع «ثقب في جدار التخلف»: «لقد أصبح التخطيط ضرورة من ضرورات الحياة في المجتمعات النامية، لأنه وسيلة هذه المجتمعات للتعرّف على مواقع أقدامها من منجزات الحضارة المعاصرة، وبالتالي وضع الاستراتيجيات والبرامج والخطط كي تلحق تلك المجتمعات بركب الحضارة والتقدم في مختلف جوانب حياتها»، كما يؤكد المختصون في هذا المجال أن التنمية لا تنبع من فراغ، لأنها ليست ذات طبيعة سحرية أو

باحث جزائري

هلامية، وإنما لا بد من توافر الشروط والإمكانات الضرورية لحصولها أو لبدء الخطوة الأولى من مسارها اللاحب الطويل، لكن ليس هناك من شك في أن التخطيط يأتي في مقدمة تلك الشروط، بمعنى أن تكون له أولوية في الوعي، ليس فقط من حيث الاهتمام به كوسيلة في تحقيق التنمية، بل من حيث ترتيب الإمكانات المتاحة وتفعيلها واستثمارها أيضا على الوجه المطلوب، وكذا باعتباره كونه آلية مستمرة وأداة معيارية ثابتة، فهو لا يواكب مراحل الإنجاز وحسب، بل إننا نظل بحاجة ماسة إليه دوما حتى بعد إنجاز العمل.. أليست التنمية ذاتها تقوم على ربط الأعمال وتكامل المنجزات بعضها ببعض ومحاولة القيام بعملية تقييم وتقويم مستبصرة تربط بين المقدمات والنتائج، سعيا خلف التأكد من النجاح الذي تمّ التخطيط له مسبقا؟!

علاقة التخطيط بالمستقبل

لقد بات من البداهة القول إن التغيير الاجتماعي والتطور العام في واقع حراك أي بلد في العالم، أو داخل نسيج أي أمة من الأمم يحتاج إلى تفكير متوازن وإحاطة بمتطلبات كلّ مرحلة من أجل التحكم العلمي والمنهجي في عملية التغيير والتطور الطبيعي الذي تفرضه صيرورة الحياة نفسها، وهذا الشأن له ارتباط وثيق بوزن القدرة على إمكانية توجيه هذه العملية الوجهة التي من شأنها أن تؤدي إلى تحقيق أهداف وغايات ورغائب المجتمع والدولة والأمة.. إذ إن حسن التحكم في عملية التغيير الاجتماعي والتطور العام في الحياة هو الأمر ذاته الذي أطلقنا عليه مصطلح «التخطيط».

وبما أن عملية التغيير هذه أكثر التحاما بطموحات المستقبل، فلا بد أن تكون العلاقة بين التخطيط والمستقبل علاقة وثيقة وطردية وليست مجرد علاقة تأثير وتأثر بين طرفي معادلة من أهم وأخطر معادلات الحركة الاجتماعية، إذ من البداهة التذكير بكون الدراسات المستقبلية تُعنى بتتبع مسار مختلف الإنعكاسات والتفاعلات والتوقعات في المستقبل في ضوء استخلاص واستنتاج ما يمكن أن يتقرر، وذلك باستخدام «التخطيط» كأداة أو وسيلة للوصول إلى إدراك مدى حقيقة وواقعية تلك الانعكاسات والتفاعلات، مع ضرورة إخضاعه- أي التخطيط- للمراقبة والتعديل خلال خطواته النظرية المرحلية للوصول إلى الغرض المسطر أو المعلن، علما أنه لا يوجد أي إشكال شرعي أو فقهي في هذه المسألة، بل إن التكليف نفسه قائم على أساس العمل للمستقبل وإعمار هذا المستقبل بجليل الأعمال، يقول الله تعالى «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون» (الحشر: ١٨)، فهذه الآية الكريمة تحث على التخطيط والإعداد لمستقبل المؤمن في دار الخلود، وكأن القرآن يؤكد على أن إدراك الفلاح في تلك الدار لن يتحقق إلا بالنجاح في هذه الدار، وليس هناك من نجاح دون تخطيط ومتابعة ومراجعة ونقد وتعديل وإصرار على النجاح.

يجب تعميق الدراسات لجعل الغرض من التنمية ليس مقصوراً على العلم والتكنولوجيا والتقنية المتقدمة

إن ضرورة الدراسات المستقبلية تنبع أساسا من الحاجة إلى تحسّب لأي مفاجآت قد يحملها المستقبل من خلال تجربة الماضي والحاضر والإمكانات المتاحة والعمليات أو العناصر التي تتسبب في تغير المجتمع أو تؤثر في الواقع، وبنظرة أكثر نفاذا واستبصارا يصبح مجال الاختيار لصور المستقبل المتعددة أرحب وتكلفته أقل، فيضحي مثلا باستطاعة الدول النامية من خلال نتائج الدراسات المستقبلية أن تختار نوعا من التقنية (التكنولوجيا) تتواءم مع متطلباتها دون أن تكون لها آثار سلبية على منظومة القيم وشبكة العلاقات الاجتماعية وتلوث البيئة...إلخ، ففي واقع الدول النامية فرصة واسعة لإيجاد تنمية متوازنة في مجال حاجات الريف والحضر على حد سواء، إلى غير ذلك من الوسائل التي يمكن عن طريقها تلافي الآثار السلبية للتقدم والنمو في شتى مجالات أنشطة الحياة.

ونحن عند التأمل ندرك أن المطلوب من الدراسات المستقبلية لا يتجاوز ثلاثة أدوار رئيسة هي:

أولا: تحديد نقطة البدء والنهاية، وذلك يتم عبر الإجابة عن هذين السؤالين: من أين نبدأ؟ وإلى أين سننتهي؟ شرط أن تكون كل الطموحات مستبطنة بين هاتين النقطتين.

ثانيا: تحديد مسارات واضحة يمكن الاختيار منها تمهيدا لوضع خطط مرحلية للوصول إلى الهدف، وهذا أمر متوقف على العلم والخبرة المتوافرة.

ثالثا: تعميق الدراسات لجعل الغرض من التنمية ليس مقصورا فقط على العلم والتكنولوجيا والتقانة المتقدمة، بل أن يكون غرضا شاملا، متمثلا في منهج علمي رصين يعيد صياغة تفكيرنا وحكمنا على الأشياء، ويرسم حاضرنا من خلال التشوّف لمستقبل أفضل، أكثر إغراء وحيوية وجذبا لبذل الوسع وتحقيق الإعمار الذي هو أحد أهم مقاصد الاستخلاف في الأرض وفق معطيات عقيدة الإنسان المسلم، وليس هنالك من ريب في أن أمر علاقة التخطيط بعلم المستقبل لكي ينتهي بنا إلى المأمول من النتائج، ويجب أن تتوافر أيضا الجوانب الأخرى الضرورية من هذه المعادلة، التي قوامها المشروعات والأعمال القابلة

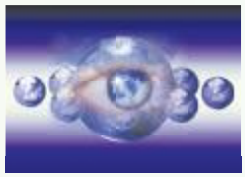

للتجسيد في الواقع الماثل، ذلك أن هذه العلاقة لا تقبل التجريد ولا تتأسس على العموميات الفضفاضة، أو المعطيات الرجراجة، بل على الموازنة العلمية الدقيقة بين الإمكان والطموح أو القدرات والتشوّفات.

آمالنا المستقبلية

لا يمكن لأي كائن بشري عاقل ألا تكون له آمال وطموحات يودّ تحقيقها وتجسيدها في الواقع الماثل، سواء في الحاضر أو في المستقبل القريب أو البعيد، فهذه إحدى السنن الثابتة المركوزة في نحيزة الحياة والأحياء، وهذه الآمال تسكن ضمائر الأفراد كما تسكن ضمائر الجماعات والدول والأمم، ونحن كأمة إسلامية، كقوة بشرية تمثل ربع سكان المعمورة، لنا رسالة حضارية قائمة على عقيدة مشرقة خالدة أدت دورا أساسيا في مسار الإنسانية.. لنا طموحات وآمال وغايات كبرى نصبو إلى تحقيقها، كغيرنا من الأمم، وهي طموحات كثيرة متنوعة، كالوحدة والتنمية والنهوض الحضاري وابتعاث المجد الأثيل، واجتثاث التخلف، واحتلال المكانة المشرفة بين الأمم... الخ، يقول الشيخ الغزالي رحمه الله في مقدمة كتابه «الطريق من هنا»، وهو يعرض لواقع أمتنا ومشكلاتها من منطلق الرغبة أو الطموح في تجاوز وتخطي هذا الواقع غير اللائق بهذه الأمة التي يُفترض فيها أنها تمثل موقع «الشهود الحضاري» على غيرها من الأمم، وتمثل أنموذج «القدوة» التي ينبغي أن يحتذيها الآخرون وينسجوا على منوالها: «تخلف العالم الإسلامي قضية معروفة وإن كانت مخجلة، وهذا التخلف أطمعَ الأقوياء فيه، بل لقد طمع فيه حتى من لا يحسن الدفاع عن نفسه، ولست ألوم أحدا استهان بنا أو ساء ظنه بديننا، ما دمنا نحن المسؤولين الأوائل عن هذا البلاء.. إن القطيع السائب لابد أن تفترسه الذئاب...»

إنه ليس أمامنا من طريق لتحقيق آمالنا وطموحاتنا المستقبلية إلا بنهج هذا السبيل.. سبيل العلم والتخطيط وعبقرية الاستفادة من تجارب الغير، وفق مناهج دقيقة حاسمة مستبصرة، كما أن عنصر حسن التصرف في الإمكانات المتاحة وجدية استثمارها وتوظيفها في خدمة الأهداف والآمال الكبرى يمكن أن يكون عنصرا فاعلا في وضع الأقدام على عتبة التغيير الحقيقي والاستنهاض المرتقب المأمول.

ويظل التساؤل مطروحا بتوتر وإلحاح شديدين: هل سننجح كأمة وأيضا كأفراد وجماعات وهيئات ومؤسسات في الوعي بهذه الحقيقة، فنجعل من التخطيط علما وسبيلا للتنمية والتغيير والاستنهاض، فنقوي من انتمائنا لطموحاتنا وأهدافنا، خدمة لوجودنا ورسالتنا ومستقبلنا؟ نأمل ذلك ونعمل له ومن أجله في الوقت نفسه.. والله ولي كل توفيق.

العالم الإسلامي ومعضلة التنمية.. المشكلة والحل

الخضري عبدالمنعم

يعيش العالم الإسلامي أزمة سياسية واقتصادية خطيرة، وتتمثل مظاهر هذه الأزمة في الصراعات التي تمزقه، والتخبط الواضح على مستوى اتخاذ القرارات وتحديد الاختيارات، في وقت هو أحوج ما يكون فيه إلى الوحدة والتكتل لمواجهة التحديات، وإسماع صوته على الساحة الدولية والدفاع عن مصالحه، وقد أسهمت عوامل عدة داخلية وخارجية في تكريس هذه الأزمة، غير أننا سنقتصر في هذا الموضع على معالجة معضلة التنمية، وذلك أن غالبية البلدان الإسلامية بلدان متخلفة وتابعة، وللدلالة على ذلك فهذه مؤشرات رقمية للعالم الإسلامي توضح مدى التخلف والتبعية: (١)

١	المساحة الإجمالية	٣٢ مليون كم٢
٢	نسبة الأراضي الزراعية	١١,٣ ٪
٣	مساحة الأراضي المروية	٦٥٨ ألف كم٢
٤	سكان العالم الإسلامي	١,٣٦١,١٤٤,٨٨٣
٥	متوسط نسبة النمو السكاني	٢,٢ ٪
٦	الناتج المحلي الإجمالي	٣٤٨٣ مليار دولار
٧	حصة الفرد الواحد من الناتج المحلي الإجمالي	٣٩٣٤ دولار
٨	حصة قطاع الزراعة من الناتج المحلي الإجمالي	٢٤ ٪
٩	حصة قطاع الصناعة من الناتج المحلي الإجمالي	٣٠ ٪
١٠	حصة قطاع الخدمات من الناتج المحلي الاجمالي	٤٦٪
١١	نسبة السكان تحت مستوى خط الفقر	٣٧٪
١٢	معدل التضخم	١٤٪
١٣	حجم القوى العاملة	٢٩٥ مليون نسمة
١٤	نسبة البطالة	١٩,٢ ٪
١٥	حجم الواردات	٤٣١ مليار دولار
١٦	حجم الصادرات	٣٥٨ مليار دولار

لقد أفصحت أزمة التنمية التي تعاني منها بلدان العالم الإسلامي عن ذلك الفشل الذريع الذي منيت به الفلسفات السياسية والاقتصادية التي تبنتها معظم الأنظمة التي خلفت الحكم الاستعماري، ويتمثل هذا الفشل في عجزها عن تحقيق التغيير الاجتماعي بعد حصولها على الاستقلال السياسي الرسمي.

ومن هنا فإن تخلف البلدان الإسلامية هو في أحد جوانبه تجسيد لإخفاق النظم

باحث اقتصادي

فيها في حل مشكلات التنمية والتحديث.

فقد كان بإمكان هذه الأنظمة عقب استقلالها السياسي أن تحدث تحولات جذرية في مجتمعاتها طوال تلك الفترة، وذلك بأن تعمل على تصفية مراكز السيطرة الأجنبية، وتطوير قاعدة اقتصادية مستقلة، غير أن هذه الأنظمة تحولت في أغلبية البلاد الإسلامية إلى طور التبعية المباشرة للعالم الرأسمالي والاشتراكي. والتبعية هنا ليست فقط تبعية اقتصادية ولكنها ثقافية أيضا، فقد صاحب عملية التنمية وفق النمط الغربي في هذه البلاد عملية اجتثاث تدريجية لقيم وثقافة البلد المحلية، لتحل محلها قيم وثقافة غربية.

وترتبط بأزمة التنمية في البلاد الإسلامية مشكلة نظرية التنمية، ونشير فيما يلي إلى بعض المفاهيم الخاطئة فيما يتعلق بالاختيار التنموي.

١- التنمية زيادة الإنتاج

هناك العديد من الأبحاث والدراسات في هذا المجال تقوم على افتراضات تمثل انحيازا للتجربة الغربية التي تقرن التنمية بزيادة الإنتاج، وهذا خطأ، لأن اعتبار التنمية «هي زيادة الإنتاج» يتضمن في الوقت نفسه اعتبار الاستهلاك محور السلوك الإنساني، ومن هنا فإن مفهوم التنمية يجب أن يدرس في إطاره التاريخي وهو إطار لا يناسب وضع البلاد الإسلامية الحالي لخصوصيتها.

٢- التنمية استخدام التقنية المتقدمة

يربط بعض الكتاب بين التنمية واستيراد التقنية المتقدمة على أساس أن هذا يمثل مسايرة لركب التقدم العلمي والتقني في العالم، وهذا خطأ، لأن استيراد التقنية المتطورة دون تطويعها وفقا لخصائص وظروف البلاد الإسلامية يقلل من فائدتها، بل إن هذه السياسة توجد حالة من الاعتماد على التقنية والتبعية الجديدة. وينتج عن ذلك التبديد الشديد للموارد، وتخريب البيئة، والتكلفة الاجتماعية الباهظة، وشقاء الإنسان.

وحول معالجة معضلة التنمية في العالم الإسلامي:

يمكن القول بداية إن الاستعباد والاستغلال كانا يمثلان الأسباب الجوهرية أو التربة الخصبة التي نبتت منها الأسباب التفصيلية المسؤولة عن مشكلة التخلف، وان استمرارها- من الداخل والخارج- أدى إلى فشل التنمية في العالم الإسلامي والسبب هو التبعية لمناهج التنمية الوضعية، التي ركزت فقط على معالجة بعض الأسباب من خلال توجيهات وآليات «مادية» بحتة ، ومن ثم استمرت المشكلة وزادت حدتها خلال الزمن، فكانت ومازالت في واقع الأمر «تنمية» للتخلف. وتفرخ عن هذا الوضع- نتيجة طبيعية له وتفصيلا لمجمله- العديد من المشكلات التي تطحن الإنسان وتهدر كرامته، وتبدد قدراته وجهوده الإبداعية، فيعجز لذلك عن القيام بمسؤولية إعمار الأرض، أي إحداث التنمية.

إذن لحل معضلة التنمية في العالم الإسلامي لابد من تطهير الحياة الاقتصادية من كافة أشكال الظلم ومن ثم تهيئة المناخ المناسب لكي يتعامل الناس تعاملا إنمائيا فاعلا مع الأشياء، «فبديهيا نجد أن الإنسان هو المحرك الأساسي للنشاط الاقتصادي، وهو المسؤول عن مستوى الأداء، والإنسان المظلوم، أي المقهور والمستغل، لا يقدر على شيء» (٢).

ومن ثم، إذا لم يرفع هذا الظلم، فلا يمكن لأي شيء ذي قيمة أن يتحقق، ولا يمكن لأية قوة دافعة، أو استراتيجية أن تعمل بكفاءة مناسبة، سواء أكانت هذه القوة هي اليد الخفية للحافز المادي، أو اليد المرئية الباطشة للدولة، وسواء أكانت الاستراتيجية هي الدفعة القوية من الاستثمار أو الجهد الأدنى الحساس المطلوب الرأسمالي، أو غيرها.

الإسلام ودور الإنسان في التنمية

اعتبر الإسلام الإنسان قيمة حقيقية، وقوة للتغيير والحركة في الحياة بما أودع فيه من القدرة العقلية والجسدية وقابلية التكيف المستمرة، ودليل ذلك أنه جعله مكلفا مسؤولا يستطيع من خلال تلك القدرات أن يحقق خلافة الله على هذه الأرض التي خلقت له، وهيئت تهيئة متناسقة، ووضع فيها كل ما يساعده على أداء الأمانة الكبرى في العيش والحركة والتغيير.

قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (البقرة: ٣٠)، وقال: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم﴾ (البقرة: ٢٩)، وقال: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ (لقمان: ٢٠) (٣).

استخلاف الإنسان والتنمية

يتأسس فرض إعمار الأرض - أي قيام تنمية شاملة ومتوازنة من قبل الإنسان العادي- على حقيقة إيمانية مؤداها: أن المال- أي الموارد- مال الله، ونحن مستخلفون فيه: ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ (طه: ٦)، ﴿ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾ (الأعراف: ١٢٩)، وتبعية الاستخلاف تعني تسخير هذا المال لخدمة الخلق المستخلفين وتمكينهم منه تمكين استعمال أو ملكية انتفاع: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ (البقرة: ٢٩)، ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الجاثية: ١٣)، ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون﴾ (الأعراف: ١٠).

كما تعني تبعية الاستخلاف في الوقت نفسه: العمل كدحا وكدا وباستمرار من قبل الخلق

على تنمية أو تثمير المال خلال الزمن حتى قيام الساعة. والعمل المطلوب هو العمل الصالح الذي تزكو به النفس، وتقوم به الأخلاق، وتتسع به دائرة البر، ويحفظ به الدين والبدن والعقل والمال والنسل، أي العمل الذي يحقق صلاح البال بإصلاح الدين والدنيا.

ومن ثم، فالعمل المقصود هو العمل الذي يعمر الأرض، وينتج الطيبات، ويحقق الحياة الكريمة للإنسان: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (النور: ٥٥)، ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ (النجم: ٣٩-٤١).

وفي الحديث: «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له» (متفق عليه)، «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرسها، فليغرسها، وله بذلك أجر» (رواه أحمد).

وتعني تبعية الاستخلاف أيضا أن يحترم الخلق عقد الاستخلاف ويتقيدوا بشروطه التي وضعها المالك الحقيقي- سبحانه وتعالى - تنظيما لشؤون المال من حيث توظيفه، وتنميته والتصرف فيه.

ومن هذه الشروط أن يؤدي الخلق حقوق المال لمالكه الأصلي وللمجتمع في صورة

الصدقات المفروضة، وعلى رأسها الزكاة، والصدقات التطوعية، والكفارات، وغيرها من النفقات تحقيقا لعدالة التصرف في المال، وإقامة للتكافل الاجتماعي، وضمانا لأكفأ استخدام ممكن للمال خلال الزمن ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ (النور: ٣٣)، ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾ (الحديد: ٧)، ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾ (التوبة: ١٠٣).

وفي الحديث: «إن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم» (متفق عليه)، «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول» (متفق عليه).

الإسلام وقضايا الإنسان

هذا هو جوهر نظرة الإسلام التي لا تتغير لقضايا الإنسان الاجتماعية والاقتصادية التي تتغير، إنها نظرة لتجديد الإنسان في كل زاوية من زوايا حياته في ظل الرؤية الشاملة لآيات تطوره الكوني وهي ليست عبودية واستسلاما، ولا قدرية واستخذاء، ولا سكونا وتقليدا، ولكنها حرية وانطلاق والتزام وانعتاق وحركة وتغيير، وهي نظرة رسمت طريق الحقوق الإنسانية في ذاته، مستهدفا بالحقوق بقدر ما كان ذلك الحق يستهدف قبل الإسلام القبيلة والعائلة والعرق والطائفة (٤).

ومن هذا المنطق الراشد في النظرة إلى الإنسان المسؤول، اختتمت النبوة في الإسلام، وهو أوضح دليل على رشد الإنسان، وتقويمه الحسن، والاعتراف بدوره الكامل في اكتشاف وتسخير قوانين الحياة والمادة، وإحداث التنمية الحضارية المطلوبة، مستهديًا بالتشريع الاجتماعي والأخلاقي الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ والآيات التالية ترشدنا إلى هذا المعنى:

﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ (القيامة: ١٤)، ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ (الانفطار: ٧)، ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ (التين: ٤).

وبعد، فكما أن الإنسان في هذا العصر لابد له أن يتحرك إيجابيا للقيام بذلك الدور، فإن حشد القوى المادية والمعنوية في سبيل بنائه الذاتي والاجتماعي والحضاري يصبح من الضرورات المنطقية الملحة، ومن المؤكد أن الإنسان هو العنصر الفعال لمعالجة معضلة التنمية في العالم الإسلامي، لأنه عماد التنمية، وأي عملية تنمية لكي تتحقق على أرض الواقع لابد أن تبدأ من الأصل أو من القاعدة - أي من الإنسان - وتنتهي في كل مرحلة من مراحلها المستمرة والمتصاعدة بالإنسان للإنسان وأي من أجل الإنسان - ومن ثم هو - بحق- الوسيلة الرئيسية لعملية التنمية: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾ (هود: ٦١).

هوامش

١- المسلمون بعد أحداث سبتمبر بين القصور الذاتي وحرب الإرهاب، إعداد: مركز المعلومات والدراسات والبحوث، موقع البيان، حالة العالم الإسلامي أرقام ومؤشرات، إعداد: أسماء ملكاوي.

٢- حول المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية. د. عبدالحميد الغزالي.

٣- الإنسان في القرآن، عباس العقاد، ص ٢٢.

٤- حقائق القرآن وأباطيل خصومه، عباس العقاد، ص ٢٦.

الكوارث البيئية
استقراء وتحليل

د. أحمد عيساوي

﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون. فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون. فقُطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾ (الأنعام:٤٣-٤٥)

مداخل مفهومية

قضية الكوارث البيئية التي أصابت ولا تزال تصيب العديد من المناطق في العالم، وتؤثر تأثيرات متفاوتة الخطورة على المنجزات المدنية والعمرانية، وتترك آثار التدمير والهلاك في التجمعات البشرية، هي من أهم القضايا التي شغلت ومازالت تشغل العقل البشري منذ وعاها وتعرّض لتأثيراتها منذ القدم، وقدّم في سبيل الخلاص منها أو تجنبها أو الحيلولة دون وقوعها أو الاحتماء من مخاطرها العديد من القراءات والتحليلات الغيبية والأسطورية والظاهرية والباطنية والعلمية والمعرفية النظرية والتطبيقية، محاولة منه لتفسيرها والتنبؤ بها واستشعار خطرها قبل وقوعها، لتجنيب التجمعات البشرية ويلاتها ودمارها الجزئي أو الشامل.

وكل نظرة من هذه التحليلات تختلف بنتائجها عن النظرة الأخرى، حتى يميل العقل البشري في نهاية المرحلة البحثية إلى الاستئناس بالتفسير الأقوى والأقدر والأقرب للفهم والعقل والمنطق، فيما تبقى الرؤية الدينية الإسلامية محجوبة عن تبوؤ مكانتها الحقيقية والصحيحة بين عالم المتطلعين والشغوفين بالحقيقة، أو مقصورة على فئة ضئيلة من المستنيرين، تدور في فلكهم ولا تعدوهم لمن هم بحاجة ماسة إليها، إذ لعلها تكون لهم معبرا حقيقيا للإيمان والقفز السريع لعالم الفضيلة الخلقية والحقيقة العلمية والراحة النفسية والروحية.

ولعلنا بهذه القراءة الاستقرائية الوصفية التحليلية السريعة نضع بصمات واضحة على غوامض هذه القضية، ونعرضها حسب سياقها القرآني، دون أن نتغافل عن أن عرضنا لها وفق السياق القرآني يدخل ضمن نسق الرؤية الإيمانية للفرد المسلم المؤمن بما أنزل الله على رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، وبما أخبرنا به في القرآن الكريم عن طريق سيدنا رسول الله ﷺ بسببية إهلاكه وتعذيبه وأخذه للقرى وللتجمعات البشرية الظالمة.

الكوارث في القرآن الكريم

يمكننا رصد سيلٍ كبيرٍ من القصص والحوادث والكوارث البيئية والتدميرية الشاملة من خلال استقراء آي الذكر الحكيم، كما يمكننا رصد العديد من الملمات والزلازل والأحداث والسيول والفيضانات والانهيارات والتفجيرات البركانية الهائلة التي مست التجمعات البشرية، والتي ترجع- حسب العرض القرآني- إلى الإعراض عن اتباع ذكر الله والاستهزاء بذاته سبحانه وتعالى وبرسالاته لأنبيائه، النكوص عن الوفاء بعهد أبينا آدم عليه السلام الذي قطعه أمام ربه بعد أن تاب عليه، والإفساد والطغيان والظلم والاستكبار والعلو بغير الحق في الأرض، وليس لها في القرآن أي تفسير غير هذا، ولعل الدراسة الاستقرائية التحليلية لآي الذكر الحكيم التي سنرتادها هي ما يكشف لنا خفايا العرض القرآني لهذه الظاهرة ولتفسيراتها الدينية، حيث نؤمن ونعتقد نحن المسلمين أن مقدار الإعراض عن منهج الله موجب مقدارا عادلا وموازيا ومكافئا منه سبحانه وتعالى لحجم ذلك الإعراض البشري، علّهم يتأدبون، أو يرتدعون، أو يتوبون.

وقد تناولناها من خلال بعدين متناظرين، حيث يكون الإفساد والظلم وسائر

أستاذ الإعلام في الجزائر

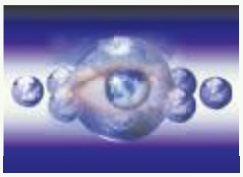

المفاسد والمناكر الأخرى معابر لاستحقاق غضب الله وعقابه، كما يكون بأس وعذاب وبطش الله سبحانه وتعالى جزاء مقابلا لسوء أفعالهم، هو ركن رئيس ومهم لتفسير طبيعية الكوارث البيئية في النظرة الدينية الإسلامية.

وقد كثرت مواضع الإهلاك والتدمير والأخذ بالعذاب الشديد والخسف والرجم والسحق في القرآن الكريم، وجاءت السيول من الحوادث المرعبة مرتبطة تارة بالمدينة، وتارة بالقرية والقرى، وتارة ثالثة بأسماء الجبابرة والمعاندين، وتارة رابعة بأسماء الأقوام المهلكة كعاد وثمود، وتارة خامسة بأسماء أنبيائهم كشعيب وصالح وهود ونوح... وتارة أخرى في معرض مواساة رسول الله ﷺ عن إعراض قومه عن دعوة ربهم.

كما ورد في النص القرآني سبب الإهلاك الذي لا يخرج في عمومه عن الإعراض عن اتباع منهج الله سبحانه وتعالى، فضلا عن ممارسة الحياة بالطريقة البهيمية وما بعد البهيمية، كأفعال قوم نبي الله لوط عليه الصلاة والسلام.

نماذج من العقاب الإلهي في القرآن الكريم كما تبينه الجداول التالية:

١ – جدول رقم ١ «الخسف»:

جدول رقم (١) يبين لنا الآيات التي تناولت الخسف ومشتقاته كأحد موجبات العقاب الإلهي.

الآيـــــة	رقمها	السورة	نزولها
١ –﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾	٨١	القصص	مكية
٢ – ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾	٨٢	القصص	مكية
٣ – ﴿وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين. فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾	٣٩، ٤٠	العنكبوت	مكية
٤ – ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب﴾	٩	سبأ	مكية
٥ – ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾	٤٥	النحل	مكية
٦ – ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا﴾	٦٨	الإسراء	مكية
٧ –﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور . أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾	١٦، ١٧	الملك	مكية

والمتمعن في هذا الجدول يتبين ما يلي:

١ – أن الله استعمل مصطلح الخسف كأداة من أدوات التدمير والإهلاك.

٢ – أن مصطلح الخسف ارتبط في القرآن الكريم بقارون الطاغية، وبالحديث عن القرون والأمم والقرى التي تبين أنها أُهلكت بالخسف.

٣ – أن مصطلح الخسف ارتبط بالجبابرة الثلاثة فرعون وهامان وقارون.

٤ – أن مصطلح الخسف جاء مرتبطا بالاستكبار في الأرض.

٥ – أن مصطلح الخسف جاء في معرض الندم.

٦ – أن مصطلح الخسف جاء مقترنا بالدعوة للتوسم والرؤية والنظر.

٧ – أن مصطلح الخسف ارتبط بالأرض والتربة.

٨ – أن مصطلح الخسف ارتبط بحالة الموران والزلزلة التي تصير إليها الأرض.

٢ – جدول رقم ٢ «البأس»:

جدول رقم (٢) يبين لنا الآيات التي تناولت البأس ومشتقاته كأحد موجبات العقاب الإلهي.

الآيـــــــة	رقمها	السورة	نزولها
١ – ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾	٤٣	الأنعام	مدنية
٢ – ﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يُرد بأسه عن القوم المجرمين﴾	١٤٧	الأنعام	مدنية
٣ – ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا...﴾	١٤٨	الأنعام	مدنية
٤ – ﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون﴾	٤	الأعراف	مكية
٥ – ﴿فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلاّ أن قالوا إنا كنا ظالمين﴾	٥	الأعراف	مكية
٦ – ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون﴾	٩٧	الأعراف	مكية
٧ – ﴿أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون﴾	٩٨	الأعراف	مكية
٨ – ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾	١١٠	يوسف	مكية
٩ – وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين. فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون.	١١،١٢	الأنبياء	مكية
١٠- ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾	١٦٥	الأعراف	مكية

والمتمعن في هذا الجدول يتبين ما يلي:

١ – أن الله استعمل البأس كأداة من أدوات التدمير والعقاب.

٢ – أن قسوة القلوب مدعاة لجلب غضب الله سبحانه وتعالى واستحقاق عقابه وبأسه.

٣ – أن النسيان لتعاليم الله مدعاة لاستحقاق عقابه وحلول غضبه وبأسه.

٤ – أن ترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كآلية من آليات الاستمرارية الفردية والاجتماعية والكيانية للأمة موجب لعموم وانتشار الفساد والرذيلة وبالتالي وقوع غضب الله.

٥ – أن المعرضين عن منهج الله ومكذبي الرسل حازوا مصطلح «المجرمين» في التعبير القرآني، فالمجرم هنا هو المعرض عن منهج الله.

٦ – أن البأس والعذاب يُردان عن الطيبين الصالحين الذين يفوزون بالنجاة في الدنيا والرضوان في الآخرة.

٧ – أن عملية الفصل والإنجاء والحماية للفئة المؤمنة ساعة الهرج والمرج، وحين وقوع الغضب تتكفل بها قوى خفية من عند الله سبحانه وتعالى، تُعرف في سياقاتنا الإيمانية بجنود الله وملائكته.

٨ – أن عذاب الله سبحانه وتعالى يقع بالمعاندين في أوقات شتى من الزمن، وقد بين لنا أن العذاب يحيق بهم تارة وهم نائمون، وتارة ضحى وهم لاهون لاعبون.

٩ – أن مصطلح البأس نزل مرتبطا بالكذب والكفر والشرك والظلم والإجرام.

١٠- أن مصطلح البأس ورد في السور المكية والمدنية على سواء، ما يرجح أهمية هذه القوة التدميرية الإلهية التي ستنزل بالأقوام متى ما وفروا أسباب هلاكهم.

وهناك آيات كثيرة تناولت جانب التدمير والإهلاك ومشتقاته وبعضها تناول الإهلاك بالصدمة والصاعقة والزلزلة والعذاب وغير ذلك.

والخلاصة أن هلاك الأمم، وتدمير الممالك، وتقويض العمران، وأخذ الظالمين، نتيجة منطقية وطبيعية لما قدموه في حياتهم الدنيا، فيعجل الله العذاب لهم في القريب العاجل، ويدخر لهم النصيب الأوفر في الغد الآجل. فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يُعلنوا بها إلاّ فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا. ولم ينقصوا المكيال والميزان إلاّ أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم. ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلاّ مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا. ولم ينقضوا عهد الله ورسوله إلاّ سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم. وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلاّ جعل الله بأسهم بينهم» (أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، حديث رقم ٤٠٠٩).

فهل نعتبر؟ وهل نتعظ؟ وهل نعي هول الموقف؟ أم على قلوب أقفالها وعلى عقول أغلالها؟ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

هوامش

(١) المرجع: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة خسف، ومحمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للكتاب، لمعرفة سبب النزول.

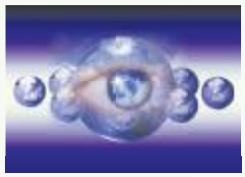

أثر الصناديق الوقفية الكويتية في دفع عجلة التنمية

التحرير

لقد جاء التوجيه التنموي في القرآن ملائمًا لطبيعة الإنسان، وطموحات إرادته، وتطلعاته الفكرية كي تتفجر طاقاته الإبداعية، وتنمو تخصصاته العلمية، ويصبح عنصرًا مؤثرًا في الكون، ويضبط مساره الحضاري، ويرتفع مستوى استيعابه الأدبي والفني ا تحتاجه النهضة ويتطلبه الواقع الإنساني، ويوجبه التحرك نحو الأمام وبناء عالم الغد، والاستفادة من كنوز الأرض في صناعة الحياة.

لقد أسفرت الأبحاث والدراسات، وخلصت نتائج الحوار والمناقشات التي دارت حول واقع الوقف في الكويت وسبل النهوض به إلى نتائج عدة، لعل من أهمها التأكيد على ضرورة استحداث صيغة عصرية للعمل الوقفي يتم من خلالها الجمع بين الدعوة لإحياء سنة الوقف، وتطوير مجالات صرف ريعه، وتفعيل دوره داخل المجتمع.

والصيغة الجديدة التي رجحتها الأبحاث والدراسات، واختارتها الأمانة العامة للأوقاف هي صيغة الصناديق الوقفية، التي تتلخص فكرتها في إيجاد قالب تنظيمي، يتمتع باستقلالية نسبية، يختص بالدعوة للوقف، والقيام بالأنشطة التنموية للوقف في المجالات التي يرد تحديدها في قرار إنشاء كل صندوق، وذلك من خلال خطة متكاملة تراعي احتياجات المجتمع وأولوياته، وتأخذ في الاعتبار ما تقوم به الجهات الرسمية والشعبية من مشروعات أخرى.

أهداف الصناديق الوقفية

تستهدف الصناديق الوقفية المشاركة في الجهود التي تخدم إحياء سنة الوقف عن طريق طرح مشاريع تنموية في صيغ إسلامية، للوفاء باحتياجات المجتمع، وطلب الإيقاف عليها، بالإضافة إلى حسن إنفاق ريع الأموال الموقوفة لتلبية الاحتياجات الاجتماعية التي يفرزها الواقع من خلال خطة تراعي الأولويات وتحقق الترابط بين المشروعات الوقفية، وبينها وبين المشروعات الأخرى التي تقوم بها الأجهزة الحكومية وجمعيات النفع العام.

مجالات عمل الصناديق

تمتد مجالات العمل التي تغطيها الصناديق إلى معظم متطلبات التنمية وتفي باحتياجات شعبية على مساحة عريضة تتسع لتشمل قضايا متعددة من بينها: تنمية البيئة، رعاية المعاقين والفئات الخاصة، خدمة القرآن الكريم وعلومه، المساهمة في دعم التطوير العلمي، قضايا الثقافة والفكر، التنمية الصحية، رعاية المساجد، والتعريف بالإسلام.

وغير ذلك من مجالات العمل التنموي ومشروعات الخيرات العامة التي يكشف عنها الرصد المستمر لاحتياجات المجتمع.

النتائج المتوقعة لنشأة الصناديق

أ- إحياء سنة الوقف بتجديد الدعوة لها من خلال مشروعات ذات أبعاد اجتماعية ودينية في إطار شرعي يكون أقرب إلى نفوس الناس وأكثر تلبية لرغباتهم.

ب - تجديد دورية الوقف التنموي في إطار تنظيمي يحقق التكامل بين مشروعات الوقف ويراعي الأولويات وينسق بينها.

ج - ترشيد العمل الخيري من خلال طرح نموذج جديد يحتذى به.

د- تلبية احتياجات المجتمع والمواطنين في المجالات غير المدعومة بالشكل المناسب من قبل الدولة أو المؤسسات الشعبية.

هـ - إيجاد توازن بين العمل الخيري الخارجي والعمل الخيري الداخلي.

و - تحقيق المشاركة الشعبية في الدعوة للوقف، وإدارة مشروعاته.

ز-منح العمل الوقفي مرونة وانطلاقا من خلال مجموعة قواعد تحقق الانضباط، وفي ذات الوقت تضمن تدفق العمل وانسيابه.

وفيما يلي صورة موجزة عن صناديق الوقف التي تم إنشاؤها:

١- الصندوق الوقفي لرعاية الأسرة

الأسرة نواة المجتمع، وخليته الأولى، وعلى قدر قوتها وتماسكها تكون قوة الدولة وصلابتها، وقد أحدثت التغيرات الكبيرة التي مرت بالمجتمع تأثيرات متفاوتة في البنيان الأسري، بعضها يتسم بالسلبية، وقد نتج عن تلك العوامل ظواهر متعددة تحتاج إلى جهاز متطور يصرف اهتمامه إلى رعاية الأسرة وتوفير أوجه الرعاية المناسبة لها لمعالجة الظواهر المشار إليها وللعمل على زيادة قوة الأسرة من خلال المناخ الذي يساعد على تمسكها وتلاحمها فضلا عن حمايتها من الوقوع في المشكلات الأسرية، لذلك أنشأت الأمانة العامة للأوقاف الصندوق الوقفي لرعاية الأسرة وخصصت له أموالاً موقوفة قيمتها مليونا دينار، وعهدت إليه باتخاذ كل ما يلزم لدعم الأسرة ورعاية الأبناء والاهتمام بالمشكلات والظواهر الاجتماعية والتبصير بوسائل معالجتها.

٢- الصندوق الوقفي للتعبئة المعنوية

يواجه المجتمع الكويتي، شأنه في ذلك شأن المجتمعات الإنسانية كافة، أزمات ومشكلات عامة، تتطلب مواجهتها توفير مناخ نفسي ومعنوي قادر على خلق ارادة جماعية صلبة بإيمان قوي وكلمة موحدة وصفوف مترابطة وجهود متكاملة، ولن يتأتى هذا المناخ إلا بالتصدي

الجاد للدسائس والاشاعات التي تستهدف تفتيت الوحدة الوطنية وتحطيم معنويات المجتمع والنيل من قدراته.

وقد انشأت الأمانة العامة للأوقاف الصندوق الوقفي للتعبئة المعنوية وخصصت له أموالًا قيمتها مليون دينار ليتخذ كافة الوسائل المناسبة لتحقيق الأهداف السابقة.

٣- الصندوق الوقفي للثقافة والفكر

لقد ظلت قضايا الثقافة والفكر لفترة طويلة أسرة لفترة زمنية حتى أصبحت منفصلة عن البيئة الإسلامية ومنقطعة الصلة بالفكر الإسلامي.

وقد آن الأوان لأن يتغير ذلك الإطار ويستعاض عنه بإطار آخر ذي طابع إسلامي لاسيما وأن وسائل الاتصال قد ألغت الحواجز والحدود الثقافية وفتحت نوافذ واسعة للثقافات الأخرى.

ولرعاية الثقافة بفروعها المختلفة واهتماماته المتنوعة، أنشأت الأمانة العامة الصندوق الوقفي للثقافة والفكر ليتولى نشر الثقافة الجادة والواعية وتنمية الفكر المبدع بوسائل متعددة من بينها:

١- دعم الإنتاج والفكر الجاد والعمل على نشره.

٢- تشجيع المواهب الفكرية والثقافية والعمل على توجيهها للأعمال الجادة.

٣- إشاعة الاهتمام بالثقافة الراقية وتشجيع الانفتاح على الثقافات الجادة.

٤- الإسهام في إقامة المعارض والمؤتمرات والندوات الثقافية والفكرية وإقامة المكتبات وتزويدها بالمؤلفات المتميزة.

٥- غرس الاهتمام بالثقافة الجادة في نفوس النشء وتنمية ثقافة الطفل.

٦- الإسهام في تطوير أدوات الثقافة المحلية.

وقد خصصت الأمانة العامة للأوقاف لهذا الصندوق أعيانًا وقفية قيمتها مليون دينار.

٤- الصندوق الوقفي للمحافظة على البيئة

اتسع مجال اهتمامات الوقف في الإسلام ليشمل معظم احتياجات البلاد والعباد، ومن بين تلك المجالات الاهتمام بالمرافق العامة والمحافظة على البيئة واتخاذ كل ما يلزم لمنع المخاطر عنها.

وسيرًا على هذا النهج القويم أنشأت الأمانة العامة للأوقاف الصندوق الوقفي للمحافظة على البيئة وقد خصصت له أعيانًا موقوفة قيمتها مليون دينار.

وتدور اهتمامات الصندوق حول قضايا المحافظة على البيئة وحمايتها من التلوث والإسهام في توفير الحلول المناسبة للمشكلات التي تنجم عن التلوث، وغير ذلك من الأمور التي تساعد على حماية البيئة الكويتية ودفع ما قد يلحقها من أضرار.

٥- الصندوق الوقفي للتنمية العلمية

تؤكد الدراسات التي تناولت التاريخ الإسلامي في عصر ازدهاره وتقدمه أن الوقف قد رعى التقدم العلمي واعطاه مساحة كبيرة من الحرية والاستقلال، فالعلماء الأفذاذ في التاريخ الإسلامي تلقوا علومهم وانشغلوا بأبحاثهم اعتمادًا على ريع الأموال الموقوفة المخصصة لهذا الغرض، ومن بين هؤلاء العلماء محمد الخوارزمي وعمر الخيام وجابر بن حيان وابن سينا والرازي وابن الهيثم وأبو الريحان البيروني، فلم يكن يتسنى لهؤلاء العلماء الأفذاذ أن يتفرغوا للبحث العلمي إلا نتيجة لمخصص لهم من أموال أُنفقت عليهم من الوقف أو ما أوقف من الأموال على المراصد الفلكية وعلى المكتبات التي استخدموها.

وقد اقتدت الأمانة العامة للأوقاف بهذه الحقبة الخصبة من تاريخ الحضارة الإسلامية فأنشأت الصندوق الوقفي للتنمية العلمية وخصصت له أعيانا موقوفة قيمتها خمسة ملايين دينار لدعم ورعاية المبدعين في المجالات العلمية، والإسهام في توفير متطلبات البحث العلمي، وتنظيم الخدمات والمؤتمرات العلمية.

٦- الصندوق الوقفي للتنمية الصحية

اهتم الوقف- منذ قديم الزمن- برعاية صحة المسلم وتنشئته على القوة البدنية والعقلية، لذلك انشترت الأوقاف على المستشفيات وكل ما يؤدي إلى تحسن الصحة العامة للمسلمين.

وقد اقتدت الأمانة العامة للأوقاف بهذا الجزء المشرق من تاريخ الأمة الإسلامية فوجهت جزءًا من الأنشطة الوقفية للاهتمام بشؤون الصحة العامة للمواطنين ودعم جهود المحافظة عليها من خلال الصندوق الوقفي للتنمية الصحية والذي رصدت له أموالًا موقوفة قيمتها خمسة ملايين دينار، وسيعمل الصندوق على دعم جهود الارتقاء بالصحة العامة للمواطنين وتحسين مستوى الخدمات الصحية بالإسهام في الأنشطة التي تؤدي إلى ما سبق ومن بينها:

١- نشر الوعي الصحي بين المواطنين.

٢- دعم الجهات القائمة على توفير الخدمات الصحية والارتقاء بمستواها.

٣- دعم الجهود التي تساعد في المحافظة على الصحة العامة ووسائل الوقاية وأساليب العلاج.

٤- المساعدة على الاستعانة بالخبرات الطبية الأجنبية المتميزة.

٥- المساهمة في الأنشطة التي تستهدف تدريب الكوادر الوطنية العامة في المجال الصحي.

الإعلام العربي وتنمية ذوي الاحتياجات الخاصة

د. محمد مراح

نسجل ابتداء أن القنوات الفضائية العربية المقصودة والمؤهلة لحمل الرسائل الإعلامية للعمل الخيري هي: القنوات التابعة للقطاع العمومي الحكومي، والتابعة للقطاع الخاص، مع استبعاد قنوات المجون والخلاعة والغناء الهابط والتسلية الفارغة، وقنوات الشعوذة، والقنوات التجارية ذات الهدف الربحي التجاري البحت المنبتة الصلة بأية قيمة إنسانية غير مادية.

قد يكون من المناسب ربط موضوعنا بالمسؤولية الأخلاقية الاجتماعية الملقاة على عاتق الإعلام العربي والتلفزيوني الفضائي منه تحديدا تجاه المجتمع؛ لما له من التزامات أخلاقية تقتضيها المهنة والمواثيق الإعلامية من جهة، ومن جهة أخرى فإن الإعلام العربي الذي يعمل في هذه البيئة ملزم حضاريا ومهنيا بأن يتمثل القيم التي يدين بها الجمهور المستهدف والمخاطب برسائله الإعلامية كافة، ولا نرى نوعا من الإعلام والقنوات الفضائية يحق له أن يتنصل أو يشذ عن هذا الإلزام، وأن ما نراه يبث من برامج وحصص وأعمال إعلامية وفنية تصادم هذا الأمر إنما هو شذوذ وخروج عن الميثاق الذي بمقتضاه تبث قناة تلفزيونية عربية برامجها، حتى وإن لم تنص القوانين والمواثيق والتراخيص بالبث صراحة على ذلك، فنحن نرى أن الثوابت الأخلاقية والقيم الحاكمة في المجتمع العربي لها من القوة والسلطان ما يفوق كل القوانين والمواثيق؛ لأنها من المفترض أن تُستمد من تلك القيم والمبادئ والأخلاقيات. وعليه فإن من حق الجمهور العربي بقطاعاته العريضة التي تتأذى من البرامج الهابطة أن تقاضي تلك القنوات المنحرفة استنادا إلى ما ذكرنا من مركزية وقوة تلك القيم والمواريث.

ومن المسؤوليات الأخلاقية المنوطة بالإعلام الفضائي العربي إحياء الفضائل الأخلاقية الأصيلة في المجتمع العربي المسلم في أغلبه كالولاء للأسرة وطاعة الوالدين والطابع الإنساني، وأهمية التربية، وقيم الإتقان والاجتهاد(١)، والعمل الخيري لمصلحة الأشخاص ذوي الإعاقة مشمول في العمل الإنساني الذي هو من أوكد الواجبات الإنسانية والدينية.

دور القنوات الفضائية في تنمية العمل الخيري لذوي الاحتياجات الخاصة يمكن للباحث أن يستند فيما يرسمه من آفاق وإستراتيجية للعمل الخيري الذي تقوم به القنوات الفضائية تجاه ذوي الاحتياجات الخاصة إلى مؤيدات دافعة لهذا الدور أهمها: العامل الديني (الشرعي الإسلامي): وفي الوقت الذي يعتقد فيه الناس أن هذه الفئة الاجتماعية هي التي في حاجة للفئات الاجتماعية السوية، تأتي مبادئ الإسلام الخلقية السامية لتجعل المجتمع برمته هو الذي في أشد الحاجة للفئة الضعيفة فيه أثناء أصعب الفترات والظروف التي يمكن أن يمر بها، بل هو مدين لها حتى في استمرار وجوده؛ فعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما قال»: رأى سعد أن له فضلا على من دونه، فقال النبي ﷺ هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم» (رواه البخاري)

فالضعفاء بهذا هم سبب استمرار الوجود المادي للمجتمع وسر قوته ومنعته وعزته في التصور الإسلامي، وبالتالي تصبح رعاية ومعاملة هذه الفئة كسائر الضعفاء قاعدة ذهبية وغاية اجتماعية يجند المجتمع برمته لتحقيقها، فترتفع معنويات ذوي الاحتياجات الخاصة، ويشعرون بمكانتهم المميزة في مجتمعهم(٢). ومن التطبيقات الفريدة في تاريخ الإنسانية لهذا المبدأ الذي وعاه الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم عن نبي البشرية والرحمة ﷺ، ما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتا ثم دخل بيتا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني لما يصلحني ويخرج عني الأذى. قال طلحة

أكاديمي جزائري

ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع) (رواه أبونعيم في الحلية)

إذا وعى الإعلاميون والجهات المالكة لتلك القنوات الفضائية هذا الموقف الإسلامي السامق لم يسعهم إلا أن يطوعوها في كل ما يخدم هذه الفئة مصدر قوة المجتمع الإسلامي.

وقد أثبتت الدراسات الميدانية أن هناك اتجاها إيجابيا مجتمعيا نحو تقبل المعاقين، باعتبارهم عنصرا لا يجب فصله عن قطاعات المجتمع(٣)

مما يسهل مهمة الإعلام الفضائي في تفعيل وتنمية العمل الخيري عموما؛ حيث تسهم وسائل الإعلام في حشد المؤسسات الخيرية العاملة في مجال خدمة المعاقين(٤).

وإنه ليتحتم علينا الانخراط في التوجه العالمي لخدمة قضايا الإعاقة، ودمج المعاقين في مسار التنمية الإنسانية الشاملة، باعتبارهم جزءا أساسيا من المجتمع كامل الحقوق والمساواة مع غيرهم كذلك ينبغي أن يكون دور القنوات الفضائية في تنمية العمل الخيري لذوي الاحتياجات الخاصة وفق إستراتيجية إعلامية واضحة ومحددة، تدعو إلى توفير رعاية كاملة من مؤسسات المجتمع كافة، في ظل ما يمكن توفيره من قدرات في إطار التنوع الإعلامي الذي تشهده منطقتنا العربية(٥).

وحول المؤسسات الإعلامية (التلفزيون والقنوات

يتحتم علينا الانخراط في التوجه العالمي لخدمة قضايا الإعاقة ودمج المعاقين في مسار التنمية الإنسانية الشاملة

الفضائية) يشخص د.الطريقي في موسوعته وضع الإعلام العربي تجاه موضوعة الإعاقة والمعاقين، وما ينبغي من إصلاح وفق إستراتيجية واضحة فيقول: «في ظل ثورة الإعلام والاتصال وانتشار الفضائيات والشبكة العنكبوتية، تغدو الإستراتيجية الإعلامية هاجسا لا يمكن التغاضي عنه، بل يجب الاعتماد عليه. وللحقيقة فإن إعلامنا العربي المقروء والمسموع والمرئي إعلام فقير وشحيح من هذه الإستراتيجية تجاه ذوي الاحتياجات الخاصة، وحتى ما يشكله ظهور بعض البرامج الإعلامية بهذه المساحة التي تطفو على السطح لا تكاد تخلو في كافة وسائلنا الإعلامية من العيب أو النقص في الجانب العددي أو الإعدادي والفني، وهو ما ينعكس سلبا على الجمهور المتلقي ويجعله دائم النفور منها باستثناء من يعيش الحالة أو يتعايش معها، وهي برامج إعلامية تخطئ جمهورها المستهدف، فغالبا ما تستهدف ذوي الاحتياجات الخاصة أنفسهم، مع أن الحاجة الإعلامية الملحة والضرورية هي في إيجاد إعلام يستهدف جمهور العامة للتوعية والتحقيق بقضايا الإعاقة تحت شعار «الوقاية أولا» ثم التأهيل بكافة مسمياته الطبية والاجتماعية والنفسية»(٦).

فالإستراتيجية الإعلامية لخدمة موضوعة الإعاقة إعلاميا إذن هي الإطار الضروري والمناسب لتأدية المهمة، وتفعيل تنمية العمل الإعلامي الخيري، فيجب وضع احتياجات المعاقين الإعلامية في أولوية السياسات والخطط والبرامج التي تتبناها وسائل الإعلام المطبوعة والإلكترونية بحيث يخصص لهم مساحات وبرامج تلبي احتياجاتهم وتشبع تطلعاتهم (٧).

فإن الإعلام الخيري الفضائي يمكنه أن يلعب أدوارا مهمة في مجال التأهيل والدمج وتصحيح الاتجاهات السلبية تجاه المعاقين، وبإمكانه أن يستعين في أداء رسالته السامية هذه بقادة الرأي، خصوصا العلماء والقادة والمربين؛ لتأثيرهم النوعي والعميق في الجمهور العربي المسلم، فالجماهير «تضعهم في منزلة أسمى من منزلة غيرهم، فالناس تلتف حول هؤلاء القادة الذين يستطيعون توحيد صفوفها وإرشادهم باعتبارهم رمزا واضحا لما يؤمنون به، وانطلاقا من أن فكر هؤلاء القادة يحوي كل ما تحفل به هذه الجماهير من معان وقيم تقوي روحها المعنوية وتدفعها إلى الانطلاق لدفع عجلة الحياة في مختلف الميادين «(٨).

هوامش

١- ماجي الحلواني، الإعلام وقضايا المجتمع، د.ط، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٦، القاهرة، مصر، ص١٧.

٢- محمد مراح، «رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة في السنة النبوية»، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثاني للفكر الإسلامي للجامعة الوطنية بماليزيا، أكتوبر، ٢٠٠٩.

٣- محمد رضا أحمد، «الاتجاهات الحديثة في الإعلام الموجه لذوي الاحتياجات الخاصة»، في محمد معوض إبراهيم وآخرون الاتجاهات الحديثة في إعلام الطفل وذوي الاحتياجات الخاصة ص٢٨٤.

٤- عبدالعزيز بن علي المقوشي «دور الإعلام في خدمة قضايا الإعاقة» بحث مقدم للملتقى السابع للجمعية الخليجية للإعاقة ٦-٨ مارس ٢٠٠٧.

× انظر: اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، الأمم المتحدة، الديباجة خصوصا البنود: ج ز م س ص ت ذ ذ

٥- محمد رضا أحمد، «الاتجاهات الحديثة في الإعلام الموجه لذوي الاحتياجات الخاصة»، ص٣٣٤.

٦- الطريقي، محمد الطريقي. موسوعة البروفيسور الطريقي، للتنمية والديمقراطية وحقوق الإنسان؛ ط١الرياض، السعودية: العالم للطباعة والنشر والتوزيع، ص٣٢٠، ٣٢١.

٧- د.حمود بن أحمد الخميس د.عبد الحافظ بن عواجي صلوي، « احتياجات المعاقين الإعلامية ومدى إشباع وسائل الإعلام لها»، بحث مقدم للملتقى السابع للجمعية الخليجية للإعاقة ٦-٨ مارس ٢٠٠٧.

٨- محيي الدين عبدالحليم، الرأي العام في الإسلام، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م ص٢٤٥.

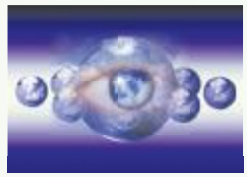

الإنسان والتنمية في ضوء المنهج القرآني

د.محمود حسن محمد

جاء التوجيه التنموي في القرآن ملائمًا لطبيعة الإنسان، وطموحات إرادته، وتطلعاته الفكرية كي تتفجر طاقاته الإبداعية، وتنمو تخصصاته العلمية، ويصبح عنصرًا مؤثرًا في الكون، ويضبط مساره الحضاري، ويرتفع مستوى استيعابه الأدبي والفني ا تحتاجه النهضة ويتطلبه الواقع الإنساني، ويوجبه التحرك نحو الأمام وبناء عالم الغد، والاستفادة من كنوز الأرض في صناعة الحياة.

لا يمكن اعتبار التنمية أنها استخدام التكنولوجيا المتقدمة، لأن من يقول بذلك ينسى أن التكنولوجيا إنتاج اجتماعي، فالثورة التكنولوجية في البلدان الغربية وفق هذا الأساس الخطأ، هي تعبير عن تقدم طبيعي يتضمن نوعًا من التناسق بين التقدم المادي، والأنماط الفكرية، والثقافية، والسياسية السائدة في المجتمعات.

ويمكن النظر للتنمية على انها عملية الارتقاء الحضاري المعبر عن إرادة الإنسان وتطلعاته انطلاقًا من مسؤولية الإنسان عن عمارة الأرض حسب طاقاته الفكرية وقدرته المادية.

فهي من جانب الشخصية الإسلامية لا تعرف التبعية أو الانهزامية النفسية التابعة لغيرها، ولا تتعامل برد الفعل والتداعي الفكري أو التراكمي والتعقيبات على هوامش الآخرين بل هي ذات فكر مبدع مستقل وعقل متحرر من قيود الزمان، والمكان، ومنطلق من ظرفيتها.

الإسلام والتنمية

ولسائل أن يسأل: ما الحكمة من كون مناهج التنمية في القرآن الكريم ومفاهيمها الأساسية وصيغها وأسباب انعدامها وكل المحاور المرتبطة بها، غير مبينة في سورة واحدة، أو تحت عنوان واحد، بل هي مبثوثة في كامل القرآن الكريم، بصيغ مختلفة، وصور متباينة؟

لاشك أن القرآن الكريم كتاب «حياة»، وليس من طبيعة الحياة التجزؤ ولا الانحياز، فالحديث عن التنمية حديث عن جوانب «الحياة» كلها التربوية منها والاقتصادية والفكرية والاجتماعية والسياسية، ومجرد حشر التنمية تحت عنوان واحد أو سورة واحدة خروج عن المنهج الأمثل في التعامل مع هذا الموضوع الخطير، وبالتالي، فإن شمولية التنمية وتكاملها هما أبرز سمة من سمات التنمية في القرآن الكريم، فمنهج معالجتهما ينبغي أن يكون بالتبع منهجًا شموليًا متكاملاً، ولا يفهم من هذا- بالطبع- أن يغرق الموضوع في عموميات لا نهاية لها، ولا أن ينظر إليه على أنه مرادف لكل المواضيع، يأخذ منها ويرجع إليها، حتى وإن كانت بعيدة، ذلك أن مثل هذا التعميم كفيل بتضييع المنهج والمبنى وإفساد المقصد والمعنى.

القرآن الكريم كتاب «حياة» وليس من طبيعة الحياة التجزؤ ولا الانحياز

ومن أبرز ملامح المنهج القرآني في التنمية اعتبار العقل الواعي أساس الانطلاق التنموي، فهو يعطي العقل الإنساني قيمة كبرى ليصل بالإنسان للتفكير السليم، والانفتاح العلمي الذي يكشف آيات الله وأسرار الطبيعة، ويعين الإنسان كي يبني منظومة التنمية بطريقة تحميه من الفساد، قال الله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾ (البقرة: ٢٤٢).

في إطار العلاقة بين الإسلام والتنمية فإن الإسلام يحقق الكثير من المزايا لعملية التنمية، فهو يوفر الإطار المرجعي لعلاقة الإنسان بالجماعة والقانون والأخلاق، وتنمية وتدعيم وحدات الانتماء الفرعية بما يقدمه ذلك من قدرة على التسيير الذاتي لها واحتضان الانسان منها، اضافة إلى انه كذلك يقدم إنسانًا سويًا منتهجًا ومستهلكًا للتنمية وما يوفره ذلك من مناخ موات يتحقق في إطار عملية التنمية على أساس مكين.

والقرآن في عرضه لمختلف مجالات التنمية وأنواعها دقيق كل الدقة، واضح غاية الوضوح، لا لبس فيه ولا إيهام، فمن ذلك مثلا قوله تعالى، في الحديث عن التنمية الزراعية: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون. وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون. ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون﴾ (يس: ٣٣-٣٥) فالآيات أبرزت حدود عمل الله تعالى، ولم تلغ عمل الإنسان وجهده وعلمه، شأن بعض المفهوم الخطأ لسنن الكون، ذلك أن نتاج الإنسان من أسباب الازدهار المنشود، وأن عمله من مقدمات التنمية الحقة، فقوله تعالى: ﴿وما عملته أيديهم﴾، أي ليأكلوا مما عملت أيديهم وهو الغروس والحروث التي تعبوا فيها.

ثم إن الشكر كذلك سبب من الأسباب ومقدمة من المقدمات وبالتالي، فإن الشطر الأول- أي العلم والعمل- مفهوم وواضح

باحث أكاديمي

لدى كل الشعوب والمجتمعات، حتى وإن كانت كافرة أو ملحدة، أما الشطر الثاني فيحمل اضافة بارزة وبديعة ألا وهي : «شكر النعمة»، وهنا يتضح الفرق الجوهري بين المنهج القرآني والمناهج الفكرية الأخرى، قال تعالى: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ (إبراهيم: ٧)، وقال: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون. وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون. ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾ (يس: ٧١-٧٣)، وما غاص باحث في آية من آيات التنمية في القرآن الكريم إلا وبهرته هذه الدقة وذلكم الوضوح، فهذه سمة ثانية من سمات منهج القرآن في معالجته لموضوع التنمية.

مسؤولية وإعمار

إن الارتقاء الصناعي ضرورة لدعم المبادئ والاكتمال الحضاري لباب المجتمعات السليمة، والمسلمون الذين يعتبرون الدين شارة فردية أو مسلكًا هم أفراد مرضى، والذين لا يفرضون أنفسهم على بيئتهم، ويملكون زمام توجيهها، وتسخيرها لعقائدهم هم جماعات من الهمل لا وزن لهم في الحياة، وليس الأمر ادعاء أو مزاعم جزئية، أو هتافًا عاليا.. إنه عقل ذكي يكشف، وخلق صلب يسود، وسلوك عام يذلل الصعب، ويقرب البعيد، ويحسن عبادة ربه في المنجم، والمرصد، وفي طبقات الجو، وطبقات الأرض، وفي أغوار النفس، وأطوار المجتمع، وأعباء الدولة.. ومن لا ثقافة له تعين على ذلك فهو عبء على الدين، وليس صاحب دين.

والتنمية من مدخلها الاقتصادي مرحلة متطورة تأتي بعد مرحلة النمو الاقتصادي، الذي يعني ارتفاع النسبة المئوية للإنتاج العام مقاسًا بالأسعار الثابتة، أي الارتفاع الحقيقي للدخل القومي. إذن يمكن للبلد الذي يعتمد اقتصاده على انتاج وتصدير النفط والغاز والفحم والقهوة أو الحديد، أن يحقق نموًا اقتصاديًا عن طريق رفع إنتاج هذه المواد (طبعًا شريطة ألا تنخفض أسعار هذه المواد في الأسواق العالمية)، لكن هذا النمو السريع، وغير الثابت لا يؤدي بالضرورة إلى التنمية الاقتصادية، التي تعرف من خلال ثلاثة مصطلحات: الخطة، والدخل القومي الحقيقي، والأجل الطويل.

فالتنمية الاقتصادية ينبغي ألا تفهم على أنها تغيّر كمالي سطحي مرحلي عابر يقتصر على عنصر معين من عناصر التنمية، إنما هي خطة معقدة ومتشابكة تستهدف تغييرًا جوهريًا في البنيان

الاقتصادي، يمتد ليمس كافة العلاقات الاقتصادية، ويسفر عن رفع معدل الانتاجية بقدر كفاءة استخدام الموارد القومية والعالمية والمستوى التكنولوجي المتاح.

عناصر التنمية في القرآن الكريم

يصعب حصر جميع عناصر التنمية الواردة في القرآن الكريم، لكن عملية مسحية أولية تبرز لنا عددًا منها، ولعلها هي الأهم، وهي على التوالي: رأس المال، والثروات الطبيعية والآلية (أو التكنولوجيا كما تعرف اليوم) والإنسان والشكر والوقت والغيب والإدارة والتخطيط والعلم والعمل وتوجيه الطاقة.

لاشك أننا لو حاولنا تصنيف هذه العناصر تصنيفًا منهجيًا فسنجد أنها تنقسم إلى محاور ثلاثة هي:

الموارد: وتتمثل في رأس المال، والثروات الطبيعية، والوقت.

الغيب: ويتمثل في مشيئة الله تعالى وقدرته، وفي شكر نعمه.

الإنسان: ويندرج ضمنه كل من الإدارة والتخطيط والعلم والعمل وتوجيه الطاقة.

نركز هنا على محورية الإنسان في التنمية، بناء على المنهج القرآني، فالأقوات التي قدرها الله عز وجل في الأرض موجودة، لكنه سبحانه ربطها بفقه تنموي للحصول الصحيح عليها كي يعمل الإنسان - الذي هو محور التنمية- في طاقة الأرض وعناصرها.

عناصر التنمية في قصة ذي القرنين

في قصة ذي القرنين التي جاءت مفصلة في أواخر سورة الكهف، نجد عناصر التنمية الأساسية واردة بصيغ مختلفة، وهي من أفضل النماذج التي تلج بنا إلى هذا الموضوع، فمن ذلك أن ذا القرنين لما بلغ ﴿بين السدين﴾ (الكهف: ٩٣) أي بين الجبلين، وجد قوما ﴿لا يكادون يفقهون قولًا﴾ (الكهف: ٩٣)، وهو الذي مكن الله تعالى له، وآتاه من كل شيء سببًا.

وهنا نلاحظ التقابل بين قوم ينتمون إلى مجتمع غير نام، ورجل عظيم جاء من محيط نام، فالقوم متصفون بصفات الضعف والوهن، والتخلف والجهل، ولم يقدروا على رد يأجوج ومأجوج الذين تسلطوا عليهم وأفسدوا أرضهم.. أما ذو القرنين فقد بلغ ذروة التنمية، فمكن الله تعالى له في الأرض، وآتاه من كل شيء سببا، أي «سلطانا وطيد الدعائم، ويسر له أسباب الحكم والفتح، وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع... وسائر ما من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة.

﴿ثم أتبع سببًا﴾ (الكهف:

٨٩) أي سخر ما وهب له من النعم في خدمة غايته وهدفه، ولم يضيع ذلك هباء، ومن المؤكد في علم الإدارة أن توجيه الطاقة وضبط الغاية وتحديد الأهداف هي أهم مراحل التخطيط، والتخطيط الاستراتيجي، من أجل تنمية مستدامة وشاملة.

واللافت للنظر أن هؤلاء كانوا يملكون المال، والدليل على ذلك قولهم ﴿فهل نجعل لك خرجًا﴾ (الكهف: ٩٤)، وكانوا يملكون اليد العاملة، لذلك أمرهم ذو القرنين بقوله ﴿فأعينوني بقوة﴾ (الكهف: ٩٥)، ثم قال لهم أوان بناء السد ﴿آتوني زبر الحديد﴾ (الكهف: ٩٦)، غير انهم يفتقرون إلى أهم أسباب التنمية على الإطلاق، يفتقرون إلى تمكين الله تعالى وإلى العلم والتكنولوجيا والتخطيط وإلى وضوح الغاية والأهداف.

وقراءة أولية لواقع المسلمين اليوم، وتخلفهم عن سلم الحضارة، وواقع الغرب وتمكنه، تجعلنا نفهم هذه الآيات فهما عميقًا، وتجلي لنا المنهج القرآني في بناء تنمية شاملة، أساسها الإنسان الكفء والفعال، حتى وإن كان غير مالك للمادة والوسائل.

التنمية في الإسلام ربانية المنهج وسطية الانطلاق، تلائم فطرة الإنسان وتطلعاته حيث لا يوجد تغليب للمصلحة الذاتية أو المادة السلطوية وإنما ينطلق الإنسان من خلال هويته الحضارية ليبني ويرتقي بما لا يهدر هويته وقيمته الإنسانية المؤثرة.

وهذا ما نقرأه في المقارنة التي عقدها ذو القرنين بين رأس المال المعبر عنه بالخرج وبين التمكين، فقال: ﴿ما مكني فيه ربي خير﴾ (الكهف: ٩٥)، فرغم اختيار بعض المفسرين أن هذا التمكين يقصد به المال واليسار فإن الصواب- والله أعلم- في توجيه معنى التمكين هو تقديمه للروح الإيمانية، والقدرة العلمية، وكذا التمكين التكنولوجي.

إذن فالإنسان بكل أبعاده هو محور التنمية في هذه الآيات.

وواقعيًا إن الاقتراب من المنهج القرآني، والتعامل الحضاري مع أهدافه التنموية يؤديان إلى الحفاظ على ثوابتنا التنموية، وخصوصيتنا الحضارية وتنمية شخصيتنا الحضارية، فالقرآن والهداية متكاملان بما يؤدي إلى صالح الفرد والمجتمع، أما العنصر البشري في التصور الإسلامي فهو ركيزة لكل تقدم علمي وتكنولوجي.

ولذلك فإن بناء الإنسان المسلم وتكوينه وإعداده لخوض معركة الحياة، وبكل جدارة وكفاءة واقتدار، وبشجاعة القلب وجسارة العقل، ذلك هو الهدف الرئيسي الذي يجب أن يضعه مخططو التنمية الثقافية في العالم الإسلامي، في مقدمة الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها.

وبناء الإنسان لا يتم بالتربية والتعليم فحسب، ولا يقوم بالثقافة والفكر فقط، ولا ينهض بالفن والأدب دون غير، ولكن بناء الإنسان يقوم أساسًا على هذه العناصر مجتمعة، وعلى عناصر اخرى، منها التوجيه الاجتماعي الرشيد، والتزكية النفسية الصحيحة، وإتاحة فرصة الحياة الكريمة التي تكفل للمرء التنشئة السوية في ظل مناخ نظيف يتيح التمتع بالحقوق التي كفلها الله لبني البشر كافة.

عناصر التنمية في قصة سليمان عليه السلام

لقد بلغ سليمان عليه السلام من التطور الحضاري والتنمية في جميع المجالات، مبلغا لم يرتق إليه أحد قبله، وما ذلك إلا للعلم الذي آتاه الله تعالى، وامتن به عليه، حتى بز أباه، قال تعالى: ﴿ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما﴾ (الأنبياء: ٧٩)، وقال: ﴿وورث سليمان داود وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء﴾ (النمل: ١٦).

ولقد برز سليمان عليه السلام في مجالات العلم والمعرفة، مثل السرعة، وفهم لغة الطير، والقتال والحرب، وفنون الإدارة، والحوار والجدل، والسياسة، والعفو والصفح، والعدل والحكم أي في كل ما من شأنه أن يصنع حضارة مثالية شاملة متكاملة الجوانب، تفوق واقع الدول المتطورة اليوم بأشواط، ذلك انها تملك التقنية والآلية، وتفتقر إلى العدل والروح والشكر، والأخلاق، وتعدم القيم الحضارية غير المادية.

فالغرب يبني أسس تنميته على العلم وحده، ويعتقد أن من يملك العلم يملك القرار، هذا هو المستقبل، ومن تنقصه المعرفة تنقصة القدرة على اتخاذ القرار. أما من حيث افتقاد الغرب للأسس القيمية فيقول المفكر مهاتير محمد: «وحسب تقييمنا، فإن أية دولة لا تصبح دولة متقدمة إذا كانت غنية، ولديها التكنولوجيا، ولكن تنقصها القيم الأخلاقية، وهناك مجتمعات غربية كثيرة على سبيل المثال متفسخة أخلاقيا».

فحضارة الغرب تتلمس المزيد من التقدم التكنولوجي الذي أعقب ثورتيها الصناعيتين الأولى والثانية، وتعاني في المقابل تدهور اجتماعيًا وحضاريًا، وقيميًا، فالرقي التقني يقابله انهيار إنساني، ولم تستطع هذه الحضارة حتى الآن حل هذا الذي يبدو وكأنه لغز حضاري.

وليس كل ما يأتينا من الغرب يعتبر تطورًا وتقدمًا فهو يحمل الايجابيات والسلبيات ويتطلب الحضور الواعي في

ليس كل ما يأتينا من الغرب يعتبر تطورًا وتقدمًا فهو يحمل الإيجابيات والسلبيات

التعامل مع منجزاته.

لكن المؤسف من جهة أخرى، أن الدول الإسلامية تفتقر إلى جميع القيم الحضارية التي تعلي من شأن الإنسان، وهذه الأمم تناقض دينها وتسير في غير هديه، فلا هي تمتلك التكنولوجيا والعلم، ولا هي تتحكم في الأبعاد الإيمانية والأخلاقية، لن يغنيها نقل مناهج الغرب في التنمية حرفيا، وإنما عليها أن تفرق بين الروح والشكل.

ولعل السؤال المحير بحق هو: ما الذي دفع بسليمان عليه السلام إلى أن يسأل الله تعالى ملكا لا ينبغي لأحد من بعده؟ أليس هذا من قبيل حرمان الناس من عطاء الله؟! والحق أن قول سليمان عليه السلام ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ (ص: ٣٥)، يتجاوز حدوده البشرية، ويأتي ضمن المقاييس العليا، يأتي من العزيز الوهاب، ولعل الحكمة من ذلك ان الله تعالى جعل أعلى قمة في التمكن والرقي والملك، هي قمة شاكرة للنعم، غير كافرة بالله تعالى، ولا متنكرة لنعمائه وآلائه، حتى لا يقول أحد بعد ذلك: ما دمت أنا الأفضل والأقوى والأغنى...فإني لا أرى مبررا لأن أشكر أحدا أو أعترف بإله، أما وإن سليمان قد بلغ ما بلغ، وهو من الشاكرين، فإن الحجة قد قامت على جميع الناس، دون استثناء.

من هنا نستنتج أن السبب الأقوى من أسباب التنمية الحقة هو «الشكر»، ولقد قال تعالى عن آل داود: ﴿اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور﴾ (سبأ: ١٣)، كما كان أبسط موقف في الحياة يدفعه إلى الشكر، وهذا ما حدث في قصة النملة:﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. فتبسم ضاحكًا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحًا ترضاه﴾ (النمل: ١٨-١٩).

منطلقات حضارية

إن استغلال ثروات العالم الإسلامي وتفعيل قدراته المادية والروحية يسهم حضاريًا في التالي:

١- فمن الإسهام الحضاري للأمة الإسلامية في عالم الغد مشاركتها في صنع التقدم المادي الذي يتجه إليه العالم المعاصر، إذ إن حالة التخلف المادي الذي تعيشه الأمة الإسلامية مدعاة لاستنهاض الطاقات والإمكانات من أجل تلك المشاركة تحقيقًا لمتطلبات التنمية الشاملة التي يحتاجها المسلمون، وقياما بالدور المنوط بهذه الأمة باعتبارها أمة ذات رسالة تحمل في جانب منها الروحانية للإنسان بينما تحمل في الجانب الآخر حاجته المادية، وتحقيقًا كذلك لواقعية الحضارة الإسلامية في تعاملها مع المراحل الزمنية التي تمر بها التنمية الإسلامية تنبع من دين عادل يهتم بكل صغيرة وكبيرة من شؤون الإنسان والحضارة، لا تهتم بإعلاء الغرائز، أو الاستبداد أو إهدار حقوق الضعفاء. وإن محاولة اقناع شعوب العالم برغبة الإسلام في تحقيق الإنسان لن تتحقق إلا إذا عدنا خير أمة تعمل بما تعلم من علم نافع، فحياة المسلم لا تعرف غير عمل الصالحات وإنجاز المهمات، وهبوط الحرارة التنموية لدى شعوبنا الإسلامية لا يجوز التقليل من أخطاره، فقد يحول مجتمعاتنا إلى كتل جليدية متصلبة لا تحرك ساكنًا ولاتغير واقعًا ولا تبني مستقبلا!

٢- إن تقصير المسلمين في الانتفاع بعلوم الأرض سيهبط بتوازنهم الحضاري ليصيبهم بالإخفاق والتقصير في تقديم رسالتهم للإنسان وتوصيلها للعالم من حولهم، فالأمة الإسلامية لكي تكون على مستوى دينها، وكي تنجح في المحافظة عليه، وكي تستطيع إفهامه الآخرين لابد أن تكون راسخة القدمين في شؤون الحياة كلها، بل يجب أن تكون سباقة في شتى الميادين، مسموعة الكلمة في آفاق العلم برا وبحرا وجوا، ومن حق الأمم الكبرى، وهي تحتقر الأمية العلمية الصناعية أن تنظر إلى دعاوى المسلمين وأفكارهم، وقيمهم بريبة، أو بسخرية ما دام المسلمون نماذج رديئة للتخلف الإنساني.

ثمة مفارقة محيرة وهي:

● كون «الإنسان القرآني» إنسانًا حقق جميع متطلبات الحضارة، حتى وان ضعف أحيانًا في الجانب المادي، إلا أنه لا يتأثر، بل يؤسس على الجانب الأهم.

● أن «الإنسان المسلم» اليوم رغم كون القرآن يتلى بين ظهرانيه، إلا أنه متخلف من جميع الجوانب، ولم يستفد من كتابه في بناء حضارة عالمية مشهودة.

● أن «الإنسان الغربي» اليوم حقق انتصارات متوالية في الجانب المادي، وبنى مدنية عالمية غير انه يفتقر إلى الأخلاق والقيم والشكر.

من هنا يجب أن تفكر البشرية اليوم في تنمية شاملة، وحضارة متكاملة، لا تشبه النمط الغربي كلية، بل يجب أن تبنى على النموذج القرآني الذي يستفيد مما أنتجه الغرب من رقي، وتضيف إليه الروح والعمق.

هوامش

١- الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش، ترجمة محمد عدس، مؤسسة بافاريا، ١٩٩٧م ألمانيا.
٢- الإسلام والتنمية الاقتصادية، محمد علي الحسني، مقال في مجلة النبأ، عدد ٥٨.
٣- في ظلال القرآن، سيد قطب.
٤- التعليم العلمي والتكنولوجيا في إسرائيل، صفا محمود عبدالعال، الدار المصرية، اللبنانية، ٢٠٠٢م ، القاهرة.
٥- صوت آسيا، مهاتير محمد، نشر دار الساقي، ١٩٩٨م لبنان.
٦- د. محمد بن موسى، الإنسان محور التنمية في المنهج القرآني، دراسة منشورة بمجلة حراء العدد الرابع (يوليو- سبتمبر) ٢٠٠٦م.
٧- الشكيري عبدالحق، العالم الإسلامي ومعضلة التنمية، ص ٢٠ مجلة الأمة القطرية، شوال ١٤٠٦ هـ.
٨- د.محمد زين الهادي، علم نفس الدعوة، ص ١٥١، ط ١، ١٤١٥، ١٩٩٥م - الدار المصرية اللبنانية.
٩- طارق البشري: الإسلام والتنمية ص ٨٤.
١٠- محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، «ص ٨٢».
١١-د.سعيد عبدالله حارب المهيري، الإسهام الحضاري للأمة الإسلامية، ص١٠.

الأزمة المالية العالمية في معايير الفقه الاقتصادي في الإسلام

أ.د. عبدالحميد البعلي

شريعتنا الإسلامية تملك رؤية واضحة لإصلاح مشكلات المجتمع، وطرحًا تنمويًا لبناء الإنسان الصالح، ومشروعًا متكاملا ينتشل المجتمعات من دوامة الفقر والجوع والجهل والمرض والصراع. كل ذلك بعيدًا عن الكراهية أو الترويج لها تحت أي عنوان ورفض الآخر، بل التعارف والتعاون معه.

هذه الأزمة:

الأزمة المالية العالمية أطاحت بالهيمنة الاقتصادية الأميركية وستصبح أمريكا دولة كبرى وليست دولة مهيمنة اقتصاديًا، وأطاحت بالاستقرار المالي والاقتصادي في البلدان الرأسمالية الكبرى واضطرتها إلى إعداد برامج عملاقة لمواجهة الأزمة من خلال تدخل الدولة وتأميمها الكلي والجزئي لعدد من المؤسسات المتعثرة، وأكدت أن النظام النقدي الدولي الراهن قد فقد مبررات استمراره وأن تغييره أصبح أمرًا ضروريًا، وأكدت أنه لو كان هناك نظام عالمي قوي موازٍ للنظام الرأسمالي لقضى عليه في هذه الأزمة الطاحنة، وأكدت العيوب الجوهرية للنظام الرأسمالي المتمثلة في عدم تحقيق التوازن والحد الأدنى من العدالة في توزيع الدخل من خلال:

-نظام الأجور ودعم الخدمات الصحية والتعليمية والخدمات العامة والدعم السلعي والتحويلات الاجتماعية.

- ومن خلال نظام عادل للضرائب متعدد الشرائح بصورة متناسبة مع المقدرة التكليفية للممولين.

تلك العدالة التي توفر:

- الطلب الفعّال الضروري للنمو الاقتصادي.

- وتنشيط مضاعف الاستثمار بالغ الأهمية لتحقيق النمو الاقتصادي المتواصل.

وأكدت الأزمة ضرورة وضع الدور الاقتصادي للدولة تحت رقابة صارمة، رسمية وشعبية لمنع الفساد وتأكيد دورها الفعال في حفز النمو والتشغيل وضمان عدالة التوزيع للدخل من خلال قنواته وأدواته المشروعة، وأكدت ضرورة وضع إطار قانوني للأخذ بالاقتصاد العيني الحقيقي الزراعي والصناعي والخدمي على حساب الاقتصاد الرمزي من خلال:

- تقييد ومنع المضاربات غير المشروعة على العقارات والأراضي والسلع المختلفة.

- مكافحة الاحتكار.

- حماية المنافسة الشريفة من أجل صالح الاقتصاد والمجتمع.

وقد أصابت الأزمة النظام الرأسمالي الحر المتحلل من الضوابط في مقتل وفرضت الحاجة إلى التنادي إلى الإصلاح والبدائل الشرعية الإسلامية. وبذلك فالأزمة أعطت الفرصة لتقديم سبل العلاج ووسائل الإصلاح لتطوير النظام الاقتصادي الاجتماعي لئلا تتكرر تلك الأزمات التي تصاحبها:

- دورات كئيبة من الركود العميق والكساد الإنتاجي والتجاري.

- مستويات عالية من البطالة والتراجع في مستويات المعيشة.

- وكان النموذج الرأسمالي الحر هو النموذج المثالي لإضعاف الدول النامية وتقسيمها ونموذجًا ملائمًا لنشر الفساد وتسهيل حركة الاقتصاد الأسود. ولم تعد تجدي سبل الإنقاذ لهذا النظام المتداعي من خلال:

- تضامن الدول الرأسمالية والمنظمات المالية الحكومية الدولية والدول الرأسمالية والدول النفطية الغنية.

- استخدام أموال الفقراء والطبقة الوسطى من دافعي الضرائب وأصحاب الحقوق في الموارد الطبيعية والإيرادات العامة من أجل إنقاذ هذا النظام الرأسمالي.

هذه الأزمة بمعايير الفقه الاقتصادي في الإسلام

(١) كشفت انتشار ظاهرة الربح بلا عمل وظهور النشاطات الطفيلية ودورها المدمر في الأزمة مثل:

- المضاربة على العملات والأسهم والمعادن النفيسة وغير النفيسة والسلع الغذائية.

- أعمال اليانصيب وبرامج المسابقات والاتصالات التليفونية لكسب المال بهذا الطريق وبكميات ضخمة.

- ظاهرة الأسواق الآجلة في المواد الأولية مثل النفط والغاز والمعادن والسلع الزراعية، والتي تشمل كل ما هو قابل للاتجار به بما في ذلك القروض لتشكل بعد ذلك «سوق المشتقات» التي وصل حجمها عند انفجار الأزمة أكثر من ٦٠٠ تريليون دولار أي أكثر من عشرة

خبير في اللجنة الاستشارية العليا في الكويت

الأزمة المالية اصابت النظام الرأسمالي الحر المتحلل من الضوابط في مقتل

أضعاف حجم الناتج العالمي مقيسا بالدولار وفقًا لتعادل القوى الشرائية بين الدولار والعملات الأخرى، وكل ذلك على حساب ما هو مقرر في الفقه الاقتصادي الإسلامي من أن أسباب استحقاق الربح ثلاثة: العمل، المال، الضمان.

(٢) هذه الأزمة بمعايير الفقه الاقتصادي في الإسلام، كشفت حجم الاتجار الباطل بالنقود لا فيها:

وذلك ابتداءً منذ أغسطس ١٩٧١ حين تم التخلي عن قاعدة الذهب لكنها التزمت بزيادة الإصدار النقدي بنسب محدودة مرتبطة بالنمو الاقتصادي الأميركي، ثم توسعت في الإصدار ثم بدأت تستخدم وضعية الدولار كعملة احتياط دولية تسوي بها مختلف الدول الجانب الأكبر من معاملاتها في التوسع في الإصدار النقدي بلا غطاء، وتحولت أسواق العملات بعد فك الارتباط بين الدولار والذهب وبعد تعويم العملات الأوربية وكل العملات الحرة إلى أسواق للمضاربة على العملات وليس للحصول على هذه العملات: بغرض تسوية التعاملات الاقتصادية والالتزامات المالية بين الدول.

وللعلم فإن قيمة التعاملات في أسواق العملات خلال ما يقل عن شهر توازي قيمة الناتج العالمي خلال عام في الوقت الراهن، مما يدل على ضخامة حجم هذه الأسواق وسخونة الأموال التي تتحرك فيها، وبذلك أساءت أميركا استخدام عملتها وحققت ثراءً غير مسبوق وغير مستحق على حساب العالم من خلال الإفراط في الإصدار النقدي بلا سند من إنتاج أو غطاء ذهبي:

- حيث إن ناتجها المحلي الإجمالي الحقيقي وفقًا لتعادل القوى الشرائية لم يعد يزيد عن ٢٠٪ من الناتج العالمي بعد أن كان ٤٥٪ منه بعد الحرب العالمية الثانية.

- حيث إن صادراتها السلعية كانت تشكل ثلث الصادرات العالمية بعد الحرب، بلغت ٨,٣٪ فقط من إجمالي الصادرات العالمية عام ٢٠٠٧.

لذلك لم يعد من المنطقي أن يسيطر الدولار على ٦٢,٥٪ من سلة الاحتياطات الدولية من العملات الحرة وأن يكون هو عملة الاحتياط الدولية، كل ذلك على حساب ما هو مقرر في الفقه الاقتصادي الإسلامي من أن النقود رؤوس أموال يتّجر بها لا فيها.

(٣) هذه الأزمة بمعايير الفقه الاقتصادي في الإسلام: كشفت سوء استغلال أميركا وضعية الدولار كعملة احتياط دولية، فلقد ظلت أميركا تحترم التزاماتها كدولة تصدر عملة الاحتياط الدولية وتضمن تحويل أي كمية من الدولارات إلى ذهب وفقًا لعمل تحويل ثابت هو ٣٥ دولارا للأوقية في البداية، لكنها مع بدء اختلال موازينها الخارجية تخلت عن قاعدة الذهب في أغسطس ١٩٧١ لكنها التزمت بزيادة إصدارها النقدي بنسب محدودة مرتبطة بالنمو في الاقتصاد الأميركي، ثم توسعت في الإصدار النقدي، ثم بدأت تستخدم وضعية الدولار (كعملة احتياط دولية تُسَوي بها مختلف الدول الجانب الأكبر من معاملاتها) في التوسع في الإصدار النقدي بلا غطاء لتحقيق الثراء على حساب العالم لتشتري سلع وخدمات العالم في النهاية مقابل أوراق نقدية هي في التحليل الأخير مجرد أوراق أصدرتها ولم تنتج ما يغطيها من إنتاج بقصد الإثراء على حساب العالم وعلى هذا نما المعروض من النقود وأشباه النقود في أميركا بصورة كبيرة وغير متناسبة مع معدل نمو الاقتصاد، فقد بلغ معدل نمو النقود وأشباه النقود في أميركا نحو ٩,١٪ و ٩,٧٪ في عام ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦. في حين لم يتجاوز نمو الناتج المحلي الإجمالي الأميركي نحو ٢,٩٪ و ٢,٨٪ في العامين المذكورين.

وهكذا يظهر أن كل ذلك على حساب ما هو مقرر في الفقه الاقتصادي الإسلامي في قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ (البقرة: ١٨٨).

وتبني منظومة الفصل بين عناصر الإنتاج من رأس المال والعمل والأرض والمنظم وهو ما يتصادم مباشرة مع أصل من أصول الاقتصاد الإسلامي في قول الله تعالى: ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء

منكم﴾ (الحشر: ٧).

و(لا) في الآية كما يقول علماء اللغة: إذا دخلت على المضارع أفادت النهي، وعلماء الأصول يقولون: إن النهي يفيد المنع والحظر، وإن المنع على سبيل الجزم والإلزام يفيد التحريم. ومن هنا فإنه لابد أن تعمل (لا) في الآية الكريمة عملها، من النهي بكل صورة والنفي أيضًا، ولابد أن تعمل أصول الاقتصاد الإسلامي عملها الحقيقي والواقعي والعملي من:

- توسيع قاعدة الملكية وتضييق دائرة الفقر والفقراء الذين يصنعهم الأغنياء كما يقول الإمام علي رضي الله عنه.

- توفير وإتاحة فرص العمل والتشغيل، من خلال أدوات تمويل سليمة وتشغيل المشروعات النافعة والصغيرة والمتوسطة للمخلوقين ومن ثم تقليل نطاق البطالة، يقول تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾(الحشر:٧).

إن الاقتصاد الإسلامي اتباع منهج، يقول تعالى: ﴿... فمن تبع هُداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (البقرة: ٣٨). ويقول تعالى:﴿... فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ (طه: ١٢٣). ويقول تعالى:﴿... ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا...﴾ (طه: ١٢٤).

(٤) هذه الأزمة بمعايير الفقه الاقتصادي في الإسلام: كشفت ضعف الرقابة الرسمية والشعبية على الأداء الحكومي والعام حيث أتاحت الرأسمالية البيروقراطية الفرصة للرواتب الخيالية للمديرين التنفيذيين للشركات الأميركية الكبرى الرابحة والخاسرة على السواء، فمثلًا

- حصل المديرون التنفيذيون في أكبر خمس شركات/ مؤسسات مالية مدرجة

في بورصة وول ستريت الأميركية وهي: ليمان برزر - ميريل لنش - مورجان ستانلي -جولدن ساكي - بيرسترنز على دخول شاملة: (أجور، حوافز، بدلات، عمولات، مكافآت) بلغت نحو (٣٩) مليار دولار في عام ٢٠٠٧ .بينما كان المساهمون في تلك المؤسسات يعانون خسائر متراكمة بلغت ٧٤ مليار دولار في الفترة من ٢٠٠٢-٢٠٠٧، حيث تعرضت البورصة الأميريكية لانهيارات كبيرة في العام المالي ٢٠٠١-٢٠٠٢ بعد سقوط شركة إنرون ورلدكوم تحت وطأة فساد المديرين التنفيذيين لتلك الشركات كما أثبتت التقارير.

وقد بلغت المكافأة المصروفة للرئيس التنفيذي لمجلس إدارة بنك ليمان براذرز (ريتشارد فولد) الذي فجر انهياره في سبتمبر ٢٠٠٨ الأزمة المالية الأميريكية نحو (٢٢) مليار دولار في سنة ٢٠٠٨ في وقت كان البنك يتهاوى وتتبخر فيه حقوق المساهمين، وبلغ مجموع ما حصل عليه المذكور خلال السنوات الثماني قبل الانهيار نحو ٤٨٤ مليار دولار كما أثبتت التقارير، وكذلك الحال في إيه أي جي أكبر شركة تأمين أميركية وعالمية حتى بعد سقوط الشركة وشراء الدولة لنحو ٧٩,٩٪ من أسهمها يصرف المديرون التنفيذيون مكافآت لأنفسهم بلغت ١٦٥مليون دولار وطالب وزير المالية غايتز برَد هذه الأموال (المكافآت ٢٠٠٨) كما أثبتت التقارير.

وغير ذلك من المغامرات، مما تسبب في عجز وصل إلى ٤٥٥ مليار دولار في العام المالي الأميركي المنتهي في سبتمبر ٢٠٠٨ ووصول العجز المالي الأميركي نحو ٧٠٠مليار دولار في العام المالي المنتهي في سبتمبر ٢٠٠٩.

كل ذلك على خلاف ما هو مقرر في الفقه الاقتصادي الإسلامي من أنواع الرقابة الثلاثة في قوله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾. التوبة: ١٠٥).

(٥) هذه الأزمة بمعايير الفقه الاقتصادي في الإسلام: كشفت عجز الدولة عن تحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية في ظل النظام الرأسمالي الحر غير الملتزم بالضوابط والالتزامات الاجتماعية والأخلاقية مما ترتب عليه زيادة الفوارق بين الطبقات وتقييد نمو الطلب الفعّال نتيجة:

-سوء توزيع الدخل وتدهوره بشكل كبير محاباة للطبقة العليا أساسًا حيث قامت الإدارة الحكومية بتخفيض الضرائب على الشريحة العليا من ٤٠٪ على كل من يزيد دخله على ٢٩٧ ألف دولار في نهاية عهد كلينتون إلى ٣٥٪ على كل من يزيد

دخله على ٣٢٥ ألف دولار.

ومن المؤكد (كما يقول تقرير الأهرام الاقتصادي لسنة ٢٠٠٩) أن غياب العدالة في توزيع الدخل وتأثيرها السلبي على الطلب الفعال يعد عاملًا أساسيًا في تفجير أزمات الركود الاقتصادي.

كل ذلك على حساب معطيات الفقه الاقتصادي في الإسلام من:

-دور الدولة لتحقيق العدالة في منظومة الاقتصاد وتوزيع الدخل من خلال: نظام الأجور والتشغيل والضرائب والتحويلات والدعم السلعي ودعم الخدمات العامة لقوله تعالى: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة وَالإنجيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون﴾ (المائدة: ٦٦)

-وعدم تدخل الدولة لضبط حركة الأسواق ومراقبة التوازن بين القطاعات المالية الاقتصادية، فلقد حدث تضخم هائل في القطاع المالي في أميركا والعالم عمومًا حيث أصبح لا يقارن بالاقتصاد الحقيقي الصناعي والزراعي والخدمي المتقلص، ففي نهاية عام ٢٠٠٧ كانت القيمة السوقية للأسهم المدرجة في البورصات العالمية نحو ٦٠،٩ تريليون دولار وبلغ حجم سوق المشتقات ٦٠٠ تريليون دولار وحجم السندات السيادية نحو ٤٥ تريليون دولار وفق إحصائيات بنك التسويات الدولية، في حين أن الناتج العالمي المحسوب بالدولار وفقًا لأسعار الصرف السائدة لم يتجاوز ٥٢،٦ تريليون دولار عام ٢٠٠٧، أي ما يوازي تدفقات الأموال في مختلف أسواق العالم في ١٣،٢ يوم فقط.

- كما بلغت قيمة القروض المحلية الممنوحة من الجهاز المصرفي الأميركي نحو ٢٤٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي الأميركي في عام ٢٠٠٧ مقارنة بنحو ١٣٢،٢٪ في منطقة اليورو، بما يعني أن هناك حالة من الإفراط غير العقلاني في منح الائتمان في أميركا بصورة تنطوي على أخطار كبيرة كانت عاملًا رئيسيًا في إنتاج الأزمة المالية الأميركية.

- وهكذا يظهر قصور دور الدولة في تحقيق العدالة بين القطاعات المالية والاقتصادية المختلفة وفي تطبيق أنواع الملكية السبعة في الفقه الاقتصادي (الخاصة- العامة-المختلطة-ملكية الدولة- الوقف- التمليك في الشركات).

(٦) هذه الأزمة بمعايير الفقه الاقتصادي في الإسلام:

كشفت عن تركيز الثروة في فئة قليلة ومحاباتها:

- فلقد قامت سياسات إنعاش النمو

الأزمة بمعايير الفقه الاقتصادي في الإسلام كشفت عجز الدولة عن تحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية في ظل النظام الرأسمالي

الاقتصادي الأميركي من خلال تخفيض سعر الفائدة لتشجيع الاستهلاك بغرض تشجيع الاستثمار ومن ثم فهو نوع من خدمة المقترضين من الطبقة المتميزة من رجال الأعمال الذين يشكلون المقترض الرئيسي من الجهاز المصرفي في أميركا وفي غيرها من بلدان العالم والذين يحصلون على القروض بفوائد منخفضة ما دامت الفوائد على الودائع متدنية.

- ويزداد القهر للطبقة الوسطى في حالة وجود فوائد مرتفعة على قروض المقترضين الصغار بنسب أعلى من الفوائد التي يدفعها رجال الأعمال عن القروض التي يحصلون عليها وهو ما حدث في أميركا حيث كانت الفوائد على القروض العقارية التي يحصل عليها صغار المقترضين أعلى بكثير من فوائد القروض الكبيرة المقدمة لرجال الأعمال والشركات.

كذلك فإن ارتفاع معدل التضخم عن سعر الفائدة يعني أن الفوائد الحقيقية على الودائع سلبية، وعند انفجار الأزمة في سبتمبر ٢٠٠٨ كان سعر الفائدة في أميركا ٢،١٤٪ بينما كان معدل التضخم نحو ٥،٤٪ وفقًا للبيانات المنشورة في مجلة الإيكونومست البريطانية.

وكل ذلك على حساب ما هو مقرر في فقه الاقتصاد الإسلامي من قوله تعالى: ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ (الحشر:٧). وهكذا أصبحت الأوضاع الاقتصادية العالمية وما آل إليه النظام الرأسمالي العالمي.

قراءة القرآن بالمقامات والأوزان ليست من قراءة النبي ﷺ

د. أحمد بن أحمد شرشال

لما اطلعت على منهج موضوعات قواعد التجويد والترتيل، والتغني بالقرآن الكريم ومقرراته في الجامعات وتحسين الصوت به رأيته خاليا من كيفيات وأوصاف ونعوت جليلة لقراءة النبي ﷺ وتلاوته وترتيله وترسله، فقد كان يتغنى بالقرآن، ويرجع صوته به أحيانا، وكان يحب الصوت الحسن بالقرآن، ويعجبه ويشده للاستماع إليه، ويثني على صاحبه ويرغب في التغني بالقرآن ويحث على تحسين الصوت في تلاوته.

ومن أوصاف قراءته ﷺ ونعوت تلاوته أمور تعد في هذا الباب من أصول علم قواعد التجويد، والتغني بالقرآن وتحبير الصوت به، وقد تضمنت نعوتا مهمة ما كان ينبغي أن تغيب عن بال المشتغلين بمقررات تجويد القرآن الكريم، والتغني بتلاوته.

فيجب على الطلاب والدارسين لكتاب الله معرفتها والعلم بها، ولا ينبغي إغفالها أو الجهل بها أو استبعادها من مقررات الترتيل والتغني بالقرآن.

ونظرا لغياب هذه الأوصاف والنعوت لقراءة النبي ﷺ من كتب التجويد والمقررات الدراسية، استحدث الناس أصواتا وألحانا وأوزانا ومقامات وأدخلوها على تلاوة القرآن وترتيله تحت شعار تحسين الصوت، وروجوا لها بالأحاديث الواردة في الحث والترغيب على تحسين الصوت بقراءة القرآن، وبمزامير داود عليه السلام، وقالوا: إن داود كان يقرأ الزبور بسبعين «مقاما» فحذفوا كلمة: «لحنا» الصحيحة وكتبوا بدلها: «مقاما»، هكذا رأيته في مقرراتهم.

لقد كان تشبيه النبي ﷺ حسن تلاوة أبي موسى الأشعري وجمال صوته بمزمار داود خاصا بالصوت فقط ولاشك أن الزبور تليق به هذه الألحان، لأنه كان خاليا من الأحكام كما ذكره المفسرون، وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد وتسبيح ومواعظ.

إن أوصاف ونعوت قراءة النبي ﷺ تشكل لطلاب حفظ القرآن ومقرراته نبراسا يضيء لهم قواعد الترتيل والتغني بتلاوته، ويضفي عليها نعوتا جليلة وتكون عاصما لهم من كل دخيل على التلاوة وليبلغوا بها درجة الماهر بالقرآن من السفرة الكرام البررة ويستغنوا بها عن المقامات والأوزان الدخيلة على الترتيل.

وكل ما استحدث من الألحان والتطريب والمقامات يجب أن يعرض على هذه الأصول، وهذه القواعد، وهذه النعوت والأوصاف لقراءة النبي ﷺ وما لم يكن كذلك يجب تنزيه قراءة القرآن عنه.

إن التغني والترنم بالقرآن الكريم وتجويد لفظه، وتحسين الصوت في تلاوته من شأنه أن يبعث على الإنصات، ويشد للاستماع، وهو أوقع في النفوس وأنفذ إلى القلب، وأبلغ في التأثير، وأعون على الفهم والتدبر، وهو مطلوب لا حد له.

وإن التغني بالقرآن وجمال الصوت في قراءته يحصلان بتطبيق قواعد التلاوة ومراتب الترتيل، فهي زينة القراءة وحلية التلاوة لا بالمقامات والأوزان الدخيلة.

فكل من يطبق قواعد التجويد وأحكام التلاوة يحصل في تلاوته جمال الترنم والتحبير، إذا كان له طبع يتقبل ذلك. وقد نبه العلماء على هذه الحقيقة.

قال ابن الجزري: «وهذه سنة الله تبارك وتعالى فيمن يقرأ القرآن مجودًا مصححًا كما أنزل، تلتذ الأسماع بتلاوته وتخشع القلوب عند قراءته حتى يكاد أن

أستاذ علوم القرآن والقراءات بجامعة أم القرى

الصحابة رضي الله عنهم نقلوا لمن بعدهم وصفًا دقيقًا لتلاوة النبي ﷺ وكانوا يقلدونه ويحاكون قراءته

يسلب العقول ويأخذ بالألباب سر من أسرار الله تعالى يودعه من يشاء من خلقه، ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حسن الصوت ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جيد الأداء قيمًا باللفظ، فكان إذا قرأ أطرب المسامع، وأخذ من القلوب بالمجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه، ويجتمع على الاستماع إليه أمم من الخواص والعوام يشترك في ذلك من يعرف اللسان العربي ومن لا يعرفه من سائر الأنام مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان عارفين بالمقامات والألحان لخروجهم عن التجويد والإتقان (١).

لقد أرسل الله رسوله جبريل عليه السلام لتعليم النبي محمد ﷺ كيفية التلاوة والقراءة، فأمره الله أن ينصت ويستمع لقراءة جبريل، فإذا انتهى جبريل أمره الله أن يتابع القراءة بالكيفية التي قرأ بها جبريل المعلم، ونهاه عن العجلة في التلاوة، ووعده ببيان معانيه، وبعدم نسيانه: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه﴾ (القيامة: ١٦-١٩)، وقال ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ (طه: ١٤)، وقال: ﴿فلا تنسى﴾ (الأعلى: ٦).

ثم بعد ذلك لم يكله إلى نفسه وحفظه فأرسل إليه جبريل مرارًا وتكرارًا يعارضه بالقرآن ويدارسه في كل رمضان تأكيدًا للحفظ وبيانًا للناسخ والمنسوخ، وفي العام الذي قبض فيه ﷺ عرضه عليه مرتين.

وفي البداية وجد رسول الله ﷺ مشقة في تعليم أمته القرآن على حرف واحد، فتوجه إلى الله بالدعاء يسأله التخفيف، وراجع جبريل أكثر من مرة يسأله الزيادة من الحروف تخفيفًا على أمته، فقال ﷺ «أقرأني جبريل على حرف واحد فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف» (متفق عليه).

وبعد إلحاحه ﷺ في الدعاء ومراجعة جبريل طلب المزيد فأجاب الله دعاءه وأوصل هذه الحروف إلى سبعة كلها كاف شاف، ووسع على أمته في قراءة القرآن على وجوه متعددة، ولم يكن منها هذه المقامات والأوزان المستحدثة.

ثم اتخذ النبي ﷺ حزبًا من القرآن يقرأه ويكره أن يؤخره، فسمع الصحابة ترتيله وترسله، وكانوا يحاكون قراءته ووصفوها ونعتوها بأوصاف ونعوت جليلة.

إن الصحابة رضي الله عنهم نقلوا لمن بعدهم وصفًا دقيقًا لتلاوة النبي ﷺ وكانوا يقلدونه ويحاكون قراءته، روى الإمام أحمد عن أبي عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير قال لي ابن عباس: «أنا أحرك شفتي كما كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه»، وقال لي سعيد بن جبير: «وأنا أحرك شفتي كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه».

فهذا ابن عباس يقلد الرسول ويحاكيه في قراءته وسعيد بن جبير يقلد ابن عباس ويحاكيه فيما قلد فيه الرسول ﷺ وهذا عبدالله بن المغفل يصف قراءة النبي ﷺ في الترجيع ويحاكيها بالفعل، ويسمعها منه معاوية بن قرة ولولا خوفه من اجتماع الناس عليه لحكى قراءة عبدالله بالفعل.

وهذا عمر بن الخطاب يصف قراءة النبي ﷺ ويقول: كان النبي ﷺ إذا قرأ، قرأ حرفًا حرفًا بترتيل ويحدر حدرًا. وسمع ابن عباس قراءة النبي ﷺ في حجرته وقال: «لو شاء حافظ أن يحفظها لفعل».

وقد حفظت أم هاشم بنت الحارث سورة «ق» من سماعها قراءة النبي ﷺ لشدة وضوح حروفه، وإذا عبدالله بن مسعود يقول: أخذت من في رسول الله ﷺ أكثر من سبعين سورة، وكان ﷺ يمدحه ويثني عليه ويحيل على قراءته ويقول: «من سره أن يقرأ القرآن غضًا طريًا فليقرأ بقراءة ابن أم عبد»، (حسنة الترمذي وصححه أحمد شاكر).

وكان النبي ﷺ يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها وكان يمد حروف المد مدا ويقطع قراءته آية آية وحرفًا حرفًا، وما سمع أحسن من صوته ﷺ، وكان يحث ويرغب في تحسين الصوت بقراءة القرآن، ويعجبه الصوت الحسن ويشده للاستماع إليه ويثني على صاحبه ويحمد الله على ذلك.

وكان ﷺ في ترتيله وترسله يتأمل ويتدبر ويفكر في تلاوته، فكان لا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا الله واستعاذ به ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه، وكثيرًا ما كان يتوقف ويدعو، وقد قال في بعض المواضع التي قرأها: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» (حسنة الألباني).

وكان من نتيجة تدبره وتأمله وتفكره في ترتيله وترسله سيل الدموع، وهي طريقة الأنبياء والرسل قبله إذا سمعوا آيات الله تتلى خروا سجدًا وبكيًا، وقد اقتدى به أصحابه بعد ذلك وكان عمر يقول: هذا السجود أين البكي؟

أين هذا من أصحاب المقامات والأوزان الدخيلة؟! فقراءة القرآن بالمقامات والأوزان ليست من قراءة النبي ﷺ في شيء، فكل من قرأ على خلاف قراءة النبي ﷺ وما نقله أئمة القراءات وهو يستطيع تلك القراءة يعد مخالفًا، لأن صفة التلاوة متواترة كتواتر القرآن، فكيفية القراءة توقيفية، «اقرأوا كما علمتم» (صححه ابن تيمية).

واختلف العلماء في معنى: «يتغنى بالقرآن» الواردة في الحديث الصحيح، فتأوله بعضهم على معنى الغنى المقصور الذي هو ضد الفقر، والاستغناء به عن غيره، وهذا المعنى الأخير صحيح ولكنه غير مراد من الحديث، وذهب البعض الآخر إلى أن معنى: «يتغنى» من الغناء الممدود، وفسروه بتحسين الصوت في التلاوة، وهو

الراجح كما هو مبسوط في موضعه.

وهـؤلاء وأولـئك متفقون على حرمة قراءة القرآن بالمقامات والألحان والتطريب والنغم إذا كانت تؤدي الى خلل في قواعد الترتيل ومتفقون على استحباب تحسين الصوت وتزيينه في تلاوة القرآن، وما بين هذا وذاك كرهه العلماء وتشددوا في النكير على من يفعله.

وخلاصة أقوالهم أن تحسين الصوت وتزيينه مطلوب بقدر الاستطاعة، وأما تعليم هذه الأوزان المخترعة، والمقامات الأعجمية وتنزيل ترتيل القرآن عليها بخفض الصوت ورفعه ليوافق النغم الموزون فهذا هو المكروه الذي أنكره العلماء وتشددوا فيه، وبالغوا في ذلك.

أما إذا كان تحسين الصوت بالتلاوة سجية وسليقة وطبعاً فهذا محمود ومطلوب بدون تعليم ولا تمرين، وإن حاول أن يزيد تلاوته تحسيناً وتحبيراً فله ذلك.

ولبث الناس في الصدر الأول يقرأون بالترتيل بأنواعه وكيفياته الثلاث تحقيقاً وتوسطاً وحدراً، وكل هذه المراتب بالترتيل المأمور به، إلى أن حدث وطرأ على الترتيل ما يعرف بالألحان والمقامات الدخيلة في العصر الأموي برفع الصوت وخفضه موافقة لأنغام وأوزان ومقامات أعجمية دخيلة على التلاوة والترتيل.

ولشدة كراهية العلماء لقراءة القرآن بهذه الألحان والمقامات أولوا «يتغنى بالقرآن» الثابتة في الحديث بمعنى الاستغناء بالقرآن عن غيره، وهو مطلوب أيضًا، وكل من تأول معنى «يتغنى» كره قراءة القرآن بالألحان والتطريب.

ولشدة كراهية العلماء لهذه الألحان الملهية والمقامات المطربة ذهبوا الى القول: إن حديث «زينوا القرآن بأصواتكم» هو من باب القلب هكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث أي زينوا أصواتكم بالقرآن والقلب غير صحيح والمراد زينوا قراءتكم.

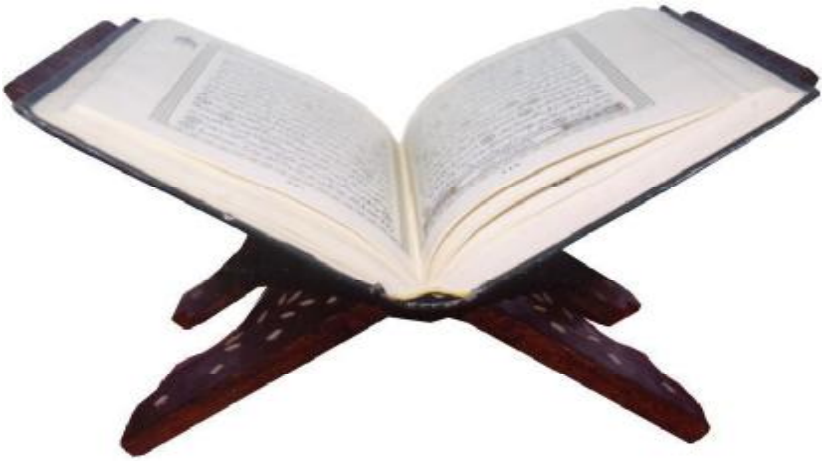

ولشدة كراهية العلماء لهذه المقامات والألحان المنكرة نهى بعضهم أن يحدث الناس بهذا الحديث خوفًا من أن يتخذوه رخصة من رسول الله ﷺ في هذه الألحان المنكرة.

وشدة كراهية العلماء لهذه الألحان المنكرة والمقامات المخترعة جعلتهم يؤولون ترجيع النبي ﷺ في قراءته لسورة الفتح، وهو على ناقته بأنه كان اضطرارًا بسبب هز الناقة له ورده العلماء.

إن ما أحدثه المتكلفون في تلاوة القرآن بالألحان والمقامات جعل العلماء يحملون الأحاديث الواردة في الحث على تحسين الصوت على معنى تحزين القراءة وترقيقها.

ولشدة كراهية العلماء لهذه الألحان والتطريب المغير للترتيل الذي أمر الله به رد الإمام القرطبي الأحاديث الواردة في فضل تحسين الصوت بالتلاوة لما سمعه في تلاوة قراء عصره بهذه الألحان المخلة والأوزان المحدثة، فحكم على قراءتهم بالحرمة، ودعا عليهم، وشبه تلحين قراءتهم بلحون أهل الفسق وأهل الكتابين.

ولشدة كراهية العلماء لهذه القراءة ذات الألحان سماها بعض السلف غناء، ونهى عن سماعها.

ولشدة كراهية العلماء لهذه الألحان والمقامات الدخيلة كاد الامام أبوزهرة رحمه الله أن يرد جميع الأخبار الواردة عن النبي ﷺ في تحسين الصوت والتغني به، لو كانت تدل من قريب أو بعيد على ما يفعله قراء بلده من المنكرات في قراءة القرآن بالألحان والتطريب، لأنهم اتخذوا هذه الأخبار سنداً لهم لترويج تلاوة القرآن بالألحان الأعجمية وتصديرها الى العالم حسبما يقول رحمه الله.

ويقول القرطبي: «ما يعلم على القطع والبتات من أن قراءة القرآن بلغتنا متواترة عن كل المشايخ جيلاً فجيلاً الى العصر الكريم الى رسول الله ﷺ وليس فيها تلحين ولا تطريب مع كثرة المتعمقين في مخارج الحروف وفي المد والإدغام، والإظهار وغير ذلك من كيفية القراءة» (١).

وأصل هذه المقامات والأوزان المحدثة من الغناء الفارسي، فهي دخيلة على الترتيل المأمور به في تلاوة القرآن ولا صلة لها بعلم القراءات ولا بقواعد التجويد.

وما ورد عن النبي ﷺ من التغني بالقرآن فإنه ليس من هذه الألحان المحدثة المنكرة بشيء، وانما المراد به تحسين الصوت وتحقيق اللفظ، وحفظ الحروف ومراعاة الوقوف، مع استشعار الخوف، والتأمل والتفكر على ما رواه أئمة القراءة.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

معرفة الكيفية

«لا تعطني كل يوم سمكة، ولكن علمني كيف أصطاد السمك». ينطبق هذا المثل على واقع المجتمعات المتحضرة التي أوجدت مكانة لنفسها على الصعيد الدولي، ونجحت في الحصول على مصادر جديدة للتنمية والرقي غير الموارد التقليدية كالنفط او غيرها.

فريادة هذه المجتمعات لم تأت من فراغ، وإنما من الجدية والمثابرة والإبداع والاجتهاد في الابتكار والاختراع، حتى صار غيرنا يسوسون العالم بأدمغتهم وأفكارهم بغض النظر عن نفعها أو ضرها.

ولعل أهم نتاج إبداعاتهم هو معرفة الكيفية في إنتاج أي شيء، حيث اتخذوا من «المعرفة للجميع» شعارا، وعرفوا أن قيمتهم مرهونة بإنتاجهم، وتيقنوا أن حياتهم متوقفة على ذكائهم المعلوماتي.

لذا فإن معرفة الكيفية باتت المحور الأساسي اليوم في المنظومة الحياتية للمجتمعات المتقدمة، وصارت أهميتها تفوق أهمية رأس المال أو المواد أو العمالة، لاسيما أن أرقام الأمم المتحدة تشير إلى أن اقتصادات المعرفة تستأثر الآن بـ٧٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، وتنمو بمعدل ١٠٪ سنويا.

المتأمل في التجارب القائمة يجد أن الواقع المضيء والمستقبل المشرق يتمحور حول الاختراع والابتكار أو بالأحرى يعتمد على «اقتصاد المعرفة»، فثورة المعلومات تشكل أساس الإنتاج بحيث زاد الاعتماد بصورة واضحة على المعلومات والمعارف حتى صار أكثر من ٧٠٪ من العمال في الاقتصادات المتقدمة هم عمال معلومات، فالعديد من عمال المصانع صاروا يستخدمون رؤوسهم أكثر من أيديهم.

إن مجتمعاتنا أحوج ما تكون في الوقت الراهن إلى عمال معلومات وأدمغة معارف لا عقول حافظة وجوارح مستهلكة، فمعرفة الكيفية في إنتاج أي شيء في هذه الحياة هو سلاحنا اليوم لمواجهة تحديات العولمة التي لا تعترف بالتاريخ، ولا تحترم الخصوصية، ولا تقدر الثقافات.

والمعرفة المطلوبة هي كيفية تطبيق المعلومات والمفاهيم على عمليات الإنتاج في اقتصاد المعرفة، فالعامل الذي يتعلم مرة واحدة مهارة على أساس المعرفة يكون قد تعلم في الوقت ذاته شيئا آخر مهمًا، وهو أنه تعلّم كيف يتعلّم، والطالب بالجامعة ليس ذلك الطالب الذي يكدّس المعلومات، وإنما الطالب الذي يكتسب مفاتيح العمل في عصرنا ليعمل بطريقة أكثر ذكاء.

في الحقيقة تستحق ثقافة «كيف» من مؤسساتنا ومعاهدنا أن تنشرها وتدرسها وتنميها في مجتمعاتنا الفقيرة علميا، والمتقدمة ماديا وبشريا، وبالتالي فإن مسؤولية الجميع تتركز في اخراج جيل فريد من نوعه قادر على استعادة مكانة أمتنا الاسلامية مرة اخرى من خلال قيادة البشرية بثقافة «كيف» التي أصلها الإسلام في الجيل القرآني الاول مصداقا لقوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩)

إن مفهوم المعرفة ليس بجديد على الإسلام لما يمثله العلم من محور رئيس في أدبياته الأساسية، ولكن المشكلة الرئيسة تكمن في تخلي أبناء هذا الدين عن المعرفة والعلم، وعدم استغلال عقولهم في إيجاد الكيفية المناسبة لعالم السعادة الحقيقي.

فإذا خرج المسلمون من سباتهم العميق، واستغلوا أدمغتهم في بسط الخيرية في أرجاء الحياة، فستعيش البشرية حياة سوية بعيدة عن الحروب والصراعات والإفساد، لأن الإسلام ببساطة يمثل حقيقة معرفة خالق الأكوان.. والله ولي التوفيق.

لا تعطني سمكة بل علمني كيف أصطادها

علمُ مختلفِ الحديث

نورالدين مسعي

ممّا لا يخفى أنّ علمَ الحديث الشّريف من أجلّ العلوم وأعظمها؛ إذ هو قاعدةُ معارف الشّريعة جميعها، وعليه تُبنى أصولُ الدّيانة وفروعُها، وإليه تستندُ في صدورها وورودها؛ ولولاهُ لقال مَنْ شاء ما شاء، ولخبَطَ النّاسُ خبْطَ عشواء، وهو أنواعٌ كثيرةٌ، وأصنافٌ عديدةٌ؛ منها ما يتعلّقُ بقبول الحديث وردّه، ومنها ما يتعلّقُ بفقهه وفهمه، ومنها ما يتعلّقُ بغير ذلك من لطائفه ودقائقه.

وإنّ من أهمّ فنونه ما اجتمع فيه الأثرُ والنّظرُ، واصطحبَ فيه العقلُ والنّقلُ، وكان مشتركًا بينه وبين غيره من العلوم؛ لعُموم نفعه، وعظيم الحاجة إليه عندَ المحدّثَ وغيرِه؛ كعلمِ مُختلفِ الحديث، وكيفيّةِ الجمعِ والتّوفيقِ بين ما ظاهرُه الاختلافُ والتّعارضُ من نصوصه، ومعرفةِ راجحه من مَرْجُوحه؛ فإنّه علمٌ يُبحثُ في الفقه وأصوله، كما يُبحثُ في الحديث وعلومه؛ فالأصوليّون يتناولُونه تقعيدًا وتقريرًا ضمنَ بابِ التّعارض والتّرجيح بين الأدلّةِ الشّرعيّة، والفقهاءُ يلجأونَ إليه عملًا وتطبيقًا عند مُعالجة المسائل الخلافيّة، والمحدّثُون جمعُوا بين الطّريقتين؛ إذ أصّلُوا قواعدَه وقرّرُوها في كتب أصول الحديث ومصطلحه، وطبّقُوا تلك القواعدَ وعملُوا بها في كُتب الشّروح الحديثيّة وغيرها؛ بل أفردُوا له كتبًا خاصّةً؛ تُعرفُ بكتب «اختلاف الحديث»، أو «مُختلفِ الحديث».

■ أوّلًا: تعريفُ مختلفِ الحديث

١- تعريفُ المختلف لغة

المختلفُ في اللّغة مأخوذٌ من الاختلاف؛ مصدرُ الفعل «اختَلَفَ»، ومثلُه التّخالفُ، والاختلافُ ضدُّ الاتّفاق يقالُ: تَخالَفَ القومُ واختَلَفُوا: إذا ذهبَ كلُّ واحد منهم إلى خلاف ما ذهبَ إليه الآخرُ، وتَخالَفَ الأَمْران واختَلَفا: لم يَتّفقا، وكلُّ ما لم يَتَساوَ؛ فقد تَخالف واختَلَفَ(١).

ومنه قولُه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ (الذاريات: ٨)؛ أي في قولٍ مُتناقِضٍ في محمّدٍ ﷺ؛ فبعضُكم يقولُ: إنّه شاعرٌ، وبعضُكم يقولُ: إنّه ساحرٌ، وبعضُكم يقولُ: إنّه مجنونٌ(٢).

وقد اختلَفَ المحدّثون في ضبط كلمة «مختلف»؛ فمنهم- وهم الأكثر- على أنّه بضمّ الميم وكسر اللّام؛ فهو اسمُ فاعلٍ منَ اختلَفَ، والإضافةُ بمعنى «مِنْ»؛ أيْ: المختلفُ من الحديث، ومنهم من ضبطه بضمّ الميم، وفتح اللّام؛ على أنّه مصدرٌ ميميٌّ بمعنى الاختلاف، والإضافةُ على هذا بمعنى (في) أيْ: الاختلافُ في الحديث(٣).

٢- تعريفُ المختلف اصطلاحًا

تباينتْ عباراتُ المحدّثين في تحديد التّعريف الاصطلاحيّ لمختلف الحديث، غيرَ أنّ التّعريفَ الّذي استقرّ عليه اصطلاحُهم هو ما ذكره الإمامُ النّوويّ (٦٧٦هـ)- رحمه الله، حيثُ قال: «هو أن يأتيَ حديثان متضادّان في المعنى ظاهرًا فيُوَفّقُ بينهُما، أو يرجّحُ أحدُهما»(٤).

ومن خلال هذا التّعريف يتبيّن لنا أن الحديثَ لا يكونَ داخلًا في هذا النّوع من أنواع علوم الحديث إلّا إذا توافرتْ فيه ثلاثةُ شروط:

الأوّل: أن يكون الحديثُ معارِضًا في دلالته ظاهرًا لحديث آخَرَ.

الثّاني: أن يمكنَ الجمعُ أو التّرجيحُ بينَ هذين الحديثين.

الثّالثُ: أن يكونَ الحديثان المتعارضان من قسم الثّابت المقبول لا الضّعيف المردود؛ قالَ الحافظُ ابنُ حجر (٨٥٢هـ)- رحمه الله-: «وإنْ عُورِض- يعني الحديثَ المقبولَ- فلا يَخْلو إمّا أنْ يكونَ مُعارِضُهُ مقبولًا مثلَه، أو يكونَ مَردودًا؛ فالثّاني لا أثرَ لهُ؛ لأنّ القويّ لا تُؤثّرُ فيه مُخالفةُ الضّعيف»(٥).

ويجدرُ التّنبيهُ إلى أنّ الأئمّةَ الّذين صنّفُوا في هذا الفنّ لم يتقيّدوا بهذا الشّرط، بل أوردُوا في كتبهم ما اختلفَ من الحديث ظاهرًا؛ وإنْ لمْ يكنْ معارضُه ثابتًا.

٣- الفرقُ بين مختلفِ الحديث ومُشْكِلِ الحديث

المُشْكِلُ لُغَةً: المُختلطُ والمُلتبسُ، يقالُ: أَشْكَلَ عليّ الأمرُ إذا اخْتَلَطَ، وأَشْكَلَ الأمرُ: الْتَبَسَ(٦).

والمُشْكِلُ في اصطلاح المحدّثين أشارَ إلى تعريفه الإمامُ أبوجعفر الطحاويُّ (٣٢١هـ) بقوله: «وإنّي نَظَرْتُ في الآثار المَرْويّة عنه ﷺ بالأَسانيد المَقْبُولَة التي نَقَلَهَا ذَوُو الثّبْت فيها وَالأَمَانَة عليها وَحُسْن الأَدَاء لها فَوَجَدْت فيها أَشْيَاءَ ممّا يَسْقُطُ مَعْرِفَتُهَا وَالْعِلْمُ بها عند أَكْثَر الناس؛ فَمَالَ قَلْبِي إلى تَأَمُّلِهَا وَتَبْيَانِ ما قَدَرْت عليه من مُشْكِلِهَا، وَمِنْ اسْتِخْرَاج الأَحْكَام التي فيها، وَمِنْ نَفْي الإِحَالاتِ عنها»(٧).

ومن خلال هذا الكلام، وما جرى عليه عملُ الإمام الطّحاويّ وغيرِه

باحث بإدارة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية

علم مختلف الحديث نال اهتمام العلماء وعنايتهم قديماً وحديثاً

اعتنى المعاصرون بعلم مختلف الحديث وظهر ذلك جليًّا في الأطروحات العلميّة للماجستير والدكتوراه

ممّن صنّفَ في مشكل الحديث حاولَ غيرُ واحدٍ من المعاصرينَ تعريفَه على صناعة الحدود، ومن أحسنِ ما وقفتُ عليه في ذلك قولُ من قال في تعريفه: «أحاديثُ مرويةٌ عن رسول الله ﷺ بأسانيدَ مقبولة يوهم ظاهرُها معانيَ مستحيلةً، أو معارضةً لقواعدَ شرعيّةٍ ثابتة»(٨).

ويمكنُ أن نقولَ في تعريفه: هو الحديثُ المقبولُ الذي يوهمُ ظاهرُهُ معانيَ مستحيلةً، أو يُعارضُ أصلًا من الأصول الشّرعيّة.

وبهذا يتبيّنُ الفرقُ بين مختلف الحديث ومشكله، وهو أنّ الأولَ أخصُّ من الثّاني، وأنّ الثّانيَ أعمُّ من الأوّل؛ فكلُّ مختلف مشكلٌ، وليس كلُّ مشكلٍ مختلفًا؛ لأنَّ الإشكالَ- وهو الالتباسُ- يقعُ في مختلف الحديث بسبب معارضة حديث لحديث آخرَ ظاهرًا؛ بينما يقعُ في الالتباسُ في مشكل الحديث بسبب غموض معنى الحديث في نفسه أو استبعادِه عقلًا من غير معارضةٍ، أو بسبب معارضة الحديث لآية من القرآن الكريم، أو لظاهرِ السُّنّة، أو للإجماع، أو للقياس(٩).

■ ثانيًا: أقسامُ مختلف الحديث

قسم المحدّثون مختلف الحديث إلى قسمين(١٠):

الأوّل: أن يكونَ الحديثانِ المتعارضان ممّا يمكنُ الجمعُ بينهما؛ فيتعيّنُ ويجبُ العملُ بقاعدةِ الجمع، ولا يُصارُ إلى غيرِها؛ ذلك لأنّ الجمعَ فيه إعمالٌ للحديثين معًا، وإعمالُ الحديثين أولى من إهمالِ أحدهما.

قال الإمامُ الشّافعيُّ (٢٠٤هـ)- رحمه الله: «وكلّما احتَملَ حديثان أن يستعمَلا معًا استُعملا معًا، ولمْ يُعطّل واحدٌ منهما الآخرَ»(١١).

وأمثلةُ هذا القسم كثيرةٌ، ومن أشهرها حديثُ أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ»(١٢)، مع حديث عبدالرّحمن بن عوف أنّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحّ»(١٣)، فالحديثُ الأوّلُ فيه نفيٌ صريحٌ للعَدْوى، والحديثُ الثّاني فيه إثباتٌ لها؛ بدليل نهيه ﷺ عن إيراد المريض على الصحيح.

وقد سلك العلماءُ للتّوفيق بين هذين الحديثين مسالكَ مختلفةً(١٤)، منها ما ذكره الحافظُ أبوعمرو ابن الصّلاح (٦٤٣هـ)- رحمه الله، حيث قال: «وجهُ الجمع بينهما أنّ هذه الأمراضَ لا تُعدي بطبعِها، ولكنّ اللهَ تبارك وتعالى جعلَ مخالطةَ المريض بها للصّحيح سببًا لإعدائه مرضَهُ، ثمّ قد يتخلّفُ ذلك عن سببِه كما في سائر الأسباب، ففي الحديث الأول: نَفَى ﷺ ما كان يعتقدُه الجاهليُّ من أنّ ذلك يُعدي بطبعه، ولهذا قال: «فَمَنْ أَعْدَى الأَوّلَ؟»، وفي الثاني أعلمَ بأنّ اللهَ سبحانه جعلَ ذلك سببًا لذلك، وحذّرَ من الضّرر الذي يغلبُ وجودُه عند وجودِه؛ بفعلِ اللهِ سبحانه وتعالى»(١٥).

الثّاني: أن يتعارضَ الحديثانِ بحيثُ لا يمكنُ الجمعُ بينهما.

وهذا القسمُ على ضربين:

أحدُهما: أن يُعرفَ المتأخّرُ منهما، ويظهرَ كونُ أحدِهما ناسخًا للآخر؛ فيعملُ بالناسخ، ويتركُ المنسوخُ.

والثّاني: ألّا يُعرفَ المتأخّرُ، ولا يقومَ دليلٌ على النّسخ؛ فيصارُ- حينئذٍ- إلى التّرجيح بينهما، ويُعملُ بالأرجحِ والأثبتِ منهما.

وإلى هذه الأقسام أشارَ الحافظُ العراقيُّ (٨٠٦هـ)- رحمه اللهُ- في (ألفيّته)(١٦) بقوله:

وَالمَتْنُ إِنْ نَافَاهُ مَتْنٌ آخَرُ
وَأَمْكَنَ الْجَمْعُ فَلا تَنَافُرُ
كَمَتْنِ لَا يُورِدُ مَعْ لَا عَدْوَى
فَالنَّفْيُ لِلطَّبْعِ، وَفِرَّ عَدْوَا
أَوْ لَا فَإِنْ نَسْخٌ بَدَا فَاعْمَلْ بِهِ
أَوْ لَا فَرَجِّحْ وَاعْمَلَنْ بِالأَشْبَهِ

هذا، ووجوهُ التّرجيح كثيرةٌ، ذكر منها الإمامُ الحازميُّ (٥٨٤هـ) في «الاعتبار» خمسينَ وجهًا(١٧)، وأوصلَها الحافظُ العراقيُّ إلى مائة وعشرة أوجه(١٨)، ولخّصها الحافظُ السّيوطيُّ (٩١١هـ)، وجعلها سبعةَ أقسام: الترجيحُ بحال الرّاوي، والتّرجيحُ بالتّحمّل، والتّرجيحُ بكيفيّة الرّواية، والتّرجيحُ بوقت الورود، والتّرجيحُ بلفظ الخبر، والتّرجيحُ بالحُكم، والتّرجيحُ بأمرٍ خارجيّ(١٩).

وإنْ لمْ يجدِ المجتهدُ مرجّحًا: توقّفَ

عن العمل بأحد الحديثين حتّى يظهرَ لهُ وجهُ التّرجيح.

قال الحافظُ ابنُ حجر: «فصارَ ما ظاهرُه التعارضُ واقعًا على هذا الترتيب: (١) الجمعُ إنْ أمكنَ، (٢) فاعتبارُ النّاسخ والمنسوخ، (٣) فالتّرجيحُ إنْ تعيّنَ، (٤) ثمّ التّوقّفُ عن العمل بأحد الحديثين»(٢٠).

وزادَ الحافظُ ابنُ كثير (٧٧٤هـ)- رحمه الله- على التّوقّف أمرًا آخرَ، فقال: «أو يَهجُمُ فيُفتي بواحد منهما، أو يُفتي بهذا في وقت، وبهذا في وقت؛ كما يفعلُ أحمدُ في الرواياتِ عن الصّحابة»(٢١).

■ ثالثًا: أهميةُ علم مختلف الحديث والفوائدُ المترتّبةُ على معرفته

١- أهميّةُ علم مختلف الحديث

علمُ مختلفِ الحديث يعتبرُ من أجلّ أنواع فنون الحديث وأهمّها، وقد تتابعتْ كلماتُ العُلماء والأئمّة في بيان مكانته، وعلوّ منزلته، وشدّة الحاجة إليه؛ فمن غرر أقوالهم:

أ- قولُ الحافظ ابن الصّلاح: «وإنّما يكملُ للقيام به الأئمّةُ الجامعون بين صناعتَي الحديث والفقه، الغوّاصون على المعاني الدّقيقة»(٢٢).

ب- قولُ الإمام النّوويّ: «هذا الفنّ من أهمّ الأنواع، ويضطرُّ إلى معرفته جميعُ العلماء من الطّوائف»(٢٣).

ج- قولُ الإمام السّخاويّ (٩٠٢هـ): «وهو من أهمّ الأنواع؛ يضطرُّ إليه جميعُ الطّوائف من العلماء، وإنّما يكمل للقيام به من كانَ إمامًا جامعًا لصناعتَي الحديث والفقه، غائصًا على المعاني الدّقيقة»(٢٤).

د- قولُ الإمام السّيوطيّ في ألفيّته(٢٥):

فَهْوَ مُهِمٌّ وجميعُ الفرَقِ
في الدِّينِ تَضْطَرُّ لَهُ فَحَقِّقِ

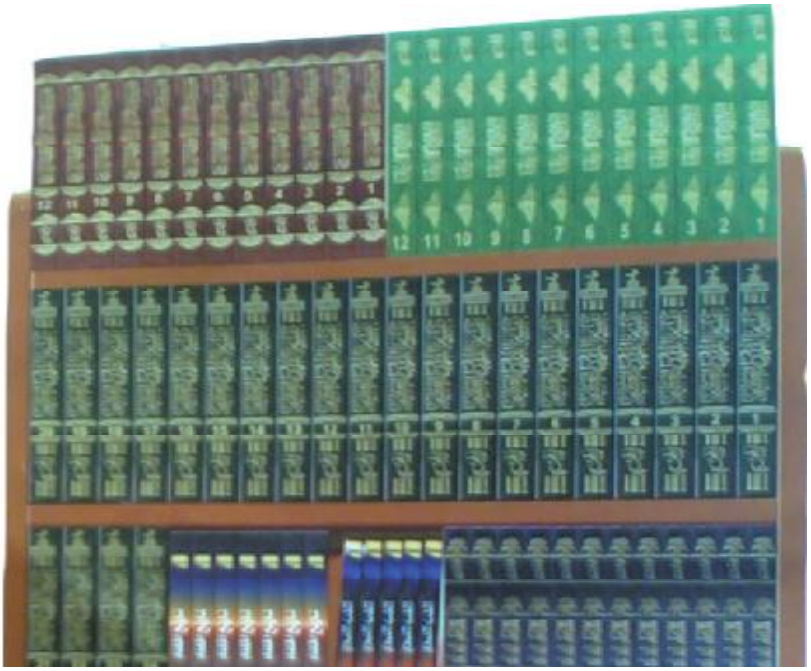

هذا العلمَ خادمٌ لجُملةٍ من علومِ الإسلامِ المهمّةِ كالعقيدةِ والفقهِ والحديثِ ولهذا لا يستغني عنه العلماءُ على اختلافِ تخصّصاتِهم

وَإِنَّمَا يَصْلُحُ فيه مَنْ كَمُلْ
فِقْهًا، وَأَصْلًا، وحديثًا، واعْتَمَلْ

٢- الفوائدُ المترتّبةُ على معرفته

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ علمَ مختلف الحديث يشتملُ على فوائدَ عديدةٍ نذكرُ من أهمّها:

أ- أنّ هذا العلمَ خادمٌ لجُملة من علوم الإسلام المهمّة كالعقيدة والفقه والحديث، ولهذا لا يستغني عنه العلماءُ على اختلاف تخصّصاتهم.

ب- أنّ هذا الفنَّ يُتوصّلُ به إلى فهم السنّة النبويّة فهمًا سليمًا، واستنباطَ الأحكام منها استنباطًا صحيحًا، ولولاه لالتبستَ السنّةُ على النّاظر فيها، ولم يهتد إلى وجه الصّواب في تفسير ما ظاهرُهُ الاختلافُ من نصوصها.

ج- أنّه يُسهمُ إسهامًا كبيرًا في الرّدّ على الطّاعنين في السنّة الغرّاء من أعداء الإسلام، الزّاعمين وقوعَ الاضطراب والتّناقض في حديث سيّد الأنام ﷺ.

د- أنّه يكشفُ اللّبسَ الّذي قد يقعُ للمسلم في أبواب العقيدة أو الفقه بسبب توهّم الاختلاف بين الأحاديث.

هـ- أنّه يُساعدُ الباحثَ على التّرجيح بين الأقوال والمذاهب في المسائل الخلافيّة.

■ رابعًا: أشهرُ المصنّفات في مختلف الحديث:

اعتنى العلماءُ قديمًا وحديثًا بالتّصنيف في علم مختلف الحديث، ويمكنُ تقسيمُ مُصنّفاتهم في ذلك إلى قسمين: مصنّفات العلماء السّابقين، والرّسائل العلميّة الجامعيّة للمعاصرين.

مصنّفاتُ العلماء السّابقين:

١- «اختلافُ الحديث»: لمحمّد بن إدريس الشّافعيّ (٢٠٤هـ). قال الحافظ العراقيّ: وأوّلُ مَنْ تكلّمَ فيه الإمامُ الشافعيُّ في كتابه «اختلاف الحديث» (٢٦).

٢- «تأويلُ مختلف الحديث»: لعبد الله بن مسلم بن قُتيبة الدّينَوَريّ (٢٧٦هـ)، ولَم يقتصِرْ فيه على مختلف الحديث، بل ذكرَ فيه مشكلَ الحديث أيضا(٢٦).قال الإمامُ النّوويّ: «ثمّ صنّفَ فيه ابنُ قتيبة فأتى بأشياءَ حسنة وأشياءَ غير حسنة؛ لكون غيرها أقوى وأولى، وتركَ مُعظمَ المختلف»(٢٨).

٣- كتابُ عثمانَ بن سعيد الدّارميّ (٢٨٠هـ). قال الحاكمُ النيسابوريّ (٤٠٥هـ): «وقد صنّف عثمانُ بن سعيد الدراميُّ فيه كتابًا كبيرًا»(٢٩).

٤- كتابُ زكريا بن يحيى السّاجيّ (٣٠٧هـ)(٣٠).

٥- «تهذيبُ الآثار»: لمحمّد بن جرير الطبريّ (٣١٠هـ)(٣١).

٦- «شرحُ معاني الآثار» لأحمد بن محمّد بن سلامة الطّحاويّ (٣٢١هـ).

٧- «شرحُ مُشكل الآثار» للطّحاويّ كذلك. قال الحافظُ السّخاويّ: «وهُو من أجلّ كتبه، ولكنّه قابلٌ للاختصار غيرَ مستغنٍ عن التّرتيب والتّهذيب»(٣٢). وهو شاملٌ لمختلف الحديث ومشكله.

٨- «الآثارُ الّتي ظاهرُها التّعارُضُ، ونفيُ التّناقض عنها»: لعليّ بن أحمد بن حزم الأندلسيّ (٤٥٦هـ). قال الحافظُ الذّهبيُّ (٧٤٨هـ): «يكونُ عشرةَ آلافِ ورقة، لكنّ لم يتمّه!» (٣٣).

٩- «المغيثُ في مختلف الحديث»: للشيخ محمود بن طاهر(٣٤). قال الصّدّيقُ حسن خان: «وكتابُ «المغيث في مختلف الحديث» حَسَنٌ بَسَنٌ، نموذجًا في هذا البابِ» (٣٥).

ب- الرّسائلُ العلميّةُ الجامعيّةُ

اعتنى المعاصرون بعلم مختلف الحديث، وظهر ذلك جليًّا في الأطروحاتِ العلميّة للماجستير والدّكتوراه، ويمكنُ تقسيمُ الرّسائلِ المقدّمة في ذلك إلى قسمين:

الأوّل: أطروحاتٌ علميّةٌ في مختلف الحديث عمومًا؛ دونَ التّقيُّد بشخصيّة معيّنة؛ كأطروحة الدّكتور أسامة بن عبدالله الخيّاط: «مختلف الحديث بين المحدّثين والأصوليين الفقهاء».

الثّاني: أطروحاتٌ علميّةٌ في مختلف الحديث عند إمام من الأئمّة؛ الّذين كانتْ لهم في تصانيفهم عنايةٌ بمختلف الحديث، ولكن لم يُفردُوهُ بالتّصنيف؛ كالشّافعيّ، وأحمدَ (٢٤١هـ)، وأبي بكر الأثرم (٢٦١هـ)، وابنِ خزيمةَ (٣١١هـ)، والطّحاويّ، وابنِ حبّانَ (٣٥٤هـ)، وابنِ حزم، وابنِ عبدالبر(٤٦٣هـ)، والنّوويّ، وابنِ القيّم (٧٥١هـ)، وابنِ حجرٍ، وغيرهم.

ولا يزالُ البابُ مفتوحًا أمامَ الباحثينَ للإضافة في هذا القسم من الأطروحاتِ العلميّة؛ بدراسة مختلف الحديث عند غيرِ واحدٍ من الأئمّة الذي لم يتمّ دراسةُ جهودهم في هذا العلم، وبالله التّوفيقُ.

المراجع

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (خلف) (٩١/٩)، «المصباح المنير» للفيّوميّ (خلف) (١/ ١٧٩).
(٢) انظر: «فتح القدير» للشّوكانيّ (١١٨/٥) .
(٣) انظر: «شرح نخبة الفكر» للملّا علي القاري (ص٣٦٣)، «الوسيط في علوم ومصطلح الحديث» (ص٤٤١) لأبي شهبة.
(٤) «تقريب النّواويّ» مع شرحه «تدريب الرّاوي» للسيوطيّ (١٩٦/٢). فائدة: يقابلُ مختلفَ الحديث عند المحدّثين: المحكَمُ، وهو الحديثُ المقبولُ الّذي سلم منَ المعارضة. انظر «نزهة النّظر» (ص ١٦)، «منهج ذوي النّظر» (ص٢١٠).
(٥) «نزهة النّظر شرح نخبة الفكر» (ص ٢١٦)، وانظر «معرفة علوم الحديث» للحاكم النيسابوريّ (ص ١٨٦).
(٦) انظر: «لسان العرب» (شكل) (٣٥٧/١١)، «القاموس المحيط» للفيروزابادي (شكل) (١٣١٧) .
(٧) « شرح مشكل الآثار» (٦/١).
(٨) « مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء» لأسامة خيّاط (ص ٣٢).
(٩) انظر: «أبوجعفر الطحاوي وأثره في الحديث» لعبدالمجيد محمود (ص ٢٧٤)، «الوسيط في علوم ومصطلح الحديث» (ص ٤٤٢-٤٤٣)، «مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء» (ص ٣٣-٣٩).
(١٠) انظر: «معرفة أنواع علوم الحديث» (المقدّمة) لابن الصّلاح، مع « التقييد والإيضاح» للعراقي (ص ٢٤٤)، «نزهة النّظر» (ص ١٦-١٨)، «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» للسّخاويّ (٤٧١/٣-٤٧٥)، «تدريب الرّاوي» (١٩٧/٢-١٩٨).
(١١) «اختلاف الحديث» (ص/ ٤٨٧)
(١٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٧)، ومسلم (٢٢٢٠).
(١٣) أخرجه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٢٢٢١).
(١٤) انظرها بالتّفصيل في: «فتح الباري» لابن حجر (١٥٩/١٠-١٦٢).
(١٥) «معرفة أنواع علوم الحديث» (ص ٢٤٤)، وهذا الجمع الذي ذهب إليه الحافظُ ابنُ الصّلاح رجّحه ابنُ العربي في «عارضة الأحوذي» (٣١١/٨-٣١٣)، والنّوويُّ في «شرح مسلم» (٢١٣/١٤-٢١٤)، وابنُ القيم في «تهذيب السّنن» (٣٧٥/٥)، والعلامة أحمد شاكر في «الباعث الحثيث» (٤٨٤/٢) ؛ مؤيّدا ذلك بما توصّل إليه الطبُّ الحديثُ، والله أعلم.
(١٦) (٤٧٠/٣-٤٧٥) مع شرحها: «فتح المغيث».
(١٧) انظر: «الاعتبار في بيان النّاسخ والمنسوخ من الآثار» (ص ٩-٢٢).
(١٨) انظر: «التقييد والإيضاح» (٢٤٥-٢٥٠).
(١٩) انظر: «تدريب الرّاوي» (١٩٨/٢-٢٠٢).
(٢٠) «نزهة النظر» (ص ١٧-١٨)، وانظر: «فتح المغيث» (٤٧٥/٣).
(٢١) «اختصار علوم الحديث» مع شرحه «الباعث الحثيث» (٤٨٢/٢).
(٢٢) «معرفة أنواع علوم الحديث» (ص ٢٤٤).
(٢٣) «تدريب الرّاوي» (١٩٦/٢).
(٢٤) «فتح المغيث» (٤٧٠/٣).
(٢٥) (ص ٢٠٨) مع شرحها: «منهج ذوي النّظر في شرح منظومة علم الأثر» للتّرْمسيّ.
(٢٦) «شرح التبصرة والتذكرة» (ص ٣٣٦).
(٢٧) انظر: «تأويل مختلف الحديث» (ص ٨٧).
(٢٨) «تدريب الرّاوي» (١٩٦/٢).
(٢٩) «معرفة علوم الحديث» (ص ١٩٥).
(٣٠) ذكره الكتّاني في «الرسالة المستطرفة» (ص ١٥٨).
(٣١) انظر: «فتح المغيث» (٤٧٠/٣)، «الرسالة المستطرفة» (ص/١٥٨).
(٣٢) «فتح المغيث» (٤٧٠/٣).
(٣٣) «سير أعلام النبلاء» (١٩٤/١٨). وانظر: «فتح المغيث» (٤٧١/٣).
(٣٤) ذكرهُ إسماعيل باشا في: «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون» (٥٢٠/٤)، وقال: «تاريخ كتابة النسخة سنة أربعين ومائتين وألف».
(٣٥) «الحطة في ذكر الصّحاح السّتّة» (ص ١٢٤).

مُساجلات الأقران

مساجلاتُ الأقران ركنٌ شرعيٌّ وأدبيٌّ، وتاريخيٌّ توثيقيٌّ، يعْرض لبعض ما وقع لرجالات العلم، وأئمّة الدّين، وسادة اللغة والأدب، وأوعية الحديث والفقه، وأرباب الفنون المختلفة في محاوراتهم أو مراسلاتهم أو مناظراتهم، وربّما تناول بالسَّرْد والتّحقيق ما تَبارى فيه الشّعراءُ والحكماءُ والمفكّرون والبُلغاء، كل ذلك بغية تصوير ما كان عليه المتقدّمون والمتأخّرون من تمام العقل، وسَعَة الصّدر، وجودة القريحة، وصفاء النّفس، وهي رسائل ناطقةٌ وصامتةٌ للتعلّم وحُسْن التّهدّي، تدْعو مَن يقف عليها من عموم المثقّفين للتأمُّل وطول التدبّر في كيفيّة معالجة ما يقع للنُّفوس من الخلل والتأثر السّلبيّ النّاجم عن ضيق النّفس، وكآبة الضمير، وقلّة الدّراية والفَهم.جاء في لسان العرب: ٣٢٥/١١ «أصْل المُساجَلة: أن يَسْتَقيَ ساقيان فيُخْرجُ كُل واحد منهما في سَجْله مثْل ما يُخرج الآخَر، فأيُّهما نَكَل فقد غُلِبَ. فضربتْه العربُ مثلاً للمُفاخَرة، فإذا قيل: فلان يُساجِل فلاناً، فمعناه: أنه يُخْرجُ من الشَّرَف مثْلَ ما يُخرجه الآخرُ، فأيُّهما نَكَل فقد غُلب، وتَساجَلوا، أيْ: تَفاخَروا، ومنه قولهم: الحَرْبُ سِجالٌ».

ولئن كانت الصّناعاتُ المختلفة، كما يقرّر ذلك العلماء، لها درجاتٌ متفاوتة، فمنها ما يرفع أهْله ويشرّفهم ويُغْنيهم عند المساجَلة والمكاثرة عن كرم المناسب، وشَرَف المناصب، ومنها ما يضَعُ المحترفين له أشدَّ الضَّعة، ويُخْملُهُمْ أقْبَح الخمول، حتى لا يكونوا لأحد ممّن سواهم نظراءَ في منزلة، ولا أكْفاءَ في معاشرة.

لئن كان ذلك، فإنّ صنْعَة العلْم، وسَعَة الاطّلاع، وجودة المحفوظ، وتجدُّدَ الفائدة من أجمل ما يتبارى فيه المتبارون، ويتمدَّحُ به السّامعون، وينْهَل منه المتلهّفون.

التحرير

بين الإمامين أبي الحسن الأشعريّ وأبي عليّ الجبّائيّ المعتزليّ
في مسألة تعليل الأحكام الشرعيّة والأمر والنهيّ

د. الطاهر الأزهر خذيري

أبوالحسن الأشعري؛ هو الإمام عليّ بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله ﷺ؛ أبي موسى عبدالله بن قيس بن حضار، الأشعريّ اليماني البصري.

وُلد سنة ستين ومائتين، وكان عجبًا في الذكاء وقوة الفهم، برع في بداية عمره في معرفة الاعتزال، ثم أنعم الله عليه فكرهَه وتبرّأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يردّ على المعتزلة ويهتك عُوارهم، ولقد كانت المعتزلة ترفع رؤوسها حتى نشأ الأشعريّ فحَجَرهم في أقماع السمسم؛ كما قيل.

ومن عمقه ودقة كلامه؛ قال ابن الباقلانيّ: أفضل أحوالي أنّ أفهم كلام الأشعري، وقال الذهبي في السير: «ولأبي الحسن ذكاءٌ مفْرط، وتبحّرٌ في العلم، وله أشياء حسنة، وتصانيفُ جمّةٌ؛ تقضي له بسَعة العلم»، ثم قال: «رأيت للأشعريّ كلمةً أعجبتني، وهي ثابتة رواها البيهقيّ، سمعت أبا حازم العبدويّ، سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول: لمّا قرُب حضور أجل أبي الحسن الأشعريّ في داري ببغداد، دعاني فأتيته، فقال: اشْهَد عليّ أني لا أكفّر أحدًا من أهل القِبلة؛ لأن الكلّ يشيرون إلى معبود واحد، وإنّما هذا كلّه اختلاف العبارات».

وأمّا الجُبّائي فهو شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف، أبو عليّ، محمد بن عبدالوهاب البصري؛ مات بالبصرة سنة ثلاث وثلثمائة، كان على بدعته متوسّعًا في العلم، سَيّال الذِّهن، غفر الله له ورحمه وعفا عنه.

نصّ المناظرة

جاء في وفيات الأعيان (٢٦٧/٤) وغيره أنّ أبا الحسن الأشعريّ سأل أستاذه أبا عليّ الجبائيّ عن ثلاثة إخوة.. أحدهم كان مؤمنًا برًّا تقيًّا، والثاني كان كافرًا فاسقًا شقيًّا، والثالث كان صغيرًا، فماتوا فكيف حالهم؟

فقال الجبّائي: أمّا الزاهد ففي الدرجات، وأما الكافر ففي الدركات، وأما الصغير فمن أهل السلامة.

فقال الأشعريّ: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟

فقال الجبائي: لا، لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات.

فقال الأشعري: فإن قال ذلك الصغير: التقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة.

فقال الجبائي: يقول الباري جل وعلا: كنتُ أعلم أنك لو بقيتَ لعصيْتَ وصرتَ مستحقًّا للعذاب الأليم، فراعيْتُ مصلحتَك.

فقال الأشعري: فلو قال الكافر: يا إله العالمين، كما علمتَ حاله فقد علمتَ حالي، فلمَ راعيْتَ مصلحته دوني؟

فقال الجبائي للأشعري: إنك لمجنون!

فقال: لا؛ بل وقف حمار الشيخ في العقبة؛ وكان فيه دعابة ومزح كثير، يرحمه الله، فانقطع الجبائيّ.

قال ابن العماد: «وفي هذه المناظرة دلالةٌ على أنّ الله تعالى خصّ من شاء برحمته، واختصّ آخر بعذابه».

قال محقّق كتاب سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٤) بعد سياقه المناظرة في الأصل: «أوْرَد هذه المناظرةَ السبكيّ في طبقاته (٣٥٦/٣) وقال: هذه مناظرة شهيرة، وقد

حكاها شيخُنا الذّهبيّ، وهي دامغةٌ لأصل مَن يقلّده؛ لأنّ الذي يقلّده يقول: إنّ الله لا يفعل شيئًا إلاّ بحكمة باعثة له على فعْله، ومصلحة واقعة، وهو من المعتزلة في هذه المسألة، فلو يدري شيخُنا هذا لأضْرَب عن ذكْر هذه المناظرة صفْحًا. قلت (المحقق): في كلام السبكيّ هذا مؤاخذاتٌ، فقوله «وهي دامغة لأصل مَن يقلّده» يعني به شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا محْضُ افتراء على الذّهبيّ؛ فإنّه وإن كان شديدَ الإعجاب به، كثيرَ التنويه بعلمه وفضله، قويّ الاعتداد بمنهجه القائم على الأخْذ بكتاب الله تعالى، وسنة رسولهَ الثابتة، والاعتصام بهما، وفهْمهما على النحو الذي فهمه السلَف؛ لم يكن معه على وفاقٍ تامّ، فأحيانًا يأخذ برأيه ويوافقه، وتارة يخطّئُه ويردُّ عليه ويقسو في الرّدّ؛ شأنَ العالم المتبصّر المستقلّ الذي يرى أنّ كلّ أحد من أهل العلم يؤخذ من قوله ويُترك، فكأن ماذا؟ وقوله: «وهو من المعتزلة في هذه المسألة»، فريةٌ بلا مرية، فإنّه- يرحمه الله- متابعٌ في هذه المسألة جمهورَ أهل السنة، والنّصوصُ الكثيرة الوفيرة تشهد لما انتهى إليه؛ فهل يكون مجانبًا للصواب، ومعدودًا من المعتزلة في هذه المسألة مَن يقول: إنّ لله تعالى حكمة تتعلّق به يحبّها ويرضاها، ويفعل لأجْلها، فهو سبحانه يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها، وهو يعلم العباد أو بعض العباد من حكمته ما يطلعهم عليه، وقد لا يعلمون ذلك، والأمور العامّة التي يفعلها تكون لحكمة عامّة، ورحمة عامة؛ كإرساله محمّدًا ﷺ؛ فإنّه كما قالَ تعالى: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾، وما يُشاهَد في الوجود من الضرر، فلابد فيه من حكمة؛ كما قال تعالى: ﴿صنعَ الله الذي أتقن كل شيء﴾، وكما قال: ﴿الذي أحسن كل شيء خَلقه﴾، والضّرر الذي تحصل به حكمةٌ مطلوبةٌ لا يكون شرًّا مطلقًا، وإن كان شرًّا بالنسبة إلى مَن تضرّر به، وكلّما ازداد العبد علمًا وإيمانًا، ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يُبْهر عقله، وتَبَيّن له تصديقُ ما أخبر الله به في كتابه؛ حيث قال: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾، وقوله: «فلو يدري شيخنا هذا لأضْرب عن ذكْر هذه المناظرة صفحًا» اتّهامٌ للذهبيّ شيْخَه بسُوء الفهم، وله من ذلك غيرُ ما عبارة، والشيخ الذهبي ليس بحاجة إلى التدليل على جودة ذكائه، ووُفُور حفظه وفهمه للنصوص على الوجه الصحيح، وقدرته الفائقة على صوْغها بأسلوبه الواضح العَريّ عن الغموض والالتواء، فإنّ في كتابه هذا وغيره من مؤلفاته الكثيرَ من ذلك، ولكنّ السبكيّ- وهو لا يرى الحقّ إلاّ فيما انتهى إليه الأشاعرة- يتجاهل كلّ ما ذَكَرْتُ، ويَنْعَت شيخه بسوء الفهم، وأنّه يدوّن ما لا يدري، وأنّه لا خبرة له بمدلولات الألفاظ؛ بدافع الحقد والتعصّب، وبالرجوع إلى ما كُتب في مقدّمة هذا الكتاب (مقدّمة تحقيق كتاب سير أعلام النبلاء)، وإلى ما كتبه السّخاويّ في الإعلان بالتوبيخ ص٧٦،٧٧، يتبيّن للقارئ الكريم أنّ ما يقوله السبكيّ في حقّ شيخه الذهبيّ مرفوضٌ؛ لأنه صادرٌ عن هوى وتعصّب» انتهى كلام المحقق.

وقفةٌ مع موضوع المساجلة

يحسن- لفهم ما واجه به الإمام الأشعريّ شيخه الجبّائي المعتزليّ- أن نُعرّف الصلاح والأصلح، ثم نسوق، اختصارًا، خلافَ أهل السنة لغيرهم في تقرير المعتقَد الصحيح في هذه المسألة.

ورأي المعتزلة في الصلاح والأصلح ملخّصٌ في قول شيخهم النّظّام: «إن الله لا يقدر على أن يفعل بعباده خلافَ ما فيه صلاحهم، ولا يقدر أن ينقصَ من نعيم أهل الجنة ذرّة؛ لأنّ نعيمهم صلاحٌ لهم، ونقصان ما فيه صلاحهم ظلمٌ!!».

ويقول الشهرستاني- وهو يبيّن رأي المعتزلة في الصلاح والأصلح-: «وقالت المعتزلة: الحكيم لا يفعل فعلًا إلا لحكمة وغرض، والفعل من غير غرض سفه وعبث، والحكيم من يفعل لأحد أمرين؛ إما أن ينتفع أو ينتفع غيره، ولمّا تقدس الرب تعالى عن الانتفاع تعيّن أنه إنما يفعل لينفع غيره، فلا يخلو فعل من أفعاله من صلاح، ثم الأصلح هل تجب رعايته، قال بعضهم: تجب كرعاية الصلاح، وقال بعضهم: لا تجب؛ إذ الأصلح لا نهاية له، فلا أصلح إلا وقوفه ما هو أصلح منه...».

وأمّا الأصلح: فقد اختلفوا فيه، وجمهورهم يرون وجوبه على الله تعالى؛ لأنّ الأصلح- فيما يعتقدون- هو الغاية، وقد فعله الله بعباده، ولا شيء يُتوهم وراء الغاية.

وأمّا الذي يقرّره أهل السّنّة: فهو أنّ الله تعالى أمَر العباد بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، وأنه تعالى يفعل بالعباد ما فيه صلاحهم؛ لا على سبيل الوجوب عليه، وذلك لأن الوجوب منفيّ عن الله تعالى؛ إذ المفهوم منه ما ينال تاركَه ضررٌ عاجلًا أو آجلًا، أو ما يكون نقيضه محالًا، وهذه كلّها لوازم يتنزّه الله عنها.

يقول ابن تيمية في معرض ردّه على من يقول بالوجوب على الله (اقتضاء الصراط١/٤٠٩): «وأمّا الإيجاب عليه سبحانه وتعالى، والتحريم بالقياس على خلقه؛ فهذا قول القدرية، وهو قول مبتدَعٌ مخالف لصحيح المنقول، وصريح المعقول. وأهل السنة متّفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء وربُّه ومليكُه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنّ العباد لا يوجبون عليه شيئًا؛ ولهذا من قال من أهل السنة بالوجوب قال: إنه كتب على نفسه الرحمة وحرم الظلم على نفسه، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئًا؛ كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعِم على العباد بكل خير، وهو الخالق لهم، وهو المرسِل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم بالإيمان والعمل الصالح، ومن توهّم من القدرية والمعتزلة، ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجير على المستأجر، فهو جاهل في ذلك، وإذا كان كذلك لم تكن الوسيلةُ إليه إلا بما مَنّ به من فضله وإحسانه، والحق الذي لعباده هو من فضله وإحسانه ليس من باب المعاوضة، ولا من باب ما أوجبه غيره عليه، فإنه سبحانه يتعالى عن ذلك».

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

قـزويـن

إن من أحب الأشياء إلى النفس أن تتعرف على منطقة أو مدينة كانت حاضرة المناطق، ثم غيبتها الأيام، ونسيها سكان الزمان.

مدن كانت نسبًا لعلمائها الذين ملأوا الدنيا علمًا، فعرفتهم أقاصي المعمورة، وطوّف ذكرهم البلاد، على حين زالت هذه المدن مع تقلب الأيام، واندرست، وطمست معالمها، أو استبدل باسمها آخر.

وإنّ من أحب الأشياء إلى النفوس أن تعرف عالما طار صيته، ثم تعلم موقع بلده، لتقرن العلم بالمكان، والسمع بالحس، والمعرفة بالبيئة، والنبوغ بالمصدر، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل، وتفتش فلا تعرف، إذ ضاع الماضي، واندثر الفن، وندبت الحضارة أيامها الخوالي.

وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرفها على ذلك المكان، الذي اقترن بترجمة عالم من العلماء، يذكر كلما ذكر ذلك العالم، ومع ذلك لا يعرف موقعه في خريطة العالم اليوم.

ومن الموضوعات التي يعاني الباحثون من شح المعلومات حولها ما يتعلق بالتعريف بالبلدان التي ينتسب إليها العلماء، حيث إنها وإن كانت معرفة في كتب البلدان القديمة، كمعجم البلدان للحموي، وغيره، إلا أن تحديد موقعها اليوم، وتقديم وصفها الحالي، مما يعجز عن الوصول إليه كثيرٌ من الباحثين، وأنا واحدٌ من أولئك، حيث كنت أجد صعوبة في الوصول إلى بغيتي في هذا المجال في بحوثي الأكاديمية في الجامعة.

ولاشك أن علماء المسلمين اهتموا بعلم البلدان، وأولوه عناية خاصة، وذلك لأسباب كثيرة منها التعرف على الأمصار والأقطار التي ينتسبُ إليها علماء كان لهم إسهام بارز في التراث الإسلامي، وكان اهتمام المحدثين منهم بهذا العلم أكثر من غيرهم؛ لأن معرفة موطن المحدث من أهم عناصر ترجمته، ولذلك أفردوه كنوع مستقل من أنواع علوم الحديث (١).

وقد زادت الحاجة إلى هذا العلم بعد أن طرأ تغيير واسع على بعض الأسماء المعروفة من نواح عديدة، وبعد أن أهمل الباحثون ذكر كثير من المناطق والأقاليم التي كانت من حواضر العلم، وذلك بعد أن تقاسمتها دول عدة، وضمت إلى أراض واسعة، فضاعت لصغرها النسبي، كما هو حال «خراسان».

وللمساهمة في تذليل هذه العقبات؛ أردت أن أتناول الأمصار التي انتسب إليها العلماء.

د. محمد محمدي محمد جميل
اختصاصي دراسات إسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

قَزْوِين: مدينة مشهورة حسنة، من أقدم المدن في إقليم الجبال، كانت معقلاً لأساورة الفرس والديلم، وصفها الإصطخريُّ (ت ٣٤٦هـ) بأنّ عليها حصن، وداخلها مدينةٌ صغيرةٌ عليها حصنٌ، والمسجد الجامعُ في المدينة الداخلة، وماؤُها من السماء والآبار، وليس بها نهرٌ إلا قناةٌ صغيرةٌ للشرب لا يفضل لزروعهم، وهي ثغر الديلم، وتكون نحو ميلٍ في ميل(١).

وقال المقدسي (ت نحو٣٨٠هـ): مدينة كبيرةٌ كثيرةُ الكروم وعلى الربض حصنٌ...وهي ثغرُ الكورة، ومن معادن الفقه والحكمة (٢).

ولم يختلف وصفُ الإدريسي(ت ٥٦٠هـ)، وابن حوقل النصيبيّ (ت بعد ٥٨٠هـ)، وكذلك ياقوت الحَمَويّ (ت ٦٢٦هـ) لها(٣)، مما يدلُّ على أنها لم تتطور في تلك الفترة التي تقارب القرنين والنصف من الزمان.

ثم وصفَها القزوينيُّ (زكريا بن محمود ت ٦٨٢هـ) وهو من أهلها، وأفاضَ في وصفها، من ذلك أنه قال: «قزوين مدينةٌ كبيرةٌ مشهورةٌ عامرة في فضاء من الأرض، طيّبةُ التربة، واسعة الرقعة، كثيرةُ البساتين والأشجار، نزهة النواحي والأقطار، بُنِيَت على وضعٍ حسن لم يُبنَ شيءٌ من المدن مثلها.

وهي مدينتان: إحداهما في وسط الأخرى، والمدينةُ الصغرى تسمّى شهرستان، لها سورٌ وأبواب، والمدينة الكبيرةُ محيطةٌ بها، ولها أيضًا سورٌ وأبواب، والكرومُ والبساتينُ محيطةٌ بالمدينة العظمى من جميع الجوانب، والمزارعُ محيطةٌ بالبساتين، ولها واديان؛ أحدُهما وادي درج، والأخرى وادي اترك»، ثم رسمَ صورةَ المدينة(٥).

وقال: «وبين قزوين وبين الديلم جبلٌ كان ملوك الفرس يجعلون عليه رابطةً إذا لم يكن بينهم هدنة، وذلك الجبلُ هو الحاجزُ بين القزاونة والإسماعيليّة، أحدُ جانبَيه لهؤلاء والجانبُ الآخرُ لهؤلاء»(٦).

وقد كانت منذ أقدم الأزمنة موضعا جليلًا؛ تحرس الدروبَ المخترقةَ من إقليمَ طبرستان، وتؤدي إلى شطآنِ بحر قزوين، وكانت البقاعُ الجبليّةُ في الشمال الغربيّ تؤلّفُ منذ القِدَمِ قسمًا من بلاد الديلم، وكانت وقتًا ما مستقلةً استقلالًا داخليًا، فلم تخضع لحكم العباسيين.

وكانت قزوين في ذلك العصر أهمّ ثغرٍ للمسلمين في تلك الناحية.

وقد ذكرَها الذهبيُّ في كتابه «الأمصار ذوات الآثار»(٧) وقال: «ذُكِرَت في المائة الثالثة، وخرجَ منها محمدُ بنُ سعيد بن سابق...» ثم ذكرَ بعضَ أشهر علمائها.

وأوّلُ من استحدثَها سابور ذو الأكتاف، وبقيت معقلا لأساورة الفرس والدّيلم، إلى أن جاءت الفتوحات الإسلامية؛ ففتحت في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان الصحابيُّ الجليلُ البراء بن عازب رضي الله عنه أوّلَ والٍ عليها، وذلك سنة أربع وعشرين من الهجرة (٢٤هـ).

ومنذ ذلك الحين دخلها الإسلام واستوطنها الفاتحون العرب، وتسرّب إليها اللّسان العربي، وما كاد يطل القرن الثالث الهجري حتّى اكتسبت قزوين شهرة كبيرة في علم الحديث، وبرز فيها عدد كبير من المحدّثين، فصارت بذلك- كما قال ابنُ خلّكان- «من أشهر مدن عراق العجم، وخرج منها جماعة من العلماء المعتبرين»(٨).

وقد بلغ من مكانة قزوين واتّساع الحركة العلمية فيها أن خصّها بعض أبنائها بالتأريخ لها، والترجمة لأعيانها وعلمائها، منهم: الخليل بن عبدالله، أبويعلى القزويني (ت ٤٤٦هـ)، حيث ألّفَ كتابَه «تاريخ قزوين»، وكتابُه لا يُعرف له أثر، وأشهر الكتب المؤلّفة عن قزوين هو كتابُ الحافظ عبدالكريم بن محمد الرافعي (ت ٦٢٢هـ) الذي أسماه: «التدوين في أخبار قزوين»، ألّفَه لمحدّثي قزوين، ولمن سكنَها وحدّثَ بها، وهو مطبوع.

وظلّت قزوين على ازدهارها وعمرانها إلى مطلع المائة السابعة، حيث نالها ما نالَ الحواضرَ الإسلاميةَ الأخرى من الخراب

والدمار على أيدي المغول، فخرّبوها، وبعد ذلك بمائة سنة كتبَ عنها المستوفي (وهو حمدالله المستوفي القزويني) في تاريخه(٩) الذي ألفه في عام ٧٣٠هـ، وأفاضَ في الحديث عنها، اقتبسَ بعضَه مما يتناقلُه الناسُ فيها، وكلامُه يدلُّ على أنّ المدينةَ كانت قد استعادَت ازدهارَها في عهده.

وقد رُوِيَت أحاديثُ مرفوعةٌ في فضائلِ قزوين ولا يصحُّ شيءٌ منها، ذكرَ بعضَها القزوينيُّ في «آثارِ البلاد»(١٠)، كما ذكرَ أمورًا خرافيةً أخرى تخصُّ هذه المدينة.

وتقعُ قزوين- الآن- على نحو تسعين ميلا (١٥٤،٨٤٠ كم تقريبا) شمال غربي مدينة طِهْران، على الطريق المؤدّية من طهران إلى تبريز، على السفوح الغربيّةِ الجنوبية من جبال «البرز» بإيران، ويبلغ عددُ سكانها حوالي ٢٠٠ ألف نسمة.

وقد خرجَ من مدينة قزوين علماءُ أجلاء كثيرون، قال الحموي: «ويُنسب إلى قزوين خلقٌ لا يُحصون...» ثم ذكرَ بعضَهم.

وأشهرُ المنتسبين إلى هذه المدينة هو الإمامُ الحافظُ محمّد بن يزيد الرّبَعي مَوْلاهم، أبوعبدالله ابن ماجَه القَزْويني (ت ٢٧٣هـ).

وُلد الإمام ابنُ ماجَه سنةَ تسع ومائتين للهجرة، في مدينة قزوين؛ وبدأ في طلَب العلم، ورحل إلى الأقاليم المختلفة، والمراكز العلميّة القريبة والبعيدة؛ لكَتْب الحديث وجمعه، والأخذ عن علماء الحديث وأئمّته، وكانت بداية رحلته بعد الثلاثين ومائتين، وهو في الثانية والعشرين من عمره، وكان رحمه الله من الأئمّة الرّحالين الذين توسّعوا في الرّحلة وأكثروا منها؛ حتّى قال عنه الإمام المزّيّ: «ذو التّصانيف النّافعة، والرّحلة الواسعة»(١٢).

ومن المدن التي ذكروا أنه رحل إليها: خراسان، والرّي، والبصرة، والكوفة، وبغداد، والشام، ومكة، والمدينة، ومصر، وغيرها من الأمصار(١٣).

ثم بعد رحلة شاقّة استغرقت أكثر من خمسة عشر عامًا عاد ابنُ ماجه إلى قزوين، واستقرّ بها، منصرفًا إلى التّأليف والتّصنيف، ورواية الحديث بعد أن طارتْ شهرتُه في الآفاق، وقصده الطّلابُ من كلّ مكان.

وشيوخه رحمه الله خلقٌ كثيرون، قال الحافظ المزّي: «سمع بخراسان والعراق والحجاز ومصر والشام وغيرها من البلاد جماعةً يطول ذكرهم»(١٤). وقال الحافظ ابن كثير: «وقد ترجمناهم في كتابنا التكميل»(١٥).

وقد حاول بعض المعاصرين استقصاء شيوخه؛ فقال: «وقد استقصيت في كتابي «الإمام ابن ماجه وعلم الحديث»- وهو باللغة الأردية- أسماء شيوخ ابن ماجه الذين روى عنهم في سننه وتفسيره، ورتبتهم على بلادهم؛ فبلغ عددهم (٣١٠)»(١٦).

وبعد أن عاد الإمام ابن ماجه رحمه الله من رحلته الطويلة، واستقرّ في بلده قزوين، وقد طبقت شهرته الآفاق، وصار- كما قال الحافظ الذهبي- «حافظ قزوين»(١٧) أقبل عليه طلاّب العلم من كلّ مكان؛ فكان من أشهر من تتلمذ عليه، وتخرّج في فنّ الحديث على يديه جماعةٌ من الكبار القدماء، منهم علي بن إبراهيم بن سلمة أبوالحسن القزويني القطّان (٣٤٥هـ)، وأبوالحسن علي بن سعيد بن عبدالله العسكري الحافظ (٣١٣هـ)، وأحمد بن إبراهيم القزويني جد الحافظ أبي يعلى الخليلي (٣٢٧هـ)، وغيرهم.

وقد ألّف الإمامُ ابنُ ماجه كتبًا عديدةً أشهرُها سُنَنُه الذي يُعدُّ سادس الكتب الستة المعروفة.

وقد أثنى على الإمام ابن ماجه عددٌ من الأئمة، ومن أقوالهم في الثناء عليه(١٨):

قال الإمام أبويعلى الخليليّ: «ثقةٌ كبيرٌ، متّفقٌ عليه، محتجٌّ به، له معرفةٌ بالحديث وحفظٌ».

وقال الحافظ عبدالكريم الرّافعيّ: «وهو إمامٌ من أئمّة المسلمين، كبيرٌ، متقنٌ، مقبولٌ بالاتّفاق».

وقال العلامة ابنُ خلّكان: «الحافظ المشهور، مصنّفُ كتاب «السُّنن» في الحديث، كان إمامًا في الحديث، عارفًا بعلومه، وجميعِ ما يتعلق به».

وقال الإمام الذهبي: «كان ابنُ ماجه حافظًا، ناقدًا، صادقًا، واسعَ العلم».

وقال الحافظ ابن كثير: «صاحبُ كتاب السُّنن المشهورة، وهي دالّةٌ على عمله وعلمه، وتبحُّره واطّلاعه، واتّباعه للسُّنّة في الأصول والفروع».

وقال الحافظ ابنُ ناصر الدّين الدّمشقيّ: «أحدُ الأئمّة الأعلام، وصاحبُ «السُّنن» أحد كتب الإسلام... وهو حافظٌ نبيلٌ، ثقةٌ كبيرٌ، صنّف السنن والتّاريخ، والتّفسير».

وتوفي الإمامُ ابن ماجه سنة (٢٧٣هـ) ومن الغرائب هنا أنّ القزوينيّ صاحب كتاب «آثار البلاد» ذكرَ كثيرًا عن أعلام هذه المدينة، وفيهم مَن فيهم من أهل البدع، ولم يذكر فيهم ابنَ ماجه.

الهوامش

(١) «مسالك الممالك» للإصطخري (ص ٢١١).
(٢) «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي (ص ٣٩١-٣٩٢).
(٣) انظر: «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدريسي (٦٧٨/٢)، «صورة الأرض» لابن حوقل (ص ٣٨٠)، «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٣٤٢/٤).
(٤) «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدريسي (٦٧٨/٢).
(٥) «آثار البلاد وأخبار العباد» للقزويني (ص ٤٣٤).
(٦) المصدر السابق (ص ٤٣٥).
(٧) (ص ٢٠٠-٢٠١).
(٨) انظر: «وفيات الأعيان» (٢٧٩/٤).
(٩) «تاريخ كزيدة تاريخ المنتخب» (ص ٢٣١)، نقلًا عن «بلدان الخلافة الشرقية» (ص ٢٥٤-٢٥٥).
(١٠) (ص ٤٣٥).
(١٢) «تهذيب الكمال» (٤٠/٢٧).
(١٣) انظر: «وفيات الأعيان» (٢٧٩/٤)، «تهذيب التهذيب» (٧٣٧/٤).
(١٤) «تهذيب الكمال» (٤٠/٢٧).
(١٥) «البداية والنهاية» (٥٢/١١).
(١٦) «الإمام ابن ماجه وكتابه السنن» لمحمد عبدالرشيد النعمانيّ (ص ١٧٩).
(١٧) «المعين في طبقات المحدثين» (١٠٣/١). وانظر: «تذكرة الحفّاظ» (٦٣٦/٢).
(١٨) انظر: «المدخل إلى سنن الإمام ابن ماجه» للشيخ نورالدين مسعي (ص ٣٦-٣٧).

الجامع العمري الكبير في بيروت

تركي محمد النصر
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

الجامع شاهد على تاريخ وحضارة بيروت والعروبة والإسلام، وهو أقدم الأبنية الأثرية التي لا تزال قائمة على حالها في بيروت حتى اليوم، ومن أجمل ما أبدعه المسلمون في لبنان.

الجامع العمري الكبير رمز إسلامي أصيل، استقر في أذهان البيروتيين منذ مئات السنين، كما أنه شاهد على انطلاقة مئات العلماء والفقهاء الذين كانوا مركزًا لنشر العلم والمعرفة.

بيروت من أقدم وأعرق مدن العالم، وهي جوهرة لبنان وعاصمتها، ومرابط أهل الشام، تقع على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، تتمتع هذه المدينة الجميلة بجودة الطقس واعتدال المناخ وروعة المنظر، وتذكر بعض المصادر أن اسم بيروت مشتق من «بيريت» أي الآبار، وذلك لكثرة وجود الآبار والينابيع فيها.

وقد كانت بيروت حتى نهاية القرن الأول الهجري لا تزال تتمثل بأخلاق الصحابة والتابعين الذين نزلوها ورابطوا فيها.

دخلت جيوش الفتح الإسلامي إلى بلاد الشام في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت٢٣هـ)، وأوكل القائدُ أبوعبيدة بن الجراح رضي الله عنه (ت١٧هـ) إلى يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه (ت١٨هـ) فتح بيروت والمدن الساحلية، وتم فتح المدينة عام (١٤هـ -٦٣٥م)، ويُعتبر جامعها العمري الكبير- الذي يتوسط المدينة القديمة- من أبرز آثار الفتح الإسلامي فيها، وهو أقدم جوامع المدينة العريقة.

الجامع في حياة البيروتيين

كان الجامع العمري في بيروت الجامع الرئيسي للمدينة، والذي تقام فيه الصلوات والاحتفالات، كالاحتفال بعيدي الفطر والأضحى، والمناسبات الاجتماعية كعقود الزواج، والأنشطة التربوية كالدورات الصيفية والشتوية للشباب، كما يقوم الجامع بإدارة بنك دم يحتوي على أكثر من ألف متبرع جاهزين للتبرع في أي وقت ولأي شخص.

وصفه

يتكون الجامع من ثلاثة أجزاء رئيسية: حرم المسجد، المدرسة العمرية، الباحة الخارجية. مسقط المبنى عبارة عن مستطيل طوله حوالي ٣٣ مترًا وعرضه متران تقريبًا.

المدخل الرئيسي للجامع عبارة عن صالة مربعة مغطاة بقبو متقاطع، محمول على أربعة عقود مدببة، محمولة بالتالي على دعائم حجرية محلاّة بأنصاف أعمدة، ويتصل المصلى الرئيسي بالصحن الخارجي في الجهة الشمالية عبر باب خشبي عال وعريض، تعلوه قنطرة كبيرة مزينة بالنقوش والأحجار البيضاء والصفراء، أما الباب الرئيسي فمميّز تزينه أحجار جرانيت، نُقِشَ عليها كلمة «لا إله إلا اللهَ، محمد رسول الله»، تتقدمه ثلاث قناطر، ترتفع على أعمدة كبيرة هي بمثابة رواق مسقوف، وإلى جانبه محراب صغير، مزين بإطار من الرخام الأسود وأشكال هندسية مختلفة، كتب عليها أسماء الصحابة- رضي الله عنهم-

أما المئذنة القديمة فمربعة المسقط، وبداخلها سلم دائري، وقد بنيت من الحجر الرملي، ولها فتحات ضيقة مستطيلة على الجدار الجنوبي، وقد أضيفت مئذنة ثانية مشابهة للمئذنة القديمة لكنها أعلى وأكبر.

يوجد تحت المسجد قاعة قديمة تُعَد أقدم قاعة في بيروت، مبنية بالحجر الرملي، ومؤلفة من أقواس معقودة وأعمدة من الجرانيت، كانت تُستعمل لتخزين ماء الوضوء، حُوّلت فيما بعد إلى مصلى، ومكتبة، وقاعة للمحاضرات، ومتحف إسلامي.

تاريخ الجامع

باشر المسلمون بناء مسجدهم الجامع بعد فتحهم لسواحل الشام (لبنان) بعد سنة ١٤هـ، حيث بنوه على أنقاض «المعبد القديم» الذي بناه الامبراطور الروماني فيليب الحوراني في القرن الثالث قبل الميلاد، ليكون معبدًا للشمس.

كان بناء الجامع متواضعًا في بدايته، وظل على هذه الحال حتى سنة ٢٢هـ، حيث قام الأسطول البيزنطي بغارة انتقامية ضد المسلمين، استرد فيها بيروت والمدن الساحلية، ووقع الجامع تحت سيطرتهم فحولوه إلى معبد لهم، وظل كذلك حتى قام والي الشام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، سنة ٢٤هـ باسترداد بيروت بهجوم بري كاسح، وتم تحويلها إلى مركز للأسطول البحري الإسلامي، وتم استرداد مسجدها وتهيئته للعبادة.

قال الشيخ محي الدين الخياط : «وهو أي الجامع العمري الكبير. أقدم جوامع البلدة، ومن الذائع على الألسنة، والمعروف عند المؤرخين أنه من آثار الفتح الإسلامي، وأوائل أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه».

ومنذ الفتح الإسلامي أخذ المسلمون يرابطون ويتكاثرون في بيروت حتى صار أكثر سكانها من المسلمين، وبقيت بيروت ومسجدها الجامع في ظل الدولة الإسلامية حتى

احتلها الصليبيون سنة ٥٠٣هـ، حيث قاموا بقصفها بالمنجنيق لمدة شهرين في ظل مقاومة باسلة من أهلها الذين استشهد منهم أكثر من ٢٠ ألفًا، يقول ابن القلانسي (ت: ٥٥٥هـ) في تاريخه: «ولم ير الإفرنج فيما تقدم وتأخر أشد من حرب هذا اليوم»، يقصد به دخول الصليبيين إلى بيروت، وعندما دخل الصليبيون إلى بيروت دمروا مساجدها إلا المسجد العمري، حيث حولوه إلى كنيسة لهم، ثم تعرض المسجد للهدم بسبب زلزال بيروت سنة٥٥١هـ، واستمرت بيروت مدة ٧٧ سنة في ظل الاحتلال الصليبي، تهدر كرامتها حتى أعاد السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت: ٥٨٩هـ) الكرامة للمسلمين سنة ٥٨٣هـ، ودخل بيروت صلحًا، وأعاد مسجدها الجامع إلى سابق عهده.

وفي سنة ٥٩٣هـ، وبعد وفاة القائد صلاح الدين، عاد الصليبيون إلى بيروت ودخلوها دون قتال، وحوَّلوا مسجدها إلى كاتدرائية مرة أخرى، في حين بقي للمسلمين في بيروت مسجدان هما مسجد الإمام الأوزاعي، ومسجد شمس الدين، ولما كان عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون تم تحرير بيروت نهائيًا من الاحتلال الصليبي على يد الأمير علم الدين سنجر سنة ٦٩٠هـ، وعاد مسجدها الجامع وللأبد ليصبح منارة لنشر الدين والعلم في بيروت إلى يومنا هذا.

بناؤه

لقد بقي المسجد على حاله المعماري الأول حتى عهد حاكم بيروت زين الدين الباعوني الذي جدده سنة ٧٦٤هـ، وأدخل عليه فن البناء والهندسة الإسلامي، أما المئذنة القديمة فأنشأها المفضال موسى بن الزيني في عهد الأمير الناصر محمد بن الحنش سنة ٩٠٥هـ، كما تشير النقوش الموجودة فوق مدخلها، أما بناء المئذنة الجديدة، التي تتوافق مع المئذنة القديمة من حيث الفن المعماري، إنما استدعتها الظروف الدينية والاجتماعية الجديدة في المدينة.

وفي عهد حاكم بيروت أحمد باشا الجزار والي عكا، ألحقت بالجامع بعض الزيادات من الجهة الشمالية المؤدية إلى الصحن الخارجي، وبني في الصحن حوض ماء للوضوء، وفوق الحوض قبة، تحتها نقشية كتبت فيها أبيات من الشعر، تشير إلى تاريخ البناء، وعلى العمودين اللذين عند المدخل الغربي للجامع كتابة مملوكية، وفُتحت بعض الأبواب.. باب يطل على سوق العطارين، وباب يطل على سوق الحدادين، و باب يطل على شارع الفشخة.

وأنشأ السلطان عبدالحميد الغازي القفص الحديدي داخل الجامع المنسوب لمقام النبي يحيى- عليه السلام-، كما تم إنشاء المنبر القديم سنة ١٣٠٥هـ.

أما المنبر الرخامي الحالي للجامع فقد بُني على نفقة أحد المحسنين سنة ١٩٥٦م، وقد بني المدخل الرئيسي الحالي للجامع في منتصف القرن الماضي بالجهة الغربية منه على الطراز العربي، وجددت سقوفيته والنقوش الأندلسية فيه، وتم ترميمه ترميمًا عامًا من قِبَل المديرية العامة للأوقاف الإسلامية في بيروت بمساهمة أهل الخير، والمديرية العامة للآثار اللبنانية في الأعوام ١٩٥٢ و١٩٥٤ و١٩٦٠م.

وفي أثناء الحرب الأهلية في بيروت، تعرض الجامع للتخريب، وأصيب بأضرار كبيرة، وتعطلت فيه الصلاة في تلك الأثناء، وبعد أن انتهت الحرب إلى غير رجعة، تم تجديد المسجد وترميمه.

الإضافات والترميمات الأخيرة

مرَّ الجامع العمري بعدَّة مراحل من التعديلات كما سبق- وكان آخرها التعديل والترميم اللذين تما على نفقة المحسنة الكويتية السيدة سعاد حمد الحميضي لذكرى والدها الحاج حمد صالح الحميضي رحمه الله، وتم افتتاح المسجد في سنة ٢٠٠٤م، حيث استُحدث فيه مصلى للنساء، وتم نقل محراب العشرة المبشرين بالجنّة من الحائط الجنوبي (حائط القبلة في مصلى النساء).

وقد أوقِف على المسجد

التعديل والترميم الأخير الذي انتهى عام ٢٠٠٤ تم على نفقة المحسنة الكويتية سعاد حمد الحميضي

العديد من الأوقاف الإسلامية منذ نشأته، ثم ازدادت تباعًا مرورًا بالعهود الأموية، والعباسية، والفاطمية، والزنكية، والأيوبية، والمملوكية، والعثمانية، إلى يومنا هذا.

أسماؤه

تعاقبت على الجامع أسماء اشتهر بها عند الناس في أزمنة مختلفة وهي:

- جامع التوبة، في عهد إنشائه الأول.
- جامع فتوح الإسلام، في العهد المملوكي.
- جامع النبي يحيى- عليه السلام- في العهد العثماني.
- الجامع العمري الكبير، اسمه الآن.

بدأت بواكير الحركة العلمية في بيروت منذ نزل الصحابة والتابعون (المرابطون) فيها، وكانوا يحملون في صدورهم القرآن وعلوم الدين، وعلى الرغم من أن هذه الحركة بدأت متواضعة بسبب ظروف الحرب والهجرة والرباط، فإنها أسهمت كثيرًا في نشر الرواية وعلم الحديث، وكان في مقدمة رواد هذه المدرسة (الرِّباطيَّة):

أبوالدرداء رضي الله عنه (ت: ٣١هـ) قاضي دمشق، وصاحب رسول الله ﷺ، وهو أول من رابط من الصحابة في بيروت، روي أنه لما قَدِمَ سلمان الفارسي رضي الله عنه إلى الشام سأل عن أبي الدرداء، فقالوا: هو مرابط، فقال: أين مرابطكم؟ قالوا: بَيْروت. فتوجَّه قِبَلَه، فقال سلمان- لما وصل إلى بيروت-: يا أهل بيروت، ألا أحدِّثكم حديثًا يُذهب الله به عنكم عَرَضَ الرِّباط؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة كصيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطًا أُجير من فتنة القبر، وجرى له صالح عمله إلى يوم القيامة» (سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي).

- سلمان الفارسي (ت:٣٦هـ) أبوعبدالله الفارسي، سابق الفرس إلى الإسلام، صَحِبَ النبيَّ ﷺ، وخَدَمَهُ وحَدَّثَ عَنْهُ.
- القاسم بن مخيمرة، أبوعروة الهمداني الكوفي (ت: ١٠٠هـ)، قال الأوزاعي: «كان القاسم بن مخيمرة يَقْدم إلينا ها هنا متطوعًا...».
- سعيد بن أبي سعيد البيروتي الساحلي، (ت: ١٢٣هـ).
- حسان بن عطية المحاربي (ت: ١٣٠هـ)، أحد الأئمة الشاميين، ومن شيوخ الإمام الأوزاعي الذي قال فيه: «ما رأيت أحدًا أكثر عملًا في الخير منه»، ووثَّقه الإمام أحمد بن حنبل.
- أبوداود السجستاني، (ت: ٢٧٥هـ)، صاحب السنن، زار بيروت وسمع فيها من عباس بن الوليد سنة ٢٢٧هـ.

وبقيت الحركة العلمية في المسجد على بساطتها غير المنظمة إلى نهاية القرن الأول الهجري، حيث قام الإمام المبجَّل، والمقدام المفضَّل عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد (الأَوْزَاعِيّ ت: ١٥٧هـ) يرحمه الله، بتحويلها إلى مدرسة لها حلقاتها الدراسيَّة المنتظمة، حيث يعتبر أول من أسس حلقة دراسية في مسجد بيروت الجامع، وأخذت المدينة تستقطب المشتغلين بالفقه والحديث والأصول والسير وغيرها، ومن ثم انتشر المذهب الفقهي للإمام الأوزاعي في بلاد الشام قاطبة، قال الحافظ ابن كثير: «وقد بقي أهل دمشق وما حولها من البلاد على مذهبه نحوًا من مائتين وعشرين سنة...».

وأخذت الحركة العلمية على مر العصور تزدهر في بيروت وفي مسجدها الذي صار جامعة لشتى العلوم، وقد وفد إلى المسجد طائفة من كبار العلماء من أهل بيروت وغيرهم، والذين درسوا ودرَّسوا وتخرجوا منه، وأمّوا فيه، ومنهم: الشيخ العلامة محمد بن درويش بن محمد الحوت (ت: ١٢٧٧هـ) صاحب كتاب «أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب»، والسيد الشريف الشيخ محمد بن الشيخ محمد بن الشيخ درويش الحوت البيروتي، الذي درس على والده وغيره من علماء دمشق فأخذ على شيخ مشايخها العلامة الشيخ سليم العطار رحمه الله، وعاد إلى موطنه فتولى التدريس والإمامة في الجامع العمري الكبير إلى أن توفي سنة ١٣٢٨هـ.

ثم الشيخ عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني النابلسي (ت: ١١٤٣هـ)، صاحب كتاب «تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية».

هذا ولا ينحصر في هذا المقام العدد الهائل من العلماء الأجلاء الذين وفدوا ودرسوا وتولوا الإمامة في المسجد منذ إنشائه حتى يومنا هذا، حيث تولى الإمامة في الآونة الأخيرة كوكبة من العلماء الأجلاء، وطلبة العلم النبلاء.

أما الوضع الثقافي للمسجد في أيامنا هذه فلا تزال تزخر بحركة علميَّة نشطة يقودها القائمون على المسجد بكل كفاءة ونشاط وتنظيم، ومن هذه الأنشطة الثقافيَّة: تعليم القرآن الكريم وعلومه، العقيدة الإسلامية وأسسها، الفقه الإسلامي العام، التزكية وتطهير القلوب، بناء الشخصية المسلمة، الدعوة إلى الله تعالى بالطرق والأساليب الحسنة، وغيرها من الأنشطة النافعَة، وقد أسس القائمون عليه موقعًا إلكترونيا على الشبكة العنكبوتية يعتني بالناحية الإعلامية للمسجد.

مكتبة الجامع

في أوائل القرن العشرين كان في الجامع مكتبة عامرة باسم «المكتبة العمرية»، ساهم في إنشائها وجمع كتبها لطلاب العلم أحد أئمة الجامع العلامة الشيخ عبدالرحمن بن محمد درويش الحوت البيروتي، لكنه تم نقل أغلبها مؤخرًا إلى أزهر لبنان.

الجامع العمري الكبير في وسط بيروت، الواقع في بقعة هي القلب من تلك المدينة الجميلة، كان ولا يزال بقدمه وهندسته المعمارية الفريدة جاذبًا للمؤمنين والساعين للهداية، إلى أن صار الجامع من أكثر المساجد حيوية ونشاطًا في الشرق الأوسط.

المصادر

١- سير أعلام النبلاء، للذهبي.
٢- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، للعلامة عبدالرزاق البيطار، تحقيق الحفيد محمد بهجت البيطار.
٣- جواهر ويواقوت في تاريخ بيروت، لداود خليل كنعان.

أسرتي

اسك المجتمع من اسك الأسرة

الأسرة المتماسكة هي الأسرة التي تنأى بنفسها عن كل مواطن الغيبة والنميمة والقيل والقال وكثرة السؤال والخوض في الأعراض وتتبع العورات سواء كان ذلك سرًا أو علانية فكلاهما في السوء سواء.

إن النقد والتناصح أمر في غاية الأهمية بل هو أمر ممدوح ومندوب دعا إليه الإسلام لما فيه من فائدة شرط ألا يكون فيه تجريح أو عيبة أو نميمة فهذه الصفات من علامات الجبن والضعف .. إن علىأفراد الأسرة أن ينأوا بأنفسهم عن مثل هذه العادات الذميمة والعيوب الدنيئة وأن يتحلوا بالنبل والمروءة والصدق والأمانة في القول والفصل مع صون الألسن وتلمس الاعذار للآخرين والدفاع عنهم وحفظ ساحتهم في غيابهم وحضورهم حتى لا ينطبق علينا قول الشاعر:

أنت في معشر إذا ما غبت عنهم
بدلوا كلَّ ما يزينك شينا
وإذا ما رأوك قالوا جميعاً
أنت من أكرم البرايا علينا

عافانا الله جميعًا من هذه العادات السيئة حتى نصل إلى مجتمع سليم آمن متماسك كالبنيان يشد بعضه بعضًا.

المحرر

«هوس التجميل» يقود المجتمعات العربية نحو التبعية!

تحقيق: محمد عبدالعظيم

ملايين الدولارات تنفقها المجتمعات العربية على المساحيق وأدوات الزينة وعلى أبواب عيادات التجميل، في الوقت الذي يتساقط فيه المئات بسبب الجوع وعدم القدرة على شراء الدواء! ترى.. لماذا كل هذا اللهاث المحموم نحو «الموضة» و«البرستيج» الزائف؟ وكيف أصبحت أدوات التجميل من الضرورات التي لا غنى عنها للأسرة العربية؟ وما سر التنافس الشديد بين الرجال والنساء لاقتناء أدوات الزينة ووسائل التجميل؟ وما الآثار النفسية والاجتماعية التي تخلفها عمليات التجميل على أصحابها؟ وهل هناك بدائل طبيعية للتجميل، خاصة بعد سلسلة الانتكاسات التي أصيب بها العلاج الكيماوي؟ وما رأي الأطباء والعشابين في هذه القضية؟ كل هذه التساؤلات وغيرها يجيب عنها هذا التحقيق.. فإلى التفاصيل.

بداية تؤكد إحدى الدراسات التي أجريت أخيرا أن حجم الإنفاق السنوي لنساء العرب على أدوات الزينة و«الماكياج» يصل إلى أكثر من ٣٢ مليار جنيه سنويًا، أكثر من نصفها يهدر في أسواق الخليج، والباقي يتوزع على أسواق الدول العربية- التي يعاني أكثرها الفقر والمجاعات الطاحنة- إلا أن ذلك لم يوقف نزيف الأموال المهدرة على عتبات بيوت التجميل والزينة.

وتقول الدراسة ذاتها إنه بالرغم من أن المجتمع الخليجي تحكمه العادات والتقاليد المحافظة التي تحظر على المرأة الظهور متبرجة بكامل زينتها، فإن ذلك لم يمنع من أن تصبح نساء الخليج أكثر نساء العالم إنفاقًا على مستحضرات التجميل، ولذلك فإن مبيعات أدوات الزينة في هذه الدول تستقطب اهتمامًا واسعًا من الشركات العالمية المنتجة لأدوات «الماكياج»، بل يعتبر أحد أكبر الأسواق في العالم من حيث حجم الإنفاق الذي يقدر بنحو ١,٧ بليون دولار أميركي سنويًا، وتؤكد التقارير أن سوق مستحضرات التجميل والعناية بالجمال في المنطقة حقق زيادة كبيرة تصل إلى ٣٠٠ ٪ خلال الأعوام الثلاثة الماضية، والإشكالية التي تطرح نفسها في هذا السياق تتعلق بجدوى إغداق هذه المليارات على سلع- ليست فقط استفزازية- بل إنها بحسب جميع الدراسات العلمية مدمرة ومشوهة للجمال الطبيعي الذي أبدعه الخالق- سبحانه وتعالى- وإذا علمنا أن معظم الرجال يفضلون الجمال الطبيعي غير المزيّف فستوفر المرأة على نفسها وزوجها إهدار هذه المبالغ الطائلة.

من جهة أخرى كشفت إحصائيات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء بالقاهرة أن ٣٨,٨٪ من دخل الأسرة المصرية يوجه للإنفاق على أدوات الزينة ومستحضرات التجميل، في حين تشير دراسة أجريت حديثًا على عدد من الدول العربية أن كمية ما يتلف من الأصباغ والمساحيق ويوضع في صناديق القمامة كبيرة إلى الحد الذي قد تبلغ نسبته في بعض الحالات ٥٤٪ من حجم القمامة، كما أجريت دراسة ميدانية عن مدى استهلاك أدوات التجميل في مدينة واحدة في إحدى الدول العربية، حيث أثبتت أن «الإسراف» اليومي نحو مليون دولار و«الإسراف» السنوي ٣٦٥ مليون دولار.. نعم، إنها أرقام خيالية ، بل أغرب من الخيال ذاته.

هذا، وتؤكد دراسة صدرت أخيرا أن الصناع والمنتجين من أصحاب شركات الأدوية ومستحضرات التجميل يقبلون على المجالات التي ترتبط بالحيوية والجمال بالذات.. فقد تبين أن الرجال والنساء معًا يهتمون بشراء الأشياء ذات الطابع الشخصي، ومن أبرزها مستحضرات التجميل، ووسائل الاهتمام بالرشاقة وما يضفي الحيوية، وأوضحت الدراسة أن نحو ٩٣٪ من المستهلكين يقبلون على شراء المنتجات الخاصة بالأنظمة الغذائية أو ما يعرف بـ «الريجيم» وتقدر المبالغ التي تدفع مقابل الحصول على هذه المنتجات بنحو مليار ونصف المليار جنيه سنويا!

أمّا سوق مستحضرات التجميل- كما تشير الدراسة- فهو في حالة رواج مطرد، وقد تضاعف الإقبال على هذه المستحضرات أكثر من ثماني مرات ما بين عامي ١٩٧٠و ١٩٨٥.

النموذج الغربي!

د.هشام أباديـر صاحب شركة

٦ مليار دولار ينفقها العرب سنويا على أدوات الزينة ومراكز التجميل!

لمستحضرات التجميل وأدوات الزينة بالقاهرة قال: بالفعل لقد شهدت السنوات الأخيرة إقبالًا واسعًا على أدوات التجميل، ربما بسبب الرواج الإعلامي الذي صاحبها، عن طريق تقديم النموذج الغربي الرشيق، والتمثل بعارضات الأزياء الشهيرات، باعتبارهن مقياسًا للجمال، فازداد اهتمام النساء عندنا بالذات على اقتناء مستحضرات التجميل باختلاف ألوانها وأذواقها وأسعارها وأنواعها.

مستحضرات التجميل تحرق الجلد!

أما د.محمد عبدالمنعم عبدالعال أستاذ ورئيس قسم الأمراض الجلدية بطب الأزهر فقال عن جدوى مستحضرات التجميل وتأثيرها: لابد أن نعلم أن الجلد له وظائف عديدة فهو يحمي كل أعضاء الجسم الداخلية، وينظم درجة حرارة الجسم، ويساعد على تكوين فيتامين «د»، كما أن للجلد وظائف أخرى غاية في الأهمية فهو يعتبر مرآة تنعكس عليها الأحوال النفسية للمريض مثل الفرح والحزن وغيرها.

من هنا يتبين لنا أن جميع الأصباغ ومستحضرات التجميل ضارة لجسم الإنسان، لما تتركه من آثار سلبية على الجلد، أقلها أنها تسد المسام الموجودة على الجلد، وتحرق البشرة بسبب المواد الكيماوية السامة بها، مما يؤدي إلى جفاف الجلد الخارجي للإنسان.

الرشاقة.. والضريبة الباهظة!

من جانبه حذر البروفيسور حسان خليل من أقراص التخسيس التي يقبل عليها الرجال والنساء بشراهة في السنوات الأخيرة، بحثًا عن الرشاقة.. فإنها تصيب بالهستيريا وفقدان الشهية، كما أنها تؤدي في كثير من الأحيان إلى الاكتئاب والوفاة، كما أن من أكثر آثارها السلبية شيوعًا جفاف الفم والنعاس والدوار والتوتر والهلاوس البصرية والوهن، كما أنه ثبت علميا أن تلك الأقراص قد تؤدي إلى الإدمان والخلل بوظائف الدم.

وأضاف: إن أقراص التخسيس كثيرًا ما تأتي بأثر عكسي على أصحابها.. فقد وجد الباحثون أن نسبة ٣٠٪ ممن يتعاطون أقراص التخسيس والنحافة زادت أوزانهم أكثر مما كانوا عليه قبل التعاطي!

وينصح البروفيسور حسان الباحثين عن الرشاقة والجمال بعدم استخدام أقراص التخسيس وما شابه ذلك مما هو متاح في معارض وشركات مستحضرات التجميل والصيدليات لأنها تسبب أمراضًا عدة مثل الضغط العالي والسكر، وبعضها يتلف الخلايا العصبية بالمخ.

مع الباحثين عن الشهرة!

وعن طرائف جراحات التجميل يقول د.خالد عبدالله استشاري جراحة التجميل: أمارس هذه المهنة منذ نحو عشرين عامًا تقريبًا، فكانت حالات جراحة التجميل لا تجري إلا لضحايا الحوادث والحروق، أمّا ما حدث في السنوات الأخيرة على وجه الخصوص، فمعظم المترددين على عيادة التجميل هم من الفنانين والإعلاميين ورجال الأعمال وسيدات المجتمع و«هوانم» الأحياء الراقية- أي من الباحثين عن الرشاقة والشهرة والضجيج الإعلامي- حيث لا تؤثر عليهم التكلفة المادية التي ينفقونها في عمليات شد الوجه والحواجب أو إزالة الدهون أو تغيير لون البشرة وما شابه ذلك.

الموضة وإغراءات التجميل تهددان المجتمع بكوارث اجتماعية واقتصادية ضخمة!

احذروا.. الدعاية الخادعة

وفي لقائنا مع المهندس عمر الدجوي مدير مركز ابن سينا للعلاج بالأعشاب والنباتات الطبية أكد أن القاعدة الذهبية تقول: «الصحة قبل الجمال» وأوضح أن كثيرًا من مواد التجميل والزينة بتفاعلها مع الجلد قد تصيبه بأذى فتظهر متاعب وأضرار وآلام، والمنطق هنا يقتضي الحرص على تلافي كل ذلك باستعمال المواد التي لا تضر، وعدم الإسراف في هذه الناحية المهمة، وأن يكون التجميل والتزيين وفق أصول علمية طبية وصحية لا طبقًا للموضة ولا جريًا وراء دعايات خادعة أو مبالغ فيها.

ويضيف المهندس عمر الدجوي قائلًا: إن كثيرًا من مواد الزينة والتجميل الكيماوية كانت سببًا في انتشار الأمراض الجلدية مثل الاكزيما واكزيما الملامسة على وجه التحديد، وكان من الممكن لهؤلاء السيدات أن يبحثن عن بدائل للمواد الكيماوية عن طريق النباتات الطبية مثل زيت الخروع، وزبدة الكاكاو، وزيت اللوز، وحمض الخليك، وبذور الحلبة.. وكل هذه النباتات والأعشاب الطبية موجودة لدى العطارين والعشابين في بلادنا العربية.

الصعود إلى الأعلى اجتماعيا

وحول أسباب هذه الظاهرة الاجتماعية وانتشارها سألنا د.عزة كريّم- الخبيرة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة حيث أرجعت كثرة تردد النساء والرجال في السنوات الأخيرة في العالم العربي على مراكز التجميل حتى لو كانوا بلا عيوب أو تشوهات إلى الظروف الاقتصادية التي أدت إلى ظهور شريحة جديدة أو مشروع طبقة تحاول أن تفرض نفسها وتثبت وجودها، وقد أصبح الانتقال من طبقة إلى أخرى في نظر كثيرين أمرًا سهلًا بسبب الثراء الفاحش المفاجئ، والمشكلة أن هذه الفئة الجديدة ليست بينها تجانس، وهي واقعة تحت تأثير المال

باعتباره صانع المعجزات بالنسبة لها، وكذلك فهي محكومة بالرغبة في التحديث استنادًا إلى المال، وتضيف د.عزة كريم: إن إصرار نساء الطبقة الجديدة على إجراء بعض جراحات التجميل وهن في غنى عنها يدخل في إطار الحراك الاجتماعي من طبقة إلى أخرى، بالمعنى الثقافي للطبقة، واستخدام صبغات وألوان الشعر والتردد على النوادي والفنادق هو إحدى بوابات العبور للطبقة العليا بالنسبة لهؤلاء، كما أن كثيرين من الشباب يتصورون أن تقليد نجوم السينما والرياضة تأكيد للانتماء الطبقي ووسيلة للشهرة والوصول إلى السلم الاجتماعي الأعلى!

تقاليد مخالفة للشرع!

وحول الرؤية الإسلامية في هذا الصدد، حذر فضيلة د.نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية الأسبق من خطورة هذه التقاليد والبدع الاجتماعية المنكرة التي تمثل خروجًا صارخًا على تقاليد المجتمع العربي والإسلامي.

ودعا فضيلته إلى ضرورة تجنب التقليد المخالف للشرع الحنيف، فقال: إذا نظرنا إلى سلوكيات المستهلكين في هذه الأيام، فسنجد كثيرًا منهم ينفقون كثيرا من الأموال في تقليد الغرب والشرق في سائر عاداتهم وتقاليدهم وبدعهم التي لا يقرها الإسلام من قريب أو من بعيد، بل ينهى عنها، ومن أمثلة ذلك نفقات أعياد الميلاد والسهرات والحفلات التي يقيمها الناس اتباعا للموضة و«البرستيج»! مما يضع الأمة كلها تحت وطأة الديون والأزمات الاقتصادية التي تجرها نحو كارثة الاستدانة والتبعية للآخر.

إلى من بدأت طريق الالتزام

فجر الكوس

كانت فتاة متبرجة عاصية مذنبة.. تعيش حياة التجرد من الدين.. كانت تظن انها تعيش من أجل أن تستمتع وتفرح، لا من أجل طاعة الله عز وجل!! ثم شعرت بحرارة الذنوب وتفاهة حياتها فأيقنت أنه وجب عليها أن تسلك طريق الالتزام فهو ضالتها، وإني لأهنئ هذه الأخت وأهديها هذه الوصايا لعلها تكون زادًا في طريقها.

١- وجب عليك تنقية قلبك من كل ما يضعفه ويشوبه، فكما قال أبوهريرة «القلب ملك والأعضاء جنود فإن طاب الملك طابت جنوده وإن خبث الملك خبثت جنوده» فإن كان القلب قويًا بالالتزام ونظيفًا من دناسة الذنوب والمعاصي، سرى ذلك الحال إلى جميع الأعضاء، ولا شيء يقوي القلب ويغرس الإيمان فيه مثل قراءة القرآن والمداومة على الأذكار وكثرة الاستغفار.

٢- إن الصحبة الصالحة لها أثر كبير في مستوى التزامك، فإن لم تجديها فابحثي عنها وإن رزقت بها فالزميها، فهي زادك ومعيتك في الدنيا والآخرة، وكما قال الشاعر:

أنت في الناس تقاس
بالذي اخترت خليلا
فاصحب الأخيار تعل
وتنل ذكرًا جميلا

٣- انزعي من حياتك الحالية جميع آثار حياتك السابقة، فعلى سبيل المثال، إن كانت غرفتك مليئة بالصور فانزعيها، وإن كانت لديك صحبة فاسدة فابعدي عنها، وإن كانت لديك أشرطة غناء فأتلفيها وإن كانت لك عادات لا تليق بك كملتزمة فأقلعي عنها، ولا تجعلي دخان ماضيك يفسد حاضرك.

٤- عليك بالعلم الشرعي النافع الذي ستجدينه في المجالس الإيمانية والمحاضرات الدينية وعبر الأشرطة والكتب، واحرصي أشد الحرص على مجالس العلم، ففيها تحفك الملائكة ويذكرك الله عز وجل، وهي ابتعاد عن مجالس اللغو وحفظ للوقت بما ينفعك.

٥- الخلوة مع النفس لمحاسبتها على ما مضى وللتخطيط فيما سيأتي، فأنت الآن بحاجة إلى الجلوس مع نفسك لكي تحددي سياستك الحالية، والخلوة هي وقود الصالحين، وكما قال ابن القيم: «غرس الخلوة يثمر الأنس».

٦- إن همتك العالية واندفاعك إلى الالتزام لا يعنيان استحقارك للآخرين أو التقليل من شأنهم، لاسيما عوام الناس، فبذلك التصرف تكونين قد ارتكبت ٣ مخالفات هي:

١- العجب بالنفس، فأنت تظنين أنك أكثر الناس التزامًا.

٢- احتقار الآخرين، وهذا ليس من شيم المؤمنين.

٣- تنفير الآخرين من الدين بدلًا من دعوتهم.

٧- في طريقك هذا قد تصادفين من يحاول مضايقتك وصدك عن طاعة الله، وقد يكون أقرب الناس إليك هم من يعادونك فاصبري واثبتي وعامليهم بالتي هي أحسن ولا تدخلي في مشادات معهم بل أحسني صحبتهم.

٨- يجب عليك أن تلتزمي بالحجاب الشرعي الكامل فسمتك ولباسك الآن أصبح مختلفًا تمامًا عن سمتك السابق، فإن كنت ملتزمة حق الالتزام فشكلك الخارجي سيدل على ذلك.

أسأل الله العظم أن يعينك في دنياك ويسهل خطاك إلى جنته، ووصيتي لك بالثبات على هذا الطريق لأنك حتما ستجدين السعادة المنشودة، فاتقي الله وسيري في طريقك وابتعدي عن كل ما يصرفك عنه.

عضو اللجنة الصحافية النسائية

دور القدوة في تربية النشء

التربية الإسلامية منظومة شاملة متكاملة، لأنها تربية ربانية، وما من شك في أن اتساع مفهوم التربية وشمولها يقتضي أن تتعدد أساليبها وتتنوع وسائلها لبلوغ أهدافها السامية ومقاصدها النبيلة.

ومن هنا ندرك أن التربية بالقدوة عملية شاملة، فهي تشمل الاقتداء بالأبوين، وبالأخ الأكبر في الأسرة، وبالمعلم في المدرسة، وبرفاق الدرب، وبالمجتمع بجميع افراده ومؤسساته.

الاقتداء بالوالدين والإخوة

يحتاج الناشئ إلى القدوة الحسنة في اسرته كي يتشرب المبادئ الإسلامية منذ نعومة اظفاره، ولذا ينبغي أن تكون الأسرة المسلمة مقيمة للشعائر الإسلامية، بعيدة عن كل ما هو دخيل على ديننا، لتصون فطرة أبنائها التي فطرهم الله عليها، ذلك أن الابن مهما كان استعداده للخير عظيما، ومهما كانت فطرته نقية سليمة، فإنه لا يستجيب لمبادئ الخير وأصول التربية الحسنة إلا إذا وجد القدوة الطيبة في والديه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» ثم قرأ أبوهريرة رضي الله عنه قوله تعالى ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (صحيح البخاري، الجزء الثاني، ص ٩٧).

فهذا الحديث يبين مدى تأثير الآباء على أبنائهم إذ إنهم يقتدون بهم في سلوكهم سواء أكان حسنا أو قبيحا، فإذا عوّد الوالدان أبناءهم منذ حداثة سنهم على الأخلاق الحسنة والأفعال الحميدة شب هؤلاء الأبناء ونشأوا عليها، أما إذا أهملا تربيتهم أو عوداهم على المسلك السيئ حتى سار جزءا من حياتهم فإنه يصعب حينئذ تعديل سلوكهم أو تغييره.

ولكي ينشأ الفتى نشأة صالحة ويكتسب أنماطا سلوكية حسنة، يجب أن يكون الأبوان حريصين على ممارسة شعائر الإسلام وقيمه ومبادئه، إذ لابد أن يكونا قدوة حسنة لأبنائهما في الفترة التي ينحصر عالم الابن فيهما.

القدوة في المدرسة

المدرسة هي المؤسسة التربوية التي يقع على عاتقها مسؤولية تربية النشء أكثر من أي جهة أخرى في المجتمع بحكم أنها المتخصصة في هذا الأمر والمؤهلة له، لذا يجب أن تتكامل في هذه المؤسسة الصورة الحقيقية للتربية، فإلى جانب وظيفتها الأساسية وهي تعليم الأبناء يجب على المدرسة أن تقوّم النفوس وتهذب السلوك وتصنع الفرد المَسلم؛ ليكون فردا صالحا ينفع أمته ودينه.

والمعلم في المدرسة هو المثل الأعلى والقدوة الحسنة في نظر الناشئ يحاكي سلوكه ويقتدي به خلقيا من حيث يشعر أو لا يشعر، بل وتنطبع في نفس الناشئ واحساسه صورة المعلم القولية والفعلية، ومن السهل على المعلم أن يلقن المتعلمين مقررا دراسيا، ولكن من الصعب أن يستجيب هؤلاء المتعلمون لما يتضمن هذا المقرر من مبادئ وقيم حين يرون أن من يشرف على تربيتهم ويقوم على توجيههم غير ملتزم بها.

سليمان الرومي

الاقتداء بالأصدقاء

يخرج الناشئ أو المراهق إلى الشارع ليلعب مع اقرانه، وهذا واقع لا يمكن تجاهله، فمن تمام اكتمال شخصية الطفل أن يعيش سنه ويلعب مع من في مثل عمره، ولا يتحقق ذلك إلا إذا خرج من البيت واحتك بأترابه، وروح عن نفسه باللعب وما إلى ذلك، وهنا يترك هؤلاء الرفاق أثرا واضحا في نفس الطفل ويؤثر على سلوكه.

وقد بين الرسول الكريم نتائج الصداقة والمخالطة في صورة حية ملموسة، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ حيث قال «مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة» (صحيح البخاري، الجزء السادس، ص ٢٣١).

القدوة في المجتمع

إذا عرف الجميع أن التربية بالقدوة الصالحة هي العماد في تقويم سلوك الناشئين، وهي الأساس في غرس الآداب الإسلامية الحميدة والفضائل الاجتماعية النبيلة، فيجب على المجتمع بما يشمله من أفراد ومؤسسات، أن يعطي الصورة الحسنة، التي تطبع الناشئين بطابع الإسلام وتحميهم من الفتنة وتقيهم سبل الضلال والغواية، فبغير القدوة لا ينفع في النشء تأديب ولا تؤثر فيهم موعظة.

سكرتير التحرير

كيف نحمي أطفالنا من الحوادث؟

أ.د. ناصر أحمد سنة

في عصر أحد الأيام القريبة، إذ بجلبة وضوضاء وصرخات مدوية وهرولة نحو الشارع.. نهضت مسرعًا على إثر ذلك، ونظرت من شرفتي بالطابق الثالث، فإذ بطفل لأقربائي وجيراني، عمره عامان، قد سقط من الطابق الثاني فوق سيارتي، لكن من فضل الله تعالى أن هذا الطفل لم يصب بأذى، فلم يسقط فوق الزجاج الخلفي للسيارة بل فوق سقفها الذي انبعج كثيرا بسبب هذا السقوط المروع.

إن ما حدث لـ «سيف» قد يحدث لأطفال كثيرين غيره، فما الأسباب التي تقف خلف الحوادث والمخاطر التي يتعرض لها أطفالنا؟ وكيف نحميهم منها؟

لقد آلمنا ما حدث لـ «سيف» كما يؤلمنا أيضا المشاهد المتكررة لآباء وأمهات، فزعين مُهرولين، حاملين أحد أطفالهم وقد عبث بخزينة الدواء فابتلع عقارا ضارًا، فراح يتقيأ وهو في حالة تسمم حرجة، أو طفلا في حالة أشد حرجًا جراء انسداد حلقه أو أنفه أو أمعائه بقطعة طعام كبيرة أو بجسم غريب كان يلهو به، أو طفلا تنزف يده إثر لعبه بسكين حادة فأحدث جرحا قطعيا يحتاج لرتق، أو وقع فوقه إبريق الشاي المغلي وهو يلهو في المطبخ، أو آخر قد أعادوه من المدرسة بكسر في أسنانه أو شج في رأسه، أو بجرح خطير في قرنية عينيه، فكيف يمكن حمايَة أطفالنا من مثل هذه المخاطر اليومية ووقايتهم منها؟

رعايتنا وعنايتنا لأطفالنا، خصوصا في مرحلة المهد، وطفل ما قبل المدرسة، وصولا لطفل المدرسة، تعتمد بالأساس على وسائل الوقاية، فالوقاية خير من العلاج، بل درهم وقاية خير من قنطار علاج، والأخذ بجوانب الحذر والحيطة، لكن دون إفراط أو مغالاة يجعلها قيدًا أو سجنًا على حرية ونمو أطفالنا الحركي والمعرفي والسلوكي، أو تفريط أو تقصير يجعل تكرار مثل هذه الحوادث وغيرها أمرا شائعًا يوميًا.. لكن له كُلفته الكبيرة والخطيرة من صحة ومستقبل أبنائنا، كذلك كلفة التلاوم والتصدع الأسري والاجتماعي جراء كيل الاتهامات بالإهمال وعدم الرعاية الكافية سواء في المنزل أو في المدرسة، فمن الأمور الوقائية التي ينبغي مراعاتها في هذا الشأن:

- عدم إرضاع أو إطعام الأم طفلها الصغير، وهي نائمة تماما، خوفا من أن يختنق، كونه في وضع غير مناسب لعملية الإرضاع، أو قد تسببً له ضررا بتقلبها في المضجع إلى جواره، لذا يفضل وضعه في سرير منفصل وإرضاعه هناك، ومراعاة حمله والتنقل به بالطرق الصحية السليمة الآمنة، وإذا ما بدأ بتناول وجبات غذائية إضافية، خاصة مهروس البطاطس والجزر... الخ، فيراعى أن تكون في حجم يناسب قدرته على البلع، وجيدة الطهي، ويتناولها في وضع صحي سليم.

- طفلك عندما يبدأ بالحبو ثم المشي واللعب هو معرض أكثر من أي وقت للحوادث المنزلية، فيجب أن نرفع جميع الأشياء الخطرة والضارة، أو المعرضة للكسر، والتي تهدد سلامته، بعيدا عن متناوله، ونضع ما لا يضره كلعبه المناسبة لعمره، وبعض المجلات والقصص والقديمة، ولا نتركه يلهو ويلعب في الشرفات دون رقابة جادة.

- أطفالنا من الثانية فما فوقها قد يخرجون إلى الشارع عبر باب المنزل المفتوح، إن لم يكن هناك فناء أو حديقة للدار، مما يعرضهم للأخطار والحوادث، فينبغي غلق الباب الخارجي عند عدم استعماله، مع تصميم جيد للأبواب الداخلية في غرف المنزل خشية أن تقفل على أيدي الأطفال، أو تغلق دونهم فيحبسون داخلها، وعدم الإكثار من الأثاث المنزلي المعوق لحركة ولعب الأطفال، كذلك تغطية الأرضيات الملساء الصلدة منعا من الانزلاق عليها إثر الجري واللعب مما يسبب كدمات، مع سلامة أسطح المنازل ونوافذها كي يمكن السماح للطفل بالمشاهدة دون خوفٍ من سقوطه.

- لدى صغارنا رغبة كبيرة في التقليد والمحاكاة للتعرف والاستطلاع والاستكشاف، وهذا أمر مهم ومفيد جدا لنموهم المعرفي والحركي والسلوكي، لكن شريطة مراقبتهم كي لا يؤذوا أنفسهم أو يؤذوا غيرهم بفضولهم، فالطفلة الصغيرة التي تقلد أمها في إرضاع أخيها الوليد أو تغيير ملابسه قد تتسبب في إلحاق الضرر به، فيختنق، لذا يمكن محاكاة الأطفال لأنشطة الأم المنزلية من إعداد الطعام وحياكة وكي الملابس ورعاية الوليد وغيرها من الأنشطة عبر ألعاب ودمى مخصصة مُعدة لذلك أو تصنيعها منزليًا لتدربهم على ذلك في سلامة وأمان، ثم إشراكهم كأعضاء نافعين بالمنزل، فطفل السنتين بمقدوره المساعدة في جمع لعبه بعد فراغه منها ووضعها في مكانها السليم، وطفل الثلاث سنوات يمكنه الاشتراك في تحضير المائدة.

- كذلك تقليد الأبناء الصغار لأبيهم واستعمالهم غير السليم للأدوات التي يستخدمها في بعض الأنشطة المنزلية من نجارة وحدادة وفلاحة وصيانة السيارة... الخ، فينبغي مراعاة تدريبهم على ما يناسبهم ويستطيعون القيام به، فطفل

السبع سنوات يمكن أن يُسند إليه بعض الأعمال الكبيرة النافعة، وإبعادهم عما يعجزون عنه لصغر سنهم، دون إبعادهم كليا عن تلك الأنشطة اللازمة لنموهم.

- من المفضل عمل باب سهل الاستخدام للمطبخ، لا يمنع من تواصل الأم من أطفالها الصغار، ويحول دون دخولهم إليها، وينبغي إبعاد أباريق الشاي وأواني الطهي والقلي المعدة للاستخدام عن متناولهم، والحذر من عبثهم بآلات القطع الحادة كالمقصات والسكاكين والشفرات ومفارم اللحوم... الخ، وحفظها بعيدا عنهم، كي لا تحدث الجروح بأنواعها (المغلقة والمفتوحة ومنها على وجه الخصوص الجروح القطعية التي تُحدث نزيفا شديدا)، كما يفضل التأكد من غلق صنبور الغاز كي لا يعبث الأطفال بمفاتيح الموقد فيتسرب الغاز.

- الحرص أثناء تواجد الصغار في الحمام، ومتابعتهم حتى ينتهوا من اغتسالهم بسلام، مع تغطية أرضيته وقاع حوض الاستحمام بأغطية خاصة خشنة، مما يمنع انزلاقهم وحدوث رضوض وكسور.

- وضع حواجز واقية للمدافئ والمراوح والأفران والغسالات وغيرها، والتأكد الدوري من الوصلات والأسلاك الكهربائية (معزولة ومغطاة)، وتدريب الأطفال- في جد وحزم- على عدم لمس المدفأة أو الموقد، أو اللعب بالكبريت.

- وضع السموم المنزلية والعقاقير الدوائية بعيدا عن متناول الأطفال في خزانة مرتفعة ومحكمة الغلق، ومفتاحها في موضع معروف وأمين، ويفضل التخلص الدوري من العقاقير المنتهية الصلاحية، وحسن التصرف في الأدوية الصالحة والفائضة عن الحاجة بالتبرع بها، كذلك حفظ المواد الكيميائية والمنظفات الصناعية بعيدا عن الأغذية ومخزن الطعام.

- في الأعياد والمناسبات ينبغي متابعة

على الآباء التدرب والدراية بأسس الإسعافات الأولية وتوفير خزانة بها ما يلزم من مواد طبية منزلية

الأطفال ورعايتهم، وتحذيرهم من الألعاب النارية، واللعب التي تستخدم مواد تضر بهم كطلقات المسدسات الصلبة، والأجسام الحادة المدببة كالسهام والإبر والمسامير وشظايا الخشب والأشواك وغيرها، كذلك الحذر من فضول الأطفال بإدخال رؤوسهم في أكياس بلاستيكية، أو شد حبال حول أجسامهم، أو دخول أجسام غريبة في الفم أو في الأنف فيختنقون.

- متابعة الأطفال، وعدم الاعتماد الكامل على المربيات، وخاصة عند اجتماع العديد منهم في منزل العائلة الكبيرة في الزيارات والمناسبات المتعددة كي لا يصيب أحدهم الآخر أثناء لهوهم ولعبهم.

- ويبقى على الآباء التدرب والدراية بأسس الإسعافات الأولية، وتوفير خزانة بها ما يلزم من مواد طبية منزلية، وكيفية التعامل السليم مع مختلف الحوادث، خاصة الكسور والحروق والجروح ومشاكل الجهاز الهضمي، ثم تعليم صغارهم المبادئ الأساسية للوقاية والحذر لتوقي الحوادث والإصابات.

الوقاية من الحوادث في المدرسة

- توفير وحسن اختيار البيئة المدرسية التي لا تعيق نشاطات الأولاد اليومية، ولكن في ظروف وقائية تقلل للحد الأدنى من الحوادث المدرسية.

- من الأفضل مرافقة الطفل في أولى مرات ذهابه لرياض الأطفال أو المدرسة للتأكد من معرفته للطريق الأكثر سلامة وموضعه في الصف وكيفية الوصول إليه، كما عليه أن يحمل بطاقة تعريف باسمه وعنوانه ورقم تليفون بيته أو ذويه لاستعمالها عند الضرورة.

- حض التلاميذ وإلزامهم بسلوكات وممارسات تحميهم خلال ذهابهم ومكوثهم وعودتهم من مدارسهم أو من رحلاتهم المدرسية إلى منازلهم سالمين آمنين.

- تدريب وتعويد التلاميذ على عبور الشارع من الموضع المخصص للعبور، وانتظار السيارة قبل وصولها بوقت كاف بلا هرولة أو جري للحاق بها منعا للحوادث.

- سلامة وصيانة سيارات المدرسة التي تقلهم وحسن اختيار السائقين الأكفاء المؤهلين واتباعهم قواعد السير والمرور والسلامة عند توقفهم المتكرر، وعدم انشغالهم بشيء غير متابعة صعود وهبوط الصغار واتخاذهم مقاعدهم.

- إشراف المعلمات على السيارة التي تقلهم إلى المدرسة بتنظيم صعودهم- فرادى- وهبوطهم دون تزاحم أو تكدس داخل السيارة، وعدم إخراج رؤوسهم أو أيديهم من النوافذ، وتهوية السيارة جيدا، كي لا يحدث إنهاك حراري لأي من الأطفال.

- الحقائب المدرسية الضخمة والمُرهقة لظهور أبنائنا يجب العناية بها وصفها وتكديسها، خلال الصعود والمكوث بالسيارة أو خلال استعمالها في المدرسة، بما لا يسبب أضرارا من ثقلها أو من أطرافها الصلبة البارزة.

- ينبغي الإشراف على عدم تدافع الأطفال وجعلهم في صفوف متراصة عند

صعود الدرج (السلالم) أو دخول الفصل، أو على صنابير المياه، كذلك إشراف المعلمين والمعلمات على الأطفال والتجول بينهم أثناء راحتهم في فناء المدرسة.

- تدريب الأطفال على حسن استعمال أدواتهم المدرسية كالمقص والفرجار والشفرات والأقلام الرصاص وعدم اللعب بها أو التلويح بها ضد زملائهم في الصف، كي لا تتأذى وجوههم أو أعينهم.

- الوقاية والعناية واستخدام وسائل الحماية والسلامة الذاتية للمعلمين والتلاميذ عند إجراء التجارب المعملية في المختبر أو في الصف، والحرص عند استعمال الأحماض والكيماويات وغيرها.

- وعدم استخدام الأدوات الكهربائية العامة بالمدرسة إلا تحت إشراف المعلمين والمختصين، تزويد المدارس بأجهزة إطفاء للحرائق وتدريبهم على طرق الوقاية منها وكيفية التعامل معها، إن حدثت لا قدر الله تعالى، والتنبيه على عدم جلب علب الكبريت معهم، واللعب بها في المدرسة.

- وإذا كانت المدارس لديها ملاعب وتنفذ برامج ومسابقات تربية رياضية- وذلك أمر جوهري ومهم- أو تقوم برحلات لنوادٍ رياضية، فينبغي اختيار الرياضات المناسبة لعمر ورغبات الأطفال، ومراقبة المشرفين الرياضيين عليهم أثناء ممارستها (كرة قدم، سلة، طائرة، تنس طاولة، لياقة بدنية، سباحة... الخ)، منعا للتنافس غير المحمود، أو العدواني أو الضرر الذي قد يلحق بهم، خاصة عند ممارسة السباحة.

- إحاطة الأماكن المرتفعة بالمدرسة بحواجز مانعة، ووضع حواجز التفافية تمنع خروج الأطفال مباشرة إلى نهر الشارع عند الانصراف من المدرسة.

- صقل مهارات المعلمين والمعلمات من خلال دورات تدريبية منتظمة على أسس الإسعافات الأولية، وحسن التصرف الواعي عند حدوث مشكلة أو حادث ما للأطفال. وقى الله أطفالنا من كل سوء.

تفقهي

سناء الحربي

طهارة العطور

ما حكم استعمال العطور التي تحتوي على مادة الكحول المسكرة؟

وهل تجوز الصلاة وهذه المادة على أجسامنا وملابسنا علمًا بأن كل مسكر نجس؟

■ **أجابت اللجنة**

إن العطور المختلطة بالكحول ليست نجسة، وتصح الصلاة معها.

صلاة الجنازة للنساء

هل يجوز للمرأة أن تصلي خلف الجنازة في المقبرة أو في المسجد؟

■ **أجابت اللجنة**

الأصل في ذلك الجواز ما لم يترتب على ذلك مفسدة. والله أعلم.

من حاضت أو طهرت في وقت الصلاة

ما الحكم الشرعي في امرأة أخرت صلاة الظهر لعذر شرعي كالسفر مثلًا ثم حاضت في وقت العصر، وأخرى طهرت في وقت العصر، والمهم في المسألتين

الأولى: هل تقضي صلاة الظهر أم تسقط عنها مع ذكر السبب؟

الثانية: هل تصلي الظهر أم لا مع ذكر السبب؟

■ **أجابت اللجنة بما يلي**

إن التي أخرت الظهر وجاءها الحيض وقت العصر عليها أن تقضي صلاة الظهر التي فاتتها بعد أن تطهر من الحيض، لأنها تركت صلاة الظهر بعد أن وجبت عليها، وأما التي انقطع حيضها في وقت العصر وقد بقي وقت يتسع للغسل والتحريمة (تكبيرة الشروع في الصلاة) فعليها أن تصلي صلاة العصر، وان فاتتها فعليها أن تقضيها، وأما ان لم يتسع الوقت للغسل والتحريمة فإنها تسقط عنها صلاة العصر. والله أعلم.

إنفاق المرأة على والديها

هل تكلف البنت شرعًا بإعالة والدتها الأرملة او المطلقة اذا كانت والدتها لا تستطيع الكسب؟ ومن هو العائل الشرعي للوالدين وكيف يتحقق؟

■ **اجابت اللجنة بما يلي**

إن البنت تكلف شرعًا بإعالة والدتها الأرملة أو المطلقة اذا كانت والدتها ليست ذات مال ولا تستطيع الكسب، وذلك اذا كانت البنت ذات مال او تستطيع التكسب بغير مانع شرعي.

أما العائل الشرعي للوالدين فهو الولد ذكراً كان أو انثى اذا كان الوالدان عاجزين عن التكسب، وكان الولد غنيًا ذا مال أو قادرًا على التكسب، فإن عجز انتقل واجب الإنفاق إلى أقرب وارث للوالدين، على ان يراعى عند تقدير النفقة حال اليسار بالنسبة لمن تجب عليهم النفقة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثقب الأنف للزينة

هل يجوز ثقب الأنف للزينة؟

■ **أجابت اللجنة**

يجوز ثقب الأنف للزينة قياسًا على ثقب الأذن. والله أعلم.

المصدر: مجموعة الفتاوى الشرعية الصادرة عن قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية

المرأة والشباب في مؤتمر التنمية العربية التاسع

مي محمود

أجمع خبراء عرب خلال مشاركتهم في فعاليات المؤتمر الدولي التاسع للمعهد العربي للتخطيط حول المرأة والشباب في التنمية العربية، على أهمية بحث سبل تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والقانونية للمرأة، وكذلك بحث اتجاهات ظاهرة البطالة بصفة خاصة.

وأنهى أكثر من ٢٠٠ مسؤول وخبير عربي ودولي جلسات المؤتمر الذي استمر ثلاثة أيام بالقاهرة في الفترة من ٢٢ إلى ٢٤ مارس ٢٠١٠، موصين بجملة نقاط تنتظر التفعيل من جانب الهيئات التنفيذية.

ومن أبرز التوصيات دعوة الدول العربية إلى تنفيذ ثورة ثقافية تعيد الاعتبار للمرأة كإنسان له الحقوق كاملة وعليه الواجبات كافة كالرجال سواء بسواء في كل ما يتعلق بالحياة من ممارسات سياسية واقتصادية وعلاقات اجتماعية.

وكذلك وضع خطط وطنية للحيلولة دون إخضاع المرأة العربية الحرة إلى مقاييس النموذج الغربي واقتدائها بنسائه، والقفز فوق القيم والأخلاق، فلا ينبغي النظر إلى المرأة كمخلوق دوني، فتحرم من حقها في المعرفة والعمل والمساهمة في بناء المجتمع، بالقدر نفسه الذي لا ينبغي فيه استخدام حرية المرأة مدخلا للانحلال الأخلاقي والقيمي والاجتماعي.

وطالبت التوصيات بوضع آليات تسهل الانتقال بين المسارات، والتوجيه والإرشاد لمساعدة الشباب على اختيار المسار المناسب لقدراتهم وميولهم، وتطوير مسار التعليم الفني والمهني في الوطن العربي وتعزيزه، وتوسيع آفاق التعليم العالي له، والتوظيف الفعال لتقنية المعلومات والاتصال في تطوير منظومة التعليم والعمل على إرساء صناعة عربية لتقنيات التعليم في خدمة الدول العربية.

كذلك جاء في التوصيات ضرورة إيجاد تعاون عربي فعال يستهدف تحسين الأداء الاقتصادي والمناخ الاستثماري، والتركيز على تطوير منظومة تنمية الموارد البشرية، وعلى نوعية القوى العاملة، وإطلاق الطاقات الابتكارية والإنتاجية الكامنة لدى المرأة والشباب، وذلك من أجل تجميع رأس المال البشري وتحويله من عبء ضاغط ومستنزف للموارد إلى طاقة وميزة تنافسية عالية تجعل الاقتصادات تحقق معدلات نمو تحاكي البلدان الأكثر تقدما، حيث إن القوى البشرية هي الثروة الحقيقية التي يتمتع بها الوطن العربي في حالة تزويدها بالمعرفة والمهارات المرنة التي من شأنها أن تدعم عمليات توطين الوظائف في العديد من البلدان العربية.

مستقبل المرأة والشباب يقلق خبراء التخطيط والتنمية العرب

وطالب خبراء التخطيط والتنمية العرب القوى الفاعلة في العالم بالمعاونة الحقيقية لوضع حد لمأساة المرأة والشباب الفلسطيني وإيجاد تسوية عادلة للصراع العربي الإسرائيلي الذي يؤثر في استقرار المنطقة وتحقيق النمو الاقتصادي والاجتماعي وتحقيق التقدم.

فالقضاء على الفقر لن يتحقق بغير التنمية الشاملة، والتنمية الشاملة لن تتحقق بغير توفير الأمن، والأمن لن يتحقق بغير القضاء على الممارسات العنصرية الإسرائيلية وإنهاء الاحتلال، والقضاء على هذه الآفات الخطيرة لن يتحقق بغير إعمال سيادة القانون، وهذا لن يتحقق بغير تنظيم دولي عادل.

ولم تغفل التوصيات خريجي الجامعات والاهتمام بهم بوصفهم يشكلون طاقة بشرية هائلة قلما يتمكنون من إشباع حاجاتهم الأساسية وغالبا ما يتعرضون إلى الصد والإحباط، وصعوبات جمة في تخطي بعض العراقيل المادية وبعض الحواجز المهنية أثناء سعيهم لتحقيق ذواتهم، مما ينشأ عنه العديد من المشكلات التي تؤدي بهم إلى نوع من عدم التوافق المجتمعي، وبالتالي إعاقة تقدمهم وضعف قدرتهم على العطاء.

ومن توصيات خبراء التنمية والتخطيط العرب الموجهة إلى الهيئات التنفيذية العربية حل مشكلات الشباب التي تجعلهم في حيرة من أمرهم، والتي تؤدي إلى المزيد من مشاعر القلق العام والإحباط والتوتر وعدم الاستقرار والخوف من المجهول.

■ من فعاليات المؤتمر

دعوا المراهق يفكر!

د.فيصل سلمان حسن

تجمع الدراسات النفسية والاجتماعية المعاصرة على أن المراهقة (Adolescence) تعد أخطر مرحلة عمرية تواجه الإنسان خلال ارتقائه السلم الحياتي كله، ذلك أنها الأكثر حساسية وتأثيرًا في الشخصية الإنسانية من حيث توجهها ووظيفتها والدور الاجتماعي المنتظر منها، إذ تشهد مجموعة من التغيرات البيولوجية والفسيولوجية التي تحدد اتجاهات السلوك المستقبلي للشخصية الإنسانية، وتنقلها من إطار بساطة حياة الطفولة وعشوائيتها، إلى تعقيد الحياة الناضجة البالغة وتنظيمها على نمط سلوكي محدد، وهذا معناه أن التغيرات الجوهرية تكسب المراهق مجموعة كبرى من الصفات الجديدة التي تمكن المراهق من تشكيل إدراكه الموضوعي لذاته الاجتماعية وإحساسه أن له طابعًا خاصًا يحدد قيمته وتميزه عن غيره من بني جنسه.

ولعل أهم هذه التغيرات وأخطرها في حياة المراهق التغيرات العقلية والفكرية، ومستواها الخاص المحدد للإطار الذاتي العقلي والفكري المميز الذي يحكم شخصية المراهق ويطبعها بطابعه الذاتي، ويميزه بالتالي عن غيره عبر مسيرته الحياتية كلها، لذلك يرى أغلب علماء النفس أن الفرد يمر في مرحلة المراهقة بأخصب مراحل النمو العقلي وتزايد الذكاء الذي يصل إلى ذروته، حيث إن جميع القوى المرتبطة بالنضوج العقلي (Maturity) تأخذ بالاتساع كالذاكرة والمخيلة والقدرة على التساؤل والوعي والإدراك، والقدرة على الإبداع والابتكار، وهذا ما يجعل المراهق في هذه المرحلة يتسم بفكر متجدد يتطرق فيه إلى مختلف المواضيع، بطريقة البحث والتقصي والاستكشاف والتيسير، وهنا لابد من أن ندع المراهق يفكر بتأمل وعمق.. لذلك دعوا المراهق يفكر!

أكاديمي سوري

إن المراهق في هذه المرحلة يكون أحوج شيء إلى المساعدة في تشكيل هويته العقلية والفكرية الخاصة حيال الذات والعالم والأشياء، ولا تجدي المساعدة هنا بالتلقين (Dictation) وتقديم الإجابات الجاهزة عن استفساراته القلقة تجاه الظواهر والأشياء، لأن القوى العقلية والفكرية تسعى للنضوج الآمن والتحقق المستقر في ذات المراهق القلقة المتوترة المتسائلة، وهذا لا يكون عبر الأساليب التقليدية التي يمثلها التلقين، إنما يكون بتوفير الأجواء الآمنة والمستقرة لنشوء تفكير موضوعي عقلي مجرد لدى المراهق، قوامه تقديم الأسئلة بصورة منطقية والبحث الحثيث عن الأجوبة باستخدام المقولات والأساليب العقلية للوصول إلى تشكيل الرأي الخاص والموقف الذاتي حيال القضايا والأشياء لاكتساب الخبرات والتجارب ببعديها العلمي والواقعي، ولابد هنا من تقبل أسئلة المراهق وقضاياه المطروحة للبحث مهما بلغت درجة غرابتها، لأن من شأن

ذلك كله أن يسهم في تكوين هويته العقلية والفكرية النامية الآمنة والمستقرة مستقبلًا، فما يميز النمو العقلي والفكري في مرحلة المراهقة هو نمو القدرات والمواهب جنبًا إلى جنب نمو الانفعالات، حتى يصل المراهق إلى مرحلة الرشد الحقيقي التي تتوضح فيها المواقف والآراء، وتتزن الميول، وتتضبط الانفعالات فإذا ما جاء المراهق يومًا يطرح أسئلة غريبة بشكل قلق حيال قضايا تعتبر من المسلم بها في اعتقادنا وجب علينا أن نتقبل بصدر رحب هذا النمط من الأسئلة مبتعدين تمامًا عن التوتر والقلق والميل إلى التلقين في تقديم الإجابة، علينا أن نبادر الى القول: معك حق فيما تسأل، وسؤالك ينم عن شخصية معتبرة، ولكن عليك أن تفكر بنفسك، وتبحث بنشاط لتجد الإجابة الشافية، وهذه مجموعة من الوسائل والمراجع المساعدة التي يمكن أن تنفعك.. هيا اذهب وفكر وابحث بنفسك، وإذا ما اعترضتك عقبة ما فنحن مستعدون للمساعدة.

نظرة المراهق إلى الحياة وقضاياها المجردة تبدأ بالتغير الجذري تمامًا عما كان مألوفا في مرحلة الطفولة

التحول النوعي في نظرة المراهق وإرهاصات تشكل الذات الواعية المفكرة

والحقيقة أن نظرة المراهق إلى الحياة وقضاياها المجردة تبدأ بالتغير الجذري تمامًا عما كان مألوفًا في مرحلة الطفولة، فلم تعد الحياة لديه لعبًا ولهوًا وإشباعًا عضويًا للحاجات يتمثل في المأكل والمشرب كما كان الحال عنده كطفل، وإنما تصبح الحياة لديه ذات معنى مجرد راق وهدف سام، ينطوي على تصور فكري يلبي غاية وجوده الحياتي والاجتماعي من جانب، ويؤدي من جانب ثان الرسالة الإنسانية القائمة على جملةً كبيرة من القيم الأخلاقية والوجدانية السامية التي يأخذ المراهق بتشكيلها وهو يتأمل الذات والعالم المحيط والثقافة السائدة، تأملًا قائمًا على طرح مجموعة كبرى من علامات الاستفهام والتعجب، لذلك يبدأ المراهق بالتفكير الحقيقي في غايات الوجود وأسباب الظواهر ووظائف الأشياء المحيطة، والعلل الكامنة وراء اختلاف الخلائق والأحياء من حيث الوظائف والأدوار الحياتية والاجتماعية، وهذا بالضبط ما يدفعه إلى البدء بوضع هدف مستقبلي جليل، في تصوره يختصر غاية وجوده كإنسان له وظيفته الحياتية والاجتماعية، ويؤدي الرسالة الإنسانية المتخيلة في وعيه الآخذ بالتشكل والصيرورة، كما يبدأ مرحلة التساؤل الهادف والواعي والبحث والتقصي وعدم التسليم الأعمى لتلك التفسيرات المطروحة والنفور من حال التلقين، هنا نستطيع أن نميز بشكل جلي واضح المراهق عن الطفل الذي يميل عادة إلى التعامل الظاهري مع الأشياء بشكل معزول عن أسبابها وعللها، والتسليم الأعمى للتفسيرات الغيبية الغامضة حيال قضايا الوجود والحياة.

سمات التفكير العقلي والمعرفي لدى المراهق

صحيح أن تفكير المراهق بداية يتميز بالسطحية والانفعال، باعتباره مبنيًا على مشاهدات بسيطة وخيالات ترد على وعيه الفكري الآخذ بالتشكل، لا على خبرات عملية وواقعية قائمة على التفسير المنطقي والتفكير المجرد، بالإضافة إلى خضوعه لتأثير العواطف والانفعالات التي غالبًا ما تكون المسيطر الأول على قرارات المراهق وأحكامه، لكن الصحيح أيضًا أن هذا النمط من التفكير لا يستمر طويلًا لدى المراهق الذي يجد مساعدة من الظروف المحيطة والأهل، إذ سرعان ما يأخذ المراهق بالتحرر التدريجي من السطحية والانفعالية في التفكير بالتزامن مع اكتساب الخبرات العملية التجريبية وتطور مستوى النمو العقلي والنضوج الفكري في ضوء تنمية القوى العقلية والقدرات الفكرية، محاكمة وتجريدا واستنباطا واستنتاجا واستقراءا وتفسير ومقارنة.. وغيرها، لذلك تتسم مواقف المراهق وقراراته بالميل نحو مزيد من العقلانية والاتزان والعمق، مما يسهم في جلب مزيد من الأمن والاستقرار لتفكير المراهق، ويؤهله لحياة منتجة فاعلة ومؤثرة في محيطه الحياتي والاجتماعي ويحكم على رسالته الإنسانية بالتميز والإبداع، وهذا ما يفسر إلحاحنا الشديد بالدعوة إلى ترك المراهق يجرب ويفكر، مع محاولة توفير الظروف المناسبة للتفكير والتجريب.

والواقع أن ميل المراهق إلى التأمل والتفكير والتجريب ينمي في ذاته القدرة على الفهم الزمني بأبعاده المختلفة (الماضي، الحاضر، المستقبل، الميتافيزيقي) ويدعوه إلى بناء آرائه ومواقفه على أسس أكثر منطقية وحرية، وألا يستسلم لأنماط الحياة التقليدية والسلوكات العشوائية، وما دام الحال كذلك فلابد أن ينزع إلى التمرد على التقليد النمطي الأعمى، والشك بالمسلمات والتساؤل عن المنوع، وإخضاع ذلك كله لرؤية عقلية فكرية ذاتية تستند على تجربته هو، وتفكيره هو، لتشكيل الهوية الفكرية المستقرة الخاصة.

ضرورة التعاطي الواعي مع التمرد الفكري للمراهق

وإنه لَمن الخطأ بمكان مواجهة هذا النمط من التمرد الفكري الثوري على التقليد النمطي الأعمى والشك بالمسلمات والتساؤل في المنوع، بالاستهتار أو العنف أو الكبت، لأن من شأن ذلك أن يلحق الضرر الفادح بالنمو العقلي والفكري ونشوء الشخصية العقلية النامية، حيث يرى علماء نفس الطفولة والمراهقة أن الشباب الذين يتصفون بضعف الشخصية وضمور الدور الأجتماعي والرتابة في التحصيل المعرفي، والنظرة المتشائمة للحياة ينتمون إلى تلك الفئة التي منعت في مرحلة المراهقة من البحث والتساؤل وكبتت اسئلتها أو تعرضت

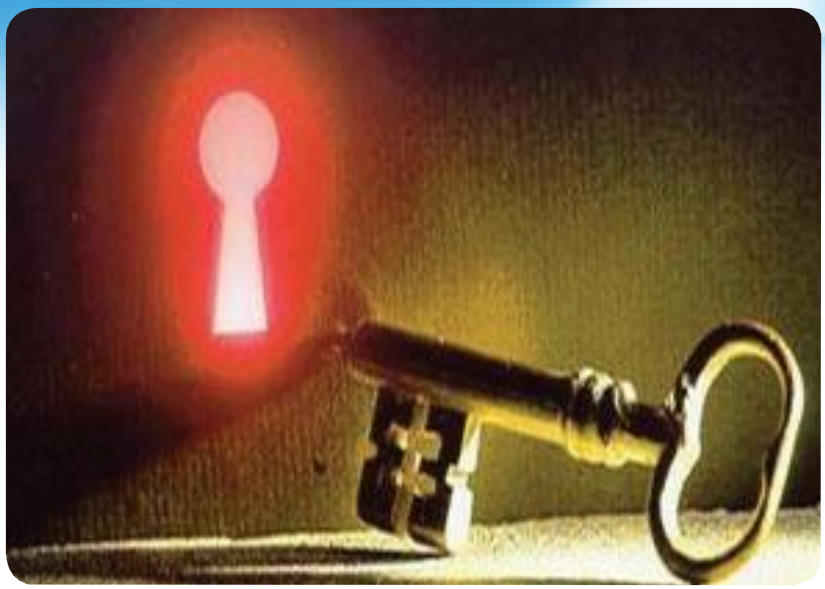

للاستهتار والاستهزاء، بينما ينتمي المبدعون إجمالا إلى الفئة التي لقيت ترحيبًا من قبل أولياء الأمور والمربين في فترة المراهقة.

كما أثبتت دراسة قامت بها الـ «Gssw» (المدرسة المتخصصة للدراسات الاجتماعية بالولايات المتحدة) على حوالي ٤٠٠ طفل ومراهق، بداية من سن رياض الأطفال حتى سن ٢٤، وعلى لقاءات مختلفة من أعمار مختلفة (٥، ٩، ١٥، ١٨، ٢١، ٢٤)، أن المراهقين في الأسرة المتماسكة ذات الروابط القوية التي يحظى أفرادها بالترابط، واتخاذ القرارات المصيرية في مجالس عائلية محببة يشارك فيها الجميع، ويهتم جميع أفرادها بشؤون بعضهم البعض، كما تحظى أسئلة المراهقين القلقة وسلوكاتهم الثائرة المتوترة المتسائلة بالترحيب والتقبل العلمي الموضوعي العقلي هم الأقل ضغوطًا، والأكثر إيجابية في النظرة للحياة وشؤونها ومشكلاتها، ويتصفون بالنمو العقلي والفكري الهادئ والمنتج، ومستوى تحصيلهم المعرفي والعلمي مرتفع، في حين كان رفاقهم الآخرون أكثر عرضة للاكتئاب والضغوطات النفسية، واتسم تطورهم الفكري بالقلق والاضطراب وعدم الفاعلية المنتجة، وكانت نظرتهم إلى الحياة تتميز بالتشاؤم وعدم المبالاة، وبالطبع كان مستوى التحصيل المعرفي والعلمي متدنيًا.

لذلك كله، اتفق خبراء الاجتماع وعلماء النفس والتربية على أهمية إشراك المراهق في المناقشات العلمية المنظمة التي تتناول علاج مشكلاته، وتعويده على طرح مشكلاته وأسئلته الثائرة الجريئة ومناقشتها مع الكبار (أولياء الأمور في الأسرة، المربين في المدرسة، ودور التأهيل الاجتماعي في المجتمع) في ثقة وصراحة، ودعوته إلى المحاولة الحرة والنشطة في تقديم التفسيرات العلمية والمنطقية القائمة على الواقعية والوعي، وكذلك احاطته علمًا بالأمور الجنسية عن طريق التدريس العلمي الموضوعي، والمناقشة الصريحة المسؤولة حتى لا يقع فريسة للجهل والضياع أو الإغراء، ذلك كسبيل وحيد للحفاظ علي النسق المعرفي والعلمي السليم المنتج الذي تمر به شخصية المراهق الواعية المفكرة، وضمان وصول المراهق إلى بناء الذات المعرفية الواعية حيال الذات والقضايا والمجتمع والثقافة بناء علميا نافعًا يتصف بالإنتاج والعلمية والاستقرار.

إن هذا السبيل الوحيد من الأداء الناضج العقلاني المعرفي في التعاطي مع المراهقة، من منظور الدعوة إلى مقولات التفكير والاستيعاب والتقبل والمناقشة الصريحة وتقديم التفسيرات العلمية والمنطقية وإشراك المراهق في الحوارات الهادفة للحفاظ على النسق المعرفي العلمي المنتج لديه، يعد السبيل الأكثر فعالية وجدوى في التعاطي مع مشكلات المراهقة وتنمية ملكات التفكير والإبداع مهما اختلفت ظروف المراهقة بين المجتمعات، فمما لاشك أن المراهقة، كما يقول د.عبدالرحمن العيسوي: «تختلف من فرد إلى آخر، ومن بيئة جغرافية إلى أخرى، ومن سلالة إلى اخرى، كذلك تختلف باختلاف الأنماط الحضارية التي يتربى في وسطها المراهق، فهي في المجتمع البدائي تختلف عنها في المجتمع المتحضر، وكذلك تختلف في مجتمع المدينة عنها في المجتمع الريفي، كما تختلف من المجتمع المتزمت، الذي يفرض كثيرًا من القيود والأغلال على نشاط المراهق، عنها في المجتمع الحر الذي يتيح للمراهق فرص العمل والنشاط، وفرص إشباع الحاجات والدوافع المختلفة»، ولكن آليات بناء النسق المعرفي والعقلي لدى المراهق بصورة فعالة منتجة تعطيه الذات الواعية المفكرة مستقبلًا تكاد تكون واحدة في التعاطي مع المراهقين إجمالًا مع الأخذ بعين الاعتبار هذه الاختلافات.

معوقات

والحقيقة أن بناء النسق المعرفي والعقلي للمراهق، وتشكيل ذاته الواعية المفكرة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية يمر بمجموعة كبرى من المعوقات التي تحول دون نمو القدرات العقلية والمعرفية وملكات الإبداع بصورة ناضجة فعالة، ويمكننا أن نجمل أهم هذه المعوقات وأخطرها فيما يلي:

١- معظم المربين وأولياء الأمور فهموا المراهقة على أساس من التصورات والمفاهيم الخاطئة، وقصر المراهقة كلها على مجموعة من التغيرات الجنسية والنفسية فقط، دون إدراك واع للكنوز العقلية والفكرية التي تنطوي عليها المراهقة وتبدأ بالتفجر مع جملة التساؤلات الغريبة والقضايا الجريئة التي يطرحها المراهق، وبالتالي عدم

استغلالها، بل الميل إلى كبتها في نفس المراهق ومحاربتها.

٢- أغلب المربين وأولياء الأمور لا يؤمنون بالقدرات العقلية والملكات الإبداعية التي يكتنزها أبناؤهم المراهقون، وضعف ثقتهم بقدرة أبنائهم المراهقين على التمييز بين الصواب والخطأ من الأقوال والأفكار والأحداث والتجارب، وبالتالي الخوف عليهم من الأنماط الفكرية الجديدة والتجارب العقلية، باعتبارهم قليلي الخبرة ضعيفي التفكير.

٣- ميل الكثرة الكثيرة من المربين وأولياء الأمور إلى تربية أبنائهم المراهقين على النمط الفكري التقليدي الذي تلقوا التربية عليه من آبائهم وأجدادهم، على مبدأ تقليدي مشهور «أربي ولدي كما رباني أبي، وأعلم طلابي كما علمني استاذي من قبل»، وفق ما تقتضيه النظرة الروتينية البسيطة للعادات والتقاليد الموروثة، وذلك دون احتفال بالتطور المعرفي الهائل والتراكم الفكري المدهش الذي حققه العالم الحديث حوله، مما يجعل المربين وأولياء الأمور في غربة سلبية عن التيارات والاتجاهات الفكرية السائدة، كما يكبح نمو النسق المعرفي والعقلاني المبدع لدى المراهق ويسير به نحو النمطية المملة والاتباعية الفكرية بمعناها السلبي غير النافع.

حلول واقتراحات

والواقع أن المتأمل في هذه المعوقات سيدرك الآثار الكارثية الخطيرة التي تتركها على نمو التفكير العقلاني والمعرفي المنتج والبناء عند المراهق في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، لذلك لابد أن يأخذها المربون وأولياء الأمور بعين الاعتبار والحذر في معالجة مشكلات نمو التفكير لدى أبنائهم المراهقين، فيعملون بشكل جاد علمي حثيث على معالجته، ذلك بالإضافة لهذه الاقتراحات التي أجمعت عليها المؤسسات البحثية الغربية، والدراسات الأكاديمية التي تصدت بالدراسة والتحليل

يجب اشراك المراهق في المناقشات العلمية المنظمة التي تتناول علاج مشكلاته

لمشكلات نمو التفكير العقلاني والمعرفي السليم المنتج، ويمكن اجمالها بما يلي:

١- ضرورة الإصغاء الهادئ والواعي لكل الأسئلة والقضايا التي يطرحها المراهق، مهما بلغت درجة غرابتها وجرأتها، مع الأخذ بعين الاعتبار أن المراهق سيصل بطريقة أو أخرى إلى هذه القضايا الجريئة في عصر التراكم المعرفي Knowledge Accumulation الهائل، والانفتاح الإعلامي والفضائي غير المسبوق، فخير لنا أن نفكر مع المراهق في جملة القضايا والأسئلة القلقة التي تشغله لنصل معًا إلى إجابات علمية منطقية، وحلول عقلية تجلب له الأمن النفسي والاستقرار الفكري، من أن نتركه في مهب الريح، يزداد اضطرابًا وضياعًا وفسادًا وينتهي به المطاف إلى مناهج تفكيرية سلبية لا تحمل النفع لنفسه ومستقبله أولًا، ولمجتمعه ووطنه ثانيًا.

٢- وجوب الخروج من الأنماط التربوية التقليدية في التعاطي مع نمو النمط الفكري والعقلي الذاتي لدى المراهق، فقد أجمعت الاتجاهات الحديثة في دراسة طب النفس على أن مساعدة المراهق في إيجاد التوازن بين الاعتماد على النفس في التفكير والبحث والتحليل حيال القضايا والأفكار، والاعتماد على تجارب الآخرين وخبراتهم الحية، والخروج في التعاطي معه من زي النصح والتوجيه بالأمر الواجب التنفيذ (صراع الأجيال Generation Conflict)، إلى زي الصداقة والتواصي وتبادل الخواطر، وبناء جسر من الصداقة لنقل الخبرات بلغة الصديق والأخ لا بلغة ولي الأمر (حوار الأجيال Generation Dialogue)، هو السبيل الأمثل لتكوين علاقة حميمة نفسية وجدانية فكرية بين الآباء وأبنائهم في سن المراهقة.

٣- مسايرة التراكم الفكري الهائل في التفكير المعاصر من خلال الإلمام الواعي والمدروس بكل التيارات الفكرية والثقافية المستجدة والوسائط الإعلامية الحديثة التي تفرزها، والإفادة منها في تحريك قوى التفكير الحي المبدع لدى المراهق وحسن التعاطي الواعي والحكيم معها بما يمكننا من الاقتراب من عالم المراهق وتفكيره وظروفه المختلفة، مع ضرورة التعرف على هذه التيارات الفكرية والوسائط المختلفة الجيد منها والسيء، نعمد إلى تعزيز الجيد والإفادة منه، والحذر من السيئ الفاسد واجتنابه.

ولابد هنا من الحرص على عدم حجب المراهق عن التواصل البناء معها بصورة قمعية إلغائية ترهيبية، لأن ذلك يعطي نتيجة معاكسة لتلك التي نتوخاها (كل ممنوع مرغوب) ويولد في ذاته الشعورية واللاشعورية جوانب من الخوف والرهبة السلبية، لذلك يؤكد الباحثون النفسيون في هذا المضمار على ضرورة دعوة المراهق للتعامل الواعي معها مع حفز ملكات التأمل والتفكير والتحليل والاستنتاج.. قائلين لا مشكلة في تعاملك مع ما تحب من الوسائط الإعلامية الحديثة والتيارات الفكرية التي تفرزها، ولكن فكر بوعي وتأمل تامّين فيما تفعل واعرض ذلك كله على ملكاتك الفكرية، حلله جيدًا واذكر السلبيات والإيجابيات ودعنا نساعدك في الوصول إلى الموقف المريح لنفسك، هيا فكر ونحن هنا نراقب عن كثب ومستعدون للتدخل في الوقت المناسب.

مراجع

١- علم نفس الطفولة والمراهقة، د.جميل صليبا، كلية التربية في جامعة دمشق، ٢٠٠٥.

٢- المراهقة.. خصائص المرحلة ومشكلاتها، موقع المسلم على شبكة الإنترنت.

٣- المراهقون، د.عبدالعزيز محمد النغيمشي، جامعة الملك سعود.

٤- تعليم التفكير: مفاهيم وتطبيقات، د.فتحي جراون، دار الكتاب الجامعي.

اللحظات الأخيرة لوالدي الحبيب

صفاء محمد الأشقر

كم أخرت كتابة هذا المقال أملًا في أن يخفِف وقع المصاب علي فيسهل تسطيره، إلا أنني كلما نقشت حرفًا انفطر القلب كأنه فجيعة الخبر أول مرة! أقول إنني أعيش اللحظات كأنها تمر بي من جديد.. فلم أخرج منها بعد! وعذري أن فقيدي ليس أي فقيد، حقي أن آخذ وقتي.. فكم أب عالم تفقد الفتاة!

بعد عيد الفطر جلست في أنس كعادتي مع أبي، فطلبت منه الوالدة أن يقص علي رؤياه التي رآها من أيام، وقد عُرف عني التأويل، فقصها مستبشرًا بتفاصيلها، واستشعرت خلال سرده إياها- وكانت طويلة على غير العادة - كم هو مرتاح لما فيها ومتطلع لنهايتها، أتم- رحمه الله- سردها فسحبت الكرسي الذي أجلس عليه إلى الوراء لكي لا تقع عيني في عينه وانسحبت مع كرسيَّ خافضة رأسي، إلا أن من بجانبي لمح فيض الدموع الذي أساله وقوع تأويلها في نفسي! وعجز قلب صغرى حبيباته عن كتم الدمع كما كتمت اللفظ!

والفقدُ موجع..!

كلما دخلتُ عليه بعدها وجدته يراجع حفظه، فيعطي المصحف من عنده ويقول له سمِّع لي السورة الفلانية.

بعدها دخل المستشفى، وعلى كثرة المرات التي دخلها، كانت هذه مختلفة، كنت أقول لمن حولي ادعوا له بالرحمة، حيث غلب على ظني توديعه إيانا قريبا.. لكن لم أتوقع هذا القرب! وفي ذات يوم ذهبت إلى المستشفى الذي يعالج فيه ولما فتح المصعد بابه على طابقه إذا بصوته يملأ الطابق يتأوه من الألم! دخلت غرفته وإذا كل من حوله من المرضى في غرفة العناية المركزة في غيبوبة أو كالنائمين، لم أتحمل أن أراه يتألم فقلت للطبيب: لماذا لا تعطونه دواء يهدئه مثلهم ليخفف ما به من الألم؟ فقال:كلهم نفس الدواء، لكن والدك «مصحصح زيادة»!

كلما دخلت عليه وجدتُ ممرضًا أو طبيبًا يمسك مصحفا مستفسرا عن سورة، أو يسمِّع له حفظه! قبل وفاته بيومين كنت عنده وقت صلاة العصر، فسألني عن السورة التي قبل الكوثر: ما هي وكانت الماعون، وذلك ليقرأ في صلاة العصر من حفظه، وأظنه أتم مراجعة حفظه في المستشفى قبل وفاته.

أحاديثنا المعتادة رائعة وأنيسة، وخاصة وعامة، وكل جميل قاله الناس! حتى إنني فكرت في نشر ذكرياتي معه ليتعرف الناس على كيفية عيش العالم في بيته، فكثيرون يتجملون للخارج وفي بيوتهم ينزعون الأقنعة! ومازلت أضع رؤوس الأقلام لهذا حسبما يتيسر في كيفية نشرها، أما أحاديثنا في المستشفى فلم تخرج عن ذلك الجمال والتفسير والفقه والعلم والأدب والتاريخ والشعر! ويضاف لها وصية أوصانيها وحان وقت إيصالها لأهلها! فكان يردد في لقائنا قبل الأخير أن يا شباب الإسلام اكتبو عن الإسلام، وما رأيته في هذا إلا كخطيب واقف على المنبر رافعًا سبابته مكررًا بحزم «عرفوا العالم عن الإسلام.. اكتبو عن دينكم.. يا شباب الإسلام.. عرفوا العالم على الدين الحق»، فما كان من حماستي التي اعتادها إلا أن تفاعلت معه لما لم أر جمهورا لخطبته.

فالكل، كما قلت لكم، نائمون، فقلت: «أعدك أن أكتب.. صدقني سنكتب» فابتسم.. فهذا ما يوصيكم به أبي يا شباب الإسلام، ألا هل بلغت؟ وهأنذا أنفذ الوصية أو شرعت.. والله المعين.

خرجت حين دخل في الصلاة للاستراحة في الممر متأملة في إحدى اللوحات التوعوية، وإذا بنفسي تراودني أن أدخل فأقرأ عليه «يس» يا لهذه النفس! اهدئي! هذا أبي! ماذا تقولين! ما أقسى وساوسك! هذا

كاتبة أردنية

الحبيب.. «لا تفاولي يا بنت»، ثم هل حديث «اقرأوها على موتاكم» صحيح؟ وهل القصد فيه قبل الموت أم بعده؟ سأسأله حين ينهي الصلاة، اسكتي! حتى لو كان الحديث صحيحًا وكان القصد فيه من هو في الاحتضار.. فكيف تستطيعين؟! هذا والدك الحبيب! أتجرئين؟! ومن قال لك إنه يحتضر؟ إنه مريض فقط وسترينه الأسبوع المقبل على سريره في منزله! ولكنه حقه علي إن كان الحديث كذلك وكان فيه تخفيف عنه ورحمة له! حتى ولو! لا أستطيع.. لا أستطيع!

هربت من وساوسي إلى سكينته، حيث يرقد مصليًا، وتطفلت على آخر صلاته، ثم آنسني بحديث التاريخ الذي لم أطق سماع قصصه أبدًا سوى منه! وكانت الجمعة الأخيرة.

زرته يوم السبت وودعته، جاء يوم الأحد وارتديت ملابسي للخروج لزيارته، انتظرت بعض من سيأتي للمنزل لأخرج بعد مجيئهم.. سبقهم هاتف من أخت كبيرة لي: «صفاء.. مات أبي.. قولي اللهم أجرني في مصيبتي وأجرني خيرًا منها».. واشتعلت في اللوعة!

ماذا تقولين؟ بهذه السرعة؟! نعم كنت مهيأة.. لكن أحتاج إلى وقت أكثر لتقبل الأمر، صحيح أن الرؤيا هزتني، ودخوله المستشفى أيضًا، ومرضه هذه السنوات الطويلة، لكنني أحتاج إلى وقت طويل لأتقبل الأمر، فأنا مختلفة، أنا الصغيرة، أنا الغالية، ألم يكن يقول عني: أنت الغالية؟ فكيف يذهب ويتركني؟ أحتاج إلى وقت أكثر معه! لم يمض في المستشفى سوى ثلاثة أيام، لو أنها أسبوعا أو أسبوعين كإقاماته المعتادة لتزودنا قليلًا من زياراته، أحتاج إلى وقت أكثر، كل هذا احتدم في ذهني وأنا أردد خلفها «اللهم أجرني في مصيبتي وأجرني خيرًا منها»

وتساءلت: ما الذي يمكن أن يكون «خيرا منها»؟ إنه «أبي»!!

ظللت أبكي.. أبكي حالي بعده، وشوقي

كنت أردد اللهم أجرني في مصيبتي وأجرني خيراً منها ..وتساءلت: ما الذي يمكن أن يكون خيراً منها؟ إنه أبي

إليه الذي بدأ من هذه اللحظة! أبكي على كل يوم قادم سأعيشه بعده، ولن أجده سندا لي، أبكي على فتنة ستعصف بي فيما سيبقى من عمر، ولن أجده ليرشدني، أبكي ألم الفراق ولوعة الفقد.. ظللت أبكي.. وتوجهت إلى المستشفى! لم أفقد عقلي.. لا.. ولكنني كنت عازمة على زيارته في هذا الوقت ولن أعود عن عزمي! صعدت إلى غرفته- أو ما كانت غرفة له، وأنا أعلم أنه في الثلاجات الآن! أريد أن أراه حيث تركته بالأمس، كيف لي أن أسلم عليه بالأمس في مكان حيًا على أمل أن أعود له في المكان نفسه يحادثني وأحادثه، ثم أجده في طابق الأموات لا يرد لي سلاما! ولعلهم قد أخطأوا!

لعل موظفي المستشفى قد اختلطت عليهم الأسماء وأرقام الهواتف فبلغوا أهلي وهم يعنون مريضًا آخرا! أريد أن أصدق! صعدت إلى الطابق الخامس، حيث العناية المركزة.. دخلت الغرفة وتوجهت نحو سريره.. فلما رأيت غيره عليه خنقت شهقتي بيميني وانسحبت! ارتميت على الحائط مقابل الغرفة وتقبلت الحقيقة.. الآن صدقت.. لقد مات.

يدان دافئتان تحتضنان يدي المحيطتين بوجهي، وصوت بدفئهما يقول «عظم الله أجركم»، إنها ابنة السيدة المريضة في الغرفة نفسها والتي اعتدنا أن نتجاذب معها أطراف الحديث والسؤال عن أحوال أمها في زياراتنا لوالدي، وكانت تُمرض والدتها ساعة وفاته، سألتها: هل كان أحد منّا موجودًا وقت وفاته؟ - فعادة أنا التي آتي صباحًا وقد حبسني حابس صباح اليوم- قالت «لا.. ولكن أبشرك.. طوال الصباح كان يهلل ويكبّر!» فارتسمت على وجهي ابتسامة عريضة رغم شلالات الدموع المتلألئة.. فأردفت.. و«قرأ سورة الفاتحة أربع مرات».. ثم صححت: «لا لا.. ثلاث مرات، ثم دخل في غيبوبة صغيرة توقف فيها نبضه وقبضت روحه».

يا إلهي! ما أروع هذه الخاتمة! فليهنأ بها مفسر القرآن.. اللهم ارزقني بمثلها..اللهم ارزقني بمثلها.. فلأبشر أهلي ليفرحوا وليطمئنوا! ولكن أريد أن أراه، نعم أريد ذلك، رغم أني الضعيفة القلب التي لا تجرؤ على ما يجرؤ عليه كثيرون من الأطفال، ومن يعرفني يعرف هذا عني.. أريد أن أرى جثة! وجثة من؟ جثة أبي.

نزلت إلى طابق الثلاجات، في الطريق إلى حيث هو، كان الموت حيا.. أو هكذا استشعرته.. برد ووحدة ووقع أقدام وغربة، أو لعله برد الروح ووحدتها بعده، سحب الموظف رف ثلاجته فأخرجه لي ملفوفًا بالبياض.. أخرجه حتى أسفل صدره تقريبًا، تأملت وجهه، وكأن بقايا روحي تنزع مني على شكل قطرات لامعة تتحدر من مقلتي لتهرب معه إلى حيث تحلق روحه تلك اللحظة!

أردت أن أرتمي عليه لاحتضنه وأحادثه وأقبله وأودعه، فأعاقني قصر المسافة التي سُحب لها ووجود بعض من هم غير محارم لي، فهمست رغم المسافة «حبيبي..حبيبي» لعل أحدا لم يسمعها.. لكن روحي استحدت أن تبوح!

توجهت إلى بيت والدي ففتحت لي أخواتي الدامعات الباب، فقلت لهن «جئتكن مبشرة!» صدمن حين علمن أنني ذهبت لزيارته، لكن حين أخبرتهن بخاتمته صاحبت البسمات الدمعات فلم تنفصل هذه التوائم لساعات!

٢٠٠٩/١١/١٥ كان يومًا مختلفًا في حياتي، نقطة انقلاب كيوم ميلادي تمامًا! مازلت أذكر تفاصيله تماما، أذكر كيف اتصلتُ بمكتب مشروع العشر الأخير في المملكة العربية السعودية لأرى كيف يمكنني الحصول على أعداد كبيرة من العشر الأخير لتوزع في العزاء، ولمن لا يعرف، فالعشر الأخير هو تفسير الأجزاء الثلاثة الأخيرة مأخوذا من «زبدة التفسير»، كم كان

الأمر صعبا علي حين اضطررت لإخبارهم أن والدي قد توفي لأشرح سبب طلبي المستعجل! تخيل أنك تبلغ أحدًا بوفاة والدك اليوم! استعصى توفير الكمية المطلوبة خلال ذلك الوقت القصير، لكنهم بشروني بأنه تمت طباعة ١٧ مليون نسخة منه! وكلها على سبيل الوقف لله تعالى! كم أبهجنا هذا ومنحنا شيئا من الطمأنينة في يوم وفاته وهو مازال في الثلاجة، حيث تأخر الدفن لليوم التالي، وقتها تمنيت فقط أن يمن علي ربي بمثل عمله وأن يستعملني في الطاعة كما استعمله! في تلك اللحظة تذكرت رؤياه قبل موته - يرحمه الله- ولن أذكر شيئا منها- الآن على الأقل- لكن فيها مبشرًا بعمل لن ينقطع له بعد موته وخاصة من تفسير القرآن.

صباح الاثنين دخل والدي بيته، هذه المرة دخله محمولا.. ملفوفًا بلون النقاء، دخله.. وللمرة الأولى.. دخله ولم يسلم! صلّت عليه النساء وودعته محارمه منهن، لم يمنحني الوقت سوى دقيقة لأراه.. لكن لا بأس.. فقد أبهجتني رؤياه في المستشفى يوم أمس، كما قيل لأسماء بنت أبي بكر في ولدها «ما هذه إلا جثث.. والأرواح عند الله»، أخذه الرجال للدفن، وفتح بيت العزاء.. في بيت الحبيب.

لا أعلم فيم يعزوننا؟ أيعزوننا فيمن قضى عمره في الطاعة؟ فيمن لم يكن يغضب إلا حين تنتهك محارم الله؟ فيمن ربانا على الخير والبر؟ أم فيمن خلف كل تلك المكتبة التي تحمل درا وتكون له أجرا لا ينقطع إلى يوم القيامة؟ فيمن ختمت له بالفاتحة؟

لقد علمت.. جاءوا يعزوننا في أنفسنا من بعده! ففينا من ألم الفراق والفقد ما الله به عليم! من قال إن اليتم له عمر؟! من قال إن الأرملة لو جاوزت ما جاوزت فسيسهل الفراق عليها؟ لعلها قضت في بيت أهلها ربع ما قضت مع زوجها! يا للفراق! ما أقسى لقاءه!

ومازلت أتأمل في «خيرا منها».

لعل الزوج لو كان صخرا أبدلنا الله زوجا لينا خيرًا منه، والابن العاق ابنا بارا خيرا منه، فكيف يبدلني ربي خيرًا من أبي؟! خطر لي ما فتح الله به على لسان بعض محارمي بعد ذلك، فـ «خيرا منها» في مصيبتي هذه لعله أن أجمع معه لقاء خير من لقاء الدنيا لا فراق بعده! فـ «اللهم أجرني في مصيبتي وأجرني خيرا منها! .. وكانت «الفاتحة»!

بقيت أتساءل: الأصولي الفقيه الذي فسر القرآن كله لم يختم له بـ «لا إله إلا الله» ولا بأي آية من القرآن.. بالفاتحة! الفاتحة التي يحفظها أطفالنا ذوو العامين والثلاثة، التي نقرأها في كل يوم ١٧ مرة على أقل تقدير، ومعظمها دون تركيز، الفاتحة التي نعتبرها الأسهل لفظا ومعنى، لماذا الفاتحة؟

حاولنا في اليومين التاليين أن نرتب لضيوف العزاء درسًا قصيرًا في تفسير الفاتحة، فتعذر هذا.

واشتاقت روحي التأمل في تفسيرها من جديد، بت أكثر تعطشًا.. وأرضًا خصبة، أظمأني موت أبي لأعرف المزيد، وتخصيصه إياها لأروى منها! فهي آخر ما نطق!

بعد آخر يوم عزاء افتتحت آخر هداياه لي، كانت نسخة من تفسيره الجديد الأحدث طباعة، الطبعة الأولى من «القبس المني.. مختصر تفسير ابن كثير»، ثلاثة مجلدات متوسطة الحجم، كان كلما طبع له كتاب جديد أهدى كلا منا نسخة، ونسختي هذه مازالت في غلافها، حيث المجلدات الثلاثة مخبوءة في النايلون الشفاف لم أمسها منذ شهر! أزلت الغلاف وأخذت الجزء الأول، وفورا على سورة الفاتحة.. أردت أن أعرف كيف فهم هو تفسيرها .. تفاجأون لو عرفتم أنني اضطررت لقراءته على يومين! وكل جلسة امتدت لساعات! بين كل سطر وسطر دموع النور تتساقط، لا دموع الفراق، مرحلة أخرى جديدة علي!

قرأت ما سطره بروح جديدة.. هذه المرة بطعم الآخرة، وكأن ما انتقاه من تفسير ابن كثير في هذا المختصر كان يقوله لي شخصيًا ويعلمه لي بذاتي، ما أجمل رسائل الأموات! العلماء ورثة الأنبياء، فهم يأبون أن يرحلوا إلى بارئهم إلا وقد خلفوا وراءهم ما يعيننا على اللحاق بهم إلى عالم النور! فاللهم اجمعنا بهم جميعا.

وبت أتفكر في الموت.. ورسالته للأحياء! أليس الله رحيما بنا؟ فكيف يفقدنا أعز الناس ونحن نحمل أرق القلوب؟ لماذا لم يتوفنا نحن أولا؟ وبما أن في ذلك ألما لهم أيضًا.. فلماذا لا يقبض البشر إليه جميعا في الوقت نفسه.. فيأتون إلى الأرض معا ويموتون معا؟ لمَ يعرض أرواح الناس لأقسى الآلام- ألم الفقد- وهو الرحيم الحليم؟!

لكن لو آمنا بكمال رحمته سبحانه لأدركنا أن من رحمته بنا أنه يعيننا على أن نحقق الغاية التي خلقنا من أجلها «ليعبدون»، ولو كان ذلك بمنبهات تهز منا الوجدان، والموت أحدها، فما إن نرى قبض قريب أو حبيب حتى نرى نهاية أنفسنا جلية أمامنا.. قريبة ..حقيقة لا وهما، فموت الحبيب لا كموت الغريب، إنه يجعلنا داخل القصة لا قارئين لها، مما يعيننا على حياة أكثر طاعة نحقق فيها عيشًا ملتزمًا بحدود الشريعة، كمن يروي رواية وفي ذهنه الخاتمة فتضبط، لا كمن يأتي بأي سطر من أي حدب وصوب فيتشوه فنه ولا ينتظم نظمه.

فنرى الشيوخ لا كالشباب، فكم عزيز قد فقدوا! وفي كل فقد أدركوا قول الحياة: «ما أنا إلا زوال!»، ففَطنوا إلامَ يجمعون وأين خير ما يكنزون! فكان الله رحيمًا بنا حتى في قبضه روح من نحب!

ويبقى ألم الفراق! لكن.. لو تحقق معنى الخلود في أذهاننا، وأدركنا أن هذه الحياة الدنيا- مهما طال بقاؤنا فيها- ما هي إلا كالحلم يستيقظ منه بعضنا قبل بعض، لما أبأسنا فراق قصير قبل لقاء الخلود، عساه أن يكون في جنات النعيم، تخيلت أمًا تهدهد صغيرها ليسترخي في حضنها فيغفوان معًا، ثم ينامان بضع ساعات، ويسبقها فيستيقظ قبلها بنصف ساعة.. هل كان هذا يئسها، حتى لو شعرت باستيقاظه وتقلبت على قيامه من سريرها! أم أنها كانت ستستفيد- ما استطاعت- من نصف الساعة المتبقي في نومها لتفيد جسمها فينفعها في نهارها،

حتى إذا ما استيقظت بعده سعدت وإياه على مائدة الإفطار فيبتهجان بنهارٍ منعش مشرق معًا؟!

نصف الساعة هذا للأم التي سبقها وليدها استيقاظًا هو نصف العام لنا لنجمع ما يمكننا أن نجمع من خير العمل فنبتهج هناك نحن وإياهم- حين استيقاظنا في آخرتنا.. عسى أن يكون لقاؤنا في عليين.. اللهم آمين، وهذا ما بات يهون علي بُعد المسافة عن أبي.. كما روي عن الحسن البصري قوله: «إنما الدنيا حلم، والآخرة يقظة».

بقيت أهوّن على نفسي تأخري من بعد الحبيب، وأضرب لها الأمثال حتى صبرني ربي، فتذكرت حديث الرسول ﷺ «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، تخيلت أننا رافقناه في إحدى سفراته ونزلنا «ترانزيت» في أحد المطارات، فسبقنا في طائرة للبلد الغاية، وتأخرنا بعده ساعة من نهار، ونحن على يقين أننا سنلحق به، وأن مضيفيه سيحسنون ضيافته في فندق ٧ نجوم، ما الداعي لكل هذا الألم؟! فقط أن نحسن التصرف في هذه الساعة كما أحسن هو، لنلحق به ولا يضيع علينا حجز الفندق أو تنقص لنا نجمة من نجماته!

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وشكر نعمتك وحسن عبادتك وقلبًا صالحًا ولسانًا ذاكرًا، اللهم نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار.

انتزعت قطعة من مهجتي بفراق والدي، كأنما اخترقت قلبي رصاصة أحدثت ثقبًا سميكًا أعلم أنه لن يندمل على وجه هذه الأرض أبدًا، لكن عزائي أن يومًا أؤمن أنه سيأتي.. أعلّق فيه أملا بلقاء بلا فراق، وبجلسة أنس لن يقطعها رنين هاتف أو تدخل متطفل أو حتى زيارة هادم للذات بغير سابق موعد! فاللهم اجمعني بوالدي واكتبنا عندك في عليين، واغفر للمؤمنين والمؤمنات.. الأحياء منهم والأموات اللهم آمين.. وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

اختاري الوقت المناسب لفطام طفلك

أميرة سالم أبوجبة

● قبل أن تقدم الأم على فطام طفلها عن الرضاعة، ينبغي لها أن تختار وقتا مناسبًا خاليًا من أجواء التوتر والقلق، فالأطفال الذين اعتادوا الرضاعة الاصطناعية يتعلقون بزجاجة الحليب كثيرًا، لذلك يعاني أغلبيتهم الحزن الشديد عندما يحين موعد فطامهم عنها واستبدالها بالكوب.

● ويوصي معظم الأطباء بضرورة استبدال زجاجة الحليب بالكوب ما بين سن ١٢: ١٨ شهرًا، وينبهون إلى أن تجاوز الطفل لهذه المرحلة من العمر برفقة زجاجة الرضاعة يزيد من تعلقه بها، ويجعل من الصعب انفصاله عنها.

ووفقا لما ذكرته البحوث، فإن ٢٠ ٪ من الأطفال يظلون متعلقين بزجاجة الرضاعة حتى سن العامين، و٩ ٪ منهم حتى سن ٣ سنوات، ولعل أكثر ما يؤذي في هذا الخصوص، أن الأطفال المتعلقين بالزجاجة لا يذهبون إلى النوم من دونها ومنهم من يستيقظ ليلًا يطلبها، ما يجعل أسنانهم عرضة للتسوس.

إذن ماذا يفعل الآباء لكي يساعدوا اطفالهم على هجر زجاجة الرضاعة؟

فمثلا لا يجوز أبدًا أن تبدأ هذه الخطوة في أعقاب قدوم مولود جديد، أو لدى انتقال الأسرة للسكن في منزل جديد، أو أثناء السفر، لأن الطفل الصغير لا يحتمل تغيرات عدة في وقت واحد، فهذا يشعره بعدم الأمان ويفقده الشعور بالاطمئنان.

● كما لا يجوز أن يتم التوقف عن الزجاجة بشكل مفاجئ ومرة واحدة فمن المفترض أن يتم الأمر بصورة تدريجية في خط متواز مع تعليمه شرب الحليب أو العصير بالكوب، ومن الأفضل أن يتم ذلك ما بين سن ٦: ٩ شهور، ومن أجل تشجيعه على استخدام الكوب، ينبغي أن يشاهد الأطفال الآخرين يستخدمونه مثل إخوته أو أطفال يقاربونه في العمر، ومراعاة لمشاعره، لا ينبغي أن نصطحبه إلى مكان يمكن أن يشاهد فيه أطفالا يشربون الحليب بالزجاجة، لأن رؤيته لذلك ستثير الأسى في نفسه، ومن الأفضل أن يبتعد خلال مرحلة الانتقال إلى الكوب عن كل ما من شأنه أن يذكره بالزجاجة.

● ويحذر الخبراء من إخفاء جميع الزجاجات مرة واحدة، أو إلقائها في صندوق النفايات من دون علمه، لأن التصرف على هذا النحو قد يدفعه إلى الاكتئاب.

والحل المثالي أن تنتظر الأم إلى حين اعتياد الطفل الكوب قليلاً، ثم تطلب منه أن يجمع زجاجاته لكي يتم التخلص منها وتجعله يفعل ذلك بنفسه، وعندما يسأل عنها بعد ذلك تذكره بأنه تخلص منها بنفسه لأنها لم تعد تليق به، إن معرفته لذلك تبعث في نفسه الشعور بأنه قادر على إدارة شؤون نفسه بنفسه، وهذا كفيل ببث روح العزم والتصميم لديه لمقاومة مشاعر الحنين إلى الزجاجة.

كاتبة مصرية

أ. د. أنور حسين صديقي رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد:

سيبقى وجود العنصر العربي بالجامعة داعما لتميزها في خدمة العلوم الإسلامية والعربية بجنوب شرق آسيا

حوار: عبدالرحمن هاشم

تظل الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد في الذاكرة والعقل الجمعي الإسلامي الأشد سطوعا، ليس بسبب تأثرها بمناهج وروح الأزهر الشريف فحسب، بل أيضا بسبب تأثيرها في محيطها الجغرافي الآسيوي، وخاصة تنسيق مسلمي الصين وآسيا الوسطى، وتبقى في النهاية صرحا تربويا يضج بالحركة والنشاط.

ولأهمية الجامعة وما تشهده من طفرة غير مسبوقة في التطور والتنوع والشمول ولأهمية رسالتها، التقينا رئيسها د.أنور حسين صديقي والوفد المرافق له أثناء نزولهم ضيوفا على القاهرة ومشاركتهم في فعاليات المؤتمر الدولي الثاني والعشرين للمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية عن «مقاصد الشريعة الإسلامية وقضايا العصر» الذي عقد في الفترة من ٢٢-٢٤ فبراير ٢٠١٠م.

بدأ أ. د. أنور حسين صديقي رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد حديثه عن الجامعة فقال: هي جامعة إسلامية باكستانية أسست على رأس القرن الهجري الخامس عشر ١٤٠٠هـ الموافق ١٩٨٠م بموجب مرسوم رئاسي، وهي أول جامعة باكستانية يفد إليها الطلاب من خارج باكستان من الدول الإسلامية وغير الإسلامية ويتم التدريس فيها باللغتين العربية والإنجليزية.

وتعد أكبر جامعة أسهمت في تعليم المجتمع الباكستاني بدعم من عدد من حكومات الدول الإسلامية من بينها مصر، المملكة العربية السعودية، الكويت، ماليزيا، جزر المالديف، تركيا، وغيرها من دول منظمة المؤتمر الإسلامي.

ومثلت نشأتها في بداية القرن الهجري الجديد رمزا لتطلعات وآمال الأمة الإسلامية لنهضة إسلامية كبرى، فمن أهدافها: خدمة الدعوة إلى الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا، توضيح العقيدة الإسلامية الصحيحة، تعميق الثقافة الإسلامية لدى الشباب، توضيح رسالة الشباب في بناء المجتمع، وتوفير فرص تعليمية راقية لأبناء الأمة الإسلامية، وتمتاز بالوسطية في المنهج، والدقة في التخصص، والجمع بين الأصالة والمعاصرة في المحتوى والمادة العلمية، وتخريج العلماء والممارسين القادرين على تلبية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية واحتياجات العصر الحديث.

وقد أنجزت الجامعة خلال ثلث قرن من مسيرتها الشيء الكثير ما دفع البعض إلى اعتبارها من أهم الجامعات في جنوب شرق آسيا من ناحية التأثير، فقد حمل أبناؤها رسالتها التعليمية إلى إندونيسيا والصين وغرب إفريقيا، وصار منهم برلمانيون ودعاة كبار في بلادهم ومراسلون لكبرى الصحف والمجلات والقنوات التليفزيونية والإذاعية في آسيا.

والآن تخدم الجامعة بكلياتها المختلفة أكثر من ٢٠ ألف طالب من الجنسيات المختلفة يوجد منهم ٧ آلاف طالبة، والطلاب الوافدون ينتمون إلى ٤٢ دولة إسلامية وغير إسلامية، لكن معظمهم من الصين ومن إفريقيا، والآن ازدادت نسبة الطلاب الأفغان بسبب الحرب، وكان يفد إلينا الطلاب من آسيا الوسطى إلا أن الحرب في أفغانستان حالت مؤقتا دون انتظامهم.

وتعتبر مساحة الجامعة الإسلامية هي الأكبر بين الجامعات الباكستانية حيث أقيمت مبانيها على مساحة ٥٠٠ فدان تقريبا، وميزانيتها السنوية تقدر بـ ١٥ مليون روبية باكستانية، وتضم هيئة تدريسها ٤٠ أستاذا ومدرسا من جنسيات مختلفة، منهم عدد كبير من المصريين من جامعة الأزهر وكلية دار العلوم جامعة القاهرة.

وعن دور الأزهر في دعم الجامعة منذ نشأتها وحتى الآن يجيب د.صديقي: للحكومة المصرية وللأزهر جامعا وجامعة، ولجامعة القاهرة وخاصة دار العلوم دور مهم وفعال في دعم الجامعة الإسلامية ماديا وفنيا، والدولة الباكستانية أقرت بالفضل لأهله فجعلت أول رئيس للجامعة مصريا هو د.حامد حسان، وخلفه د.حسن

الشافعي، ود.أحمد العسال، واستقر الأمر في الجامعة بعد ذلك أن يكون نائب الرئيس مصريا فجاء د.محمد عبدالله الشرقاوي رئيس قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة حاليا، وخلفه د.محمد خليفة حسن نائبا لرئيس الجامعة للشؤون الإدارية.

ومن هنا تظهر وسطية الجامعة، تلك الوسطية التي انتقلت إليها من مصر عبر الأساتذة المصريين الذين وضعوا مناهجها والذين تبوأوا أعلى المناصب الإدارية بها.

ويضيف: لقد بث الأزهر من روحه وعبقه على الجامعة الإسلامية العالمية، فتجد المناهج ونظام الدراسة تماما مثل نظام الأزهر، لا اختلاط بين الطلاب والطالبات، سواء في قاعات الدرس أو السكن الطلابي.

كما أن خريجي الجامعة يجدون العمل بسهولة في الإدارات الحكومية وغير الحكومية ولا توجد لديهم مشكلة بطالة.

ويرى العالم الباكستاني د.أنور حسين صديقي أن الجامعة رغم عمرها القصير فإنها أصبحت الجامعة الثالثة بين الجامعات الباكستانية بعد جامعة القائد الأعظم محمد علي جناح، وجامعة محمد إقبال المفتوحة، ويتوقع لها بعد ١٠ سنوات أن تصل للدرجة الأولى بين الجامعات نظرا لعالميتها وتنوع تخصصاتها وإقبال الطلاب عليها.

ويؤكد أن الحكومة الباكستانية تثق وتعتمد كثيرا على أساتذة الجامعة، خاصة في القضايا الدينية والشرعية، كما تختار دائما رئيس الجامعة لعضوية المجلس الإسلامي الباكستاني.

وعن تأثير الجامعة في المجتمع الباكستاني والمجتمعات المسلمة خارج باكستان يقول: عُيّن عدد كبير من خريجي الجامعة في المحاكم الباكستانية خاصة المحكمة الشرعية والمحكمة العليا، وأذكر أن قاضي القضاة في باكستان قال لي في أحد اللقاءات «أنا خريج كلية الحقوق جامعة لاهور- أقدم جامعة في آسيا- والآن

الطلاب وأساتذة الجامعة مثلون سدا منيعا للتحديات الشيوعية والتغريبية الإباحية الوافدة

معظم أساتذة قسم القانون في جامعة لاهور من خريجي الجامعة الإسلامية».

كما أن طلابنا منتشرون خارج البلاد في دول آسيا الوسطى، والكثير منهم وصلوا لمناصب وزراء في الحكومة الأفغانية.

كذلك فإن جميع موظفي البنك المركزي الأفغاني حاليا هم من خريجي الجامعة الإسلامية، وأيضا تستقبل الجامعة كل عام ٢٠٠ طالب من الصين، وهؤلاء يعودون إلى بلادهم ويفتحون المدارس الإسلامية والعربية، ويعينون في المدارس والجامعات الصينية الرسمية، حيث يوجد حاليا انفتاح ثقافي في الصين، وهو وإن كان موجها نحو الثقافة الغربية إلا أن المسلمين بلا شك قد استفادوا من هذه الانفراجة بالعمل في مؤسسات التعليم المختلفة، وقبل ذلك لم يكن يسمح لهم.

وفي مجال نشر الدعوة نجد أن معظم القنوات الفضائية الباكستانية خاصة برامجها الدينية يؤمها أساتذة الجامعة العلماء في التخصصات الدينية، وعندنا د.أحمد جان العالم والداعية الشهير في باكستان من أساتذة الجامعة والحاصل على درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة الأزهر بالقاهرة.

أضف إلى ذلك أن الطلاب وأساتذة الجامعة يمثلون سدا منيعا للتحديات الشيوعية والتغريبية الإباحية الوافدة بما يقدمونه من فكر إسلامي رشيد.

ولما سألته عن حقيقة الاتهامات التي توجه للجامعة من أن مناهجها تساعد على تخريج أجيال من الإرهابيين، كما تعد حاضنة للإرهاب، علت نبرته وهو يرد قائلا: هذه اتهامات بلا أساس وكل هدفها تشويه الصورة، مستثمرة انطلاق الحرب على الإرهاب لإلصاق التهم بمؤسسات الإسلام الثقافية والتعليمية لحرب الإسلام ذاته عقيدة وشريعة وسلوكا وأخلاقا، مؤكدا أن الحكومة الصينية- المتحالفة مع أميركا في حرب الإرهاب- توفد أبناءها للدراسة في كليات الجامعة المختلفة وبأعداد كبيرة، فكيف لها أن تفعل إلا إذا وثقت في مناهج الجامعة والقائمين عليها، وأنها بعيدة كل البعد عن التطرف والإرهاب؟

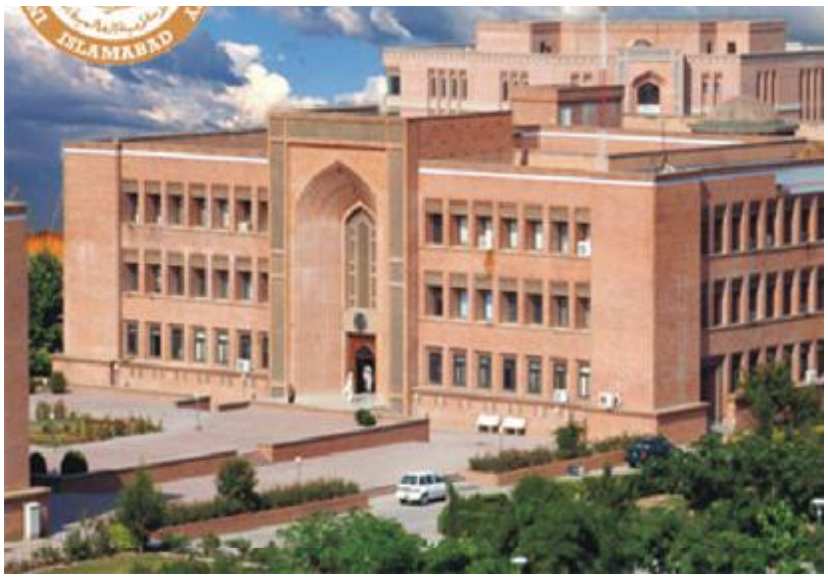

وامتدادا لنفي هذا الاتهام أقول: تستقبل مدينة إسلام آباد الوفود الأجنبية تلو الوفود، ومن المعالم الباكستانية التي تحرص هذه الوفود على زيارتها مباني الجامعة وطلابها وهم في قاعات الدرس، وكان آخر هذه الوفود الوفد البريطاني وعلى رأسه توني بلير رئيس الوزراء السابق.

ويضيف: حتى الطلاب القادمون من مناطق التوتر على الحدود مثل وادي سوات وتربوا في الجامعة لا توجد أية صلة بينهم وبين الأحداث هناك.

وعن أبرز العقبات والتحديات التي تواجه الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد يرى د.صديقي أنها تتمثل في دعاية الغرب والمتغربين داخل باكستان بأن الجامعة تربي أجيالا إرهابية، وهذا محض خيال وليس له حقيقة.

كما أن الحملة المثارة ضد الإسلام في الغرب الآن لن تضر الإسلام ولن تستمر طويلا، خاصة أن هناك حملات مضادة بدأ يقودها المسلمون من مواطني الدول الغربية للتعريف بالإسلام الصحيح، وهناك كثير من الغربيين بدأ يتجه لمعرفة الإسلام ودراسته، كما أن الجهل بالإسلام الصحيح كان وراء انتشار ظاهرة الخوف من الإسلام ووصفه بـ «العدو البديل»، مضيفا أن انتشار الإسلام في الغرب بقوة لم يؤرق إلا فئة معينة من أصحاب المصالح وبعض رجال السياسة المتعصبين.

وكشفا للنقد الموجه للجامعة والخاص بازدواج التعليم فيها وتوجيه معظم الدعم الخارجي إلى إقامة المباني دون اهتمام برواتب الأساتذة، إضافة إلى بروز حساسية غير مبررة تجاه الأساتذة العرب أوضح د.صديقي أن بالجامعة كليات لدراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وأخرى للعلوم الحديثة، والنوع الثاني يدعم نفسه بنفسه عن طريق مصاريف عالية

يدفعها الطالب (قرابة ٨٠٠ دولار يدفعها الطالب في الفصل الدراسي الواحد)، وأما الكليات التي تدرس العلوم العربية والإسلامية فتقترب من المجانية؛ ولهذا يبدو الاهتمام بها أقل، أضف إلى ذلك أن الموجود حاليا من الأساتذة العرب حوالي ١٥٪ ممن كان قبل ٥ سنوات؛ بسبب عدم استطاعة الجامعة توفير رواتبهم، وقد كان هؤلاء يمثلون روح العمل الجامعي في الكليات العربية والشرعية.

أما من ناحية إدارة الجامعة فلا يوجد لديها أي حساسية- ولا ينبغي- تجاه الأساتذة العرب سواء الذين أداروها من قبل أو الذين يديرونها الآن، والتواصل والود والتشاور مستمر بفضل الله، ولكن المشكلة كما قلت في دعم الأساتذة العرب الموجودين الآن في كليات أصول الدين واللغة العربية والشريعة للاستمرار في العطاء بالجامعة (حوالي عشرين أستاذا)؛ حيث إن الغلاء يدفع هؤلاء دفعا إلى ترك الجامعة مع خبرتهم الطويلة فيها واحتياج الجامعة والطلاب إليهم.

وأسجل هنا أن الإدارة كطرف مسؤول رسميا عن تلقي الدعم الخارجي لا تمانع في التواصل مع أي مؤسسة أو فرد من العالم العربي يدعم الجامعة، خاصة أن المنح المخصصة للطلاب الفقراء قد توقفت هي الأخرى!

وعن مشاركته في مؤتمر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الـ ٢٢ قال: «أعددت ورقة بحثية في هذا المؤتمر عن «التحديات العصرية لتطبيق الشريعة الإسلامية»، حيث نجد الكثير من البلدان الإسلامية التي استقلت عن الاحتلال الأجنبي لا تزال متعلقة بالروح الغربية، والنظام الغربي يسري في أوصالها حتى بعد زوال الاحتلال، وهذه أهم عقبة أمام تطبيق الشريعة الإسلامية، وتوجد كذلك عقبات اقتصادية، لكن لا توجد عقبات اجتماعية لأن النظام الإسلامي يوافق الروح والفطرة الإنسانية».

وإجابة عن سؤال: أين قضية فلسطين في مناهج الجامعة؟ أوضح د.صديقي أن مجلات الجامعة الرئيسية تصدر بثلاث لغات، أردية وعربية وإنجليزية، فضلا عن المجلات الفرعية التي تصدر باللغة المحلية، جميع ذلك يتناول مستجدات الأوضاع في فلسطين المحتلة، مؤكدا أن الدولة الباكستانية تقاطع إسرائيل على المستوى الرسمي والأكاديمي والشعبي، وتدعم الشعب الفلسطيني ماديا ومعنويا، ففي كل جمعة عقب أي حادث لإخواننا في فلسطين تخرج المظاهرات، وتكتب المقالات، وتلقى الخطب؛ تنديدا بما يحدث وتضامنا مع الأحباء الفلسطينيين.

لغة وأدب

شاعر الإسلام..الجائزة المرتقبة

للعرب سنن في الاحتفال والاحتفاء بأرباب الكلمة البليغة جعل من مبدعيها يصلون في أذهان العرب القدماء إلى منزلة المحكمين في مكانة القوم: قبائل وجماعات وأفرادا، رفعا ووضعا.

وقد كانت تعقد المجالس وتنصب الخيام للاستماع للشعراء بغرض المفاضلة بينهم من قبل أهل الدربة والدراية بالشعر.

ثم لما جاء الإسلام أعلى من مكانة الكلمة الطيبة وجعلها في الذروة من جهاده، وزهد عن بعض الأغراض التي كانت الجاهلية تعلي من مقامها، وليس أدل على مكانة الشعر الحسن في الإسلام من وهب البردة النبوية لقاء قصيدة، وقد أكرم الخلفاء والحكام على مدار تاريخنا الشعراء بما لم يكرموا به كثيرا من أرباب الحرف والصناعات، حتى وصلنا إلى العصر الحديث، حيث انتقل التكريم في معظمه إلى مؤسسات وأشخاص مهتمين بهذا الشأن، وقد بذلت كثير من الأموال لتشجيع أغراض متعددة من الشعر، منها ما يحمد و منها ما يذم.

وبقي أن نسمع عن مسابقة «شاعر الإسلام» المسابقة التي يؤمل أن تعلي من قيم الإسلام وتحيي من روح التضامن الإسلامي وتحارب القيم التي توهي عرى الأخوة الإسلامية وتنشئ أدبا إسلاميا حريا بأمة الإسلام ومثلها العليا.

المحرر

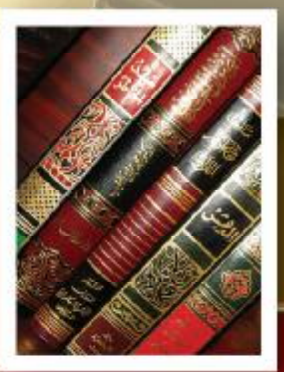

مصطفى صادق الرافعي وإعجاز القرآن الكريم

محمد عويس

«يُعد كتاب «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية» واحدًا من أروع الكتب التي قدمها مصطفى صادق الرافعي للعربية، وكذلك أنفس ما كتب عن إعجاز القرآن الكريم في العقود الأولى من القرن الهجري الماضي».. بهذه الكلمات استهل د.مصطفى الشكعة كتابه «الرافعي وإعجاز القرآن الكريم» موضحا أن الرافعي حين وضع منهجه انصرف عن المنهج التقليدي الذي وضعه المستشرقون لدراسة الأدب العربي، ووضع منهجًا، ابتكره، موصول الأسباب بتاريخ اللغة ونشأتها وتفرعها وما يتصل بذلك، ثم تاريخ الرواية ومشاهير الرواة وما تفرع من ذلك في ميدان الشعر واللغة في تفصيل دقيق ومنهج موسع ودراسة شاملة.

هذا ولم يقف الإعجاب بكتاب «إعجاز القرآن» عند المسلمين وحدهم، بل إن كثيرًا من غير المسلمين قد سطروا ذلك في كتبهم ومقالاتهم، وفي مصر يطلع د.يعقوب صروف مُنشئ مجلة «المقتطف» على كتاب إعجاز القرآن فيقول: «يجب على كل مسلم عنده نسخة من القرآن أن تكون عنده نسخة من هذا الكتاب». ومن الأدباء غير المسلمين الذين أشادوا بكتاب إعجاز القرآن نصيف اليازجي في مقدمة كتابه «نجعة الرائد» والشاعر الكبير خليل مطران الذي كان يلقب بشاعر القطرين.

ومصطفى صادق الرافعي ابن الشيخ عبدالرازق بن سعيد بن أحمد بن عبدالقادر الرافعي، أحد أبناء الأسرة الرافعية الكريمة التي تقاسمت الإقامة بين طرابلس الشام ومصر، شأنها في ذلك شأن كثير من الأسر العربية

التي كانت تتفرق في أقطار الأمة الواحدة، والمشهور أن أول رافعي وفد إلى مصر من لبنان هو الشيخ محمد طاهر الرافعي، وكان ذلك سنة ١٣٤٣هـ- ١٨٢٧م، ثم تبعه بعد ذلك آخرون من أسرته، وكانوا جميعًا معروفين بالأدب والدين، وتنشئة صغارهم على الثقافة وحب التعلم، ومن ثم كان عدد غير قليل من «الرافعيين» المصريين يتولون أمر القضاء الشرعي، مما أدخل الفزع في قلب عميد الاستعمار البريطاني في مصر وهو المعروف باللورد كرومر. ومن هؤلاء كان الشيخ عبدالرازق بن سعيد والد الأديب الكبير «مصطفى»، ومنهم عمه الشيخ عبداللطيف الرافعي الذي ولي الإفتاء في الإسكندرية، وهو والد علم السياسة والصحافة أمين الرافعي، والمؤرخ القانوني الوطني عبدالرحمن الرافعي، وبالمثل كان عدد من الرافعيين الطرابلسيين يتولون الإفتاء والقضاء في طرابلس، منهم رأس الأسرة الشيخ عبدالقادر الرافعي والشيخ عبدالغني الرافعي، وولده الشاعر المبدع عبدالرحمن بن عبدالغني الرافعي، ومنهم عبدالحميد الرافعي الشاعر الذي كان يلقب بـ «بلبل سورية»، وكان قد وفد إلى مصر والتحق بالأزهر ثم أكمل تعليمه في كلية الحقوق بالاستانة، وله عدة دواوين من الشعر.

ولد الرافعي سنة ١٨٨٠م في قرية من ريف مصر هي بلدة «بهتيم» بمحافظة القليوبية، وأخذ يتنقل مع أبيه من بلد إلى آخر حتى انتهى المقام بالأسرة في مدينة طنطا وفيها أخذ يطلب العلم، ويتنفس المعرفة، ويغترف من ينابيعها ما استطاع إلى ذلك من سبيل، ولما عجزت موارده المالية عن أن تمده بما ييسر له الالتحاق بالجامعة المصرية التحق بوظيفة كتابية بمحكمة طنطا، وجعل قسمًا من وقته لعمله، وبقيته للقراءة في

كاتب صحفي

تراث العربية والكتابة في كبريات المجلات الأدبية، وتأليف الكتب التي بذل فيها من الجهد ما جعلها خليقة بالاحترام، جديرة بتقدير العلماء.

ولأن الرافعي من مواليد العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر مثله في ذلك مثل بقية الرواد النابهين من مفكري القرن العشرين وشعرائه وكتابه، فقد انتظم في عقدهم، وتقدم صفوفهم بإنتاجه الوفير في فروع الآداب والعلوم الإسلامية، وهذه الكوكبة من علماء العربية وأدبائها الذين ولدوا في أواخر القرن التاسع عشر وعاشوا نصف القرن العشرين، تمثل ظاهرة لم تتكرر كثيرًا في مسيرة الفكر العربي، وكانت هذه الشخصيات تمثل تيارات مختلفة، واتجاهات متباينة متصادمة، ومذاهب متباعدة متضادة، ولم يكن ذلك غريبًا، لأنه في تلك الفترة الزمنية لم تطرق الثقافة الوافدة الأبواب في لين ويسر، وإنما جاءت مقتحمة ومتحفزة مهاجمة، وكان الموقف أكثر شدة لدى أصحاب الثقافة المحلية، فكانت المحافل الثقافية في العالم العربي عامة، وفي مصر خاصة، حافلة بالصدام والحرب، وإن كانت بغير دماء.

معايشة الرافعي للقرآن حفظًا وتفسيرًا وفقهًا شكل معالم في حياته يجعلنا نُطلق عليها المعالم القرآنية

وكانت الدعوة إلى الفرعونية وافرة النشاط، والتحريف والإلحاد يسفر عن وجهه في جرأة وعدم استحياء، وكان التشكيك في عروبة مصر يجد من يتخذه عقيدة ومذهبًا، وكانت الدعوة إلى العامية والتحامل على الفصحى صادرة عن أسماء كبيرة، بل وجدت الدعوة إلى هجر الحروف العربية واستعمال الحروف اللاتينية من يدعو إليها داخل عرين اللغة نفسها وهو مجمع اللغة العربية، وفي مواجهة هذه التيارات الغربية الجريئة المقتحمة الأبواب بلا استحياء، كان على أصحاب الدار أن يواجهوا هذه الهجمات الشرسة مسلحين بأصالة عقيدتهم، وسيادة لغتهم، وبسالة موقفهم، بحيث انتهت المعركة الطويلة بانتصار الأصالة، وظفر الأصلاء، وبقيت مصر وجيرانها على عقيدتهم سليمة صحيحة وعلى قوميتهم عربية خالصة، وعلى لغتهم فصيحة صافية مثمرة شامخة.

وكانت أشد المعارك التي خاضها الرافعي ضراوة هي تلك التي وقعت بينه وبين طه حسين، وهي ما يطلق عليها معركة كتاب «في الشعر الجاهلي» بسبب التعريض بالقرآن الكريم وبجوانب من تاريخ الأدب، وكان هو الذي فجر هذه المعركة باعتبار أنها تمس القرآن الكريم، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مسًّا مباشرًا، وكان الرافعي فارس الحلبة وقائد الكتيبة، فكتب وحده بضعة وعشرين مقالًا؛ الأمر الذي دفع القضاء إلى التدخل وانتهى الأمر بمصادرة الكتاب واعتذار طه حسين لرئيس الجامعة.

ومن معارك الرافعي التي لا يصح إغفالها، معركته ضد أنصار العامية الذين كان على رأسهم أحمد لطفي السيد، الذي كان يلقب بـ «أستاذ الجيل»، فقد كان يدعو إلى استعمال اللهجة العامية المصرية تحت شعار أسماه «تمصير اللغة»، مما اضطره إلى أن يتحول عن فكرة استعمال العامية إلى فكرة أخرى يظن أنها أقرب إلى القبول، فدعا إلى ما أسماه «المصالحة بين العامية والفصحى»، ولكن الرافعي ظل يلاحقه بمقالاته التي حملته على الرجوع عن فكرته، ثم أصبح بعد ذلك أحد سدنة اللغة الفصيحة حين صار رئيسًا لمجمع اللغة العربية بمصر.

وحول منهج الرافعي يذكر الشكعة أن أهم أسسه الحفاظ على اللغة العربية والحرص على نقاء أسلوبها وبهاء بلاغتها، بحيث صار يلقب بـ «صاحب الجملة القرآنية» لأصالة بنية جملته، واستقامة ألفاظها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى براعة اختيار موضوعات مقاله، أيضا يُعد الرافعي أبا المقالة الإسلامية ورائدها، والمدافع عن القرآن وأركان الإسلام عقيدة وشريعة، ويعتبر العدوان على اللغة العربية عدوانًا على الإسلام، ويعد الدفاع عنها دفاعًا عن الإسلام، لأنها لغة القرآن، كتاب الله ووحي السماء الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومعايشة الرافعي للقرآن الكريم حفظًا وتجويدًا وتفسيرًا وفقهًا شكل معالم في حياته يجعلنا نُطلق عليها المعالم القرآنية، وهذه يمكن استبيانها من كتابه «إعجاز القرآن» على النحو التالي:

المَعلَم الأول، ما سجله في طول كتابه «إعجاز القرآن» وما عرضه من براهين علمية وعملية وتاريخية ومنطقية عن عجز العرب- أمة البلاغة والفصاحة والمحاجة- عن أن

يأتوا بسورة من مثله، وهو موضوع موصول الأسباب بالزمان منذ أن نزل الوحي به على خاتم الأنبياء سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ إلى زماننا هذا الذي نعيشه بالعقل والإقناع والإيمان.

وأما المعلم الثاني، فهو ظاهرة ما أطلق عليه خصوم الإسلام «التكرار»، يستوي في ذلك خصوم الإسلام القدامى الذين اهتدى بعضهم، وخصوم الإسلام المعاصرون وخاصة أولئك الذين يطلق عليهم صفة المستشرقين.

وأما المعلم الثالث، فهو الرد على فرية «الصرفة» في الإعجاز القرآني، ولقد فصل الرافعي القول في هذا الموضوع تفصيلًا وفي أكثر من موضع وفي عدد غير قليل من صفحات كتابه.

إن أول من ابتكر مصطلح «الصرفة» هو إبراهيم النظام أحد أكثر المعتزلة شهرة وذكاء، والمصطلح في واقع أمره يحمل فكرًا خبيثًا، إن لم يكن كفرًا مقنّعًا، وإن مقتضى معنى «الصرفة» هو أن الله صرف العرب عن أن يقولوا كلامًا في مستوى بلاغة القرآن، وأنه لولا أن الله صرفهم عن ذلك لكانوا قد جاءوا بما هو مماثل له فصاحة وبلاغة وبيانًا.

ويتمثل المعلم الرابع في أن من يسمع القرآن مرتلًا بصوت جميل، سواء أكان هذا المستمع عربيًا أو أعجميًا، لا يفهم العربية، سرعان ما يخفق قلبه خفقة الإيمان التي تقوده في آخر أمره إلى الإيمان به كتابًا مُنزلًا من عند الله لا يلبث أن يؤمن، ويدلف في رفق إلى ساحة الإسلام المهيبة، مرتديًا ثوب الإيمان بالله ربًا واحدًا وبمحمد ﷺ رسولًا ومعلمًا وقائدًا.

ويتمثل المعلم الخامس في ريادة الرافعي للتفسير العلمي للقرآن الكريم، لقد خصص الرافعي في كتابه فصلًا نفيسًا جعل عنوانه «القرآن والعلوم» خصصه للعلوم العربية وأضاف إليها بعض العلوم الكونية الموصولة الأسباب بالقرآن الكريم وبعض العبادات والمواقيت، ثم أفرد فصلًا تاليًا بعنوان «سرائر القرآن»، ثم فصلًا ثالثًا خصه بتفسير عدد من آيات خلق الإنسان.

وأما المعلم السادس من معالم كتاب «إعجاز القرآن» للرافعي، ولعله أهمها وأعمقها، هو ما قد اصطلح علماء القرآن على تسميته باسم «المناسبة» التي يجمل الرافعي تعريفها بقوله: من أعجب ما اتفق في هذا القرآن من وجوه إعجازه أن معانيه تجري في مناسبة الوضع وإحكام النظم مجرى ألفاظه، وذلك بربط كل كلمة بأختها، وكل آية بنظيرتها، وكل سورة بما تليها.

شواهد نحوية في الرسالة للشافعي

هاني إسماعيل

لا يخفى على أحد شهرة الشافعي في الفقه، التي ذاعت وملأت الآفاق، «فكان أفقه الناس في كتاب الله وفي سنة رسول الله»، على حد تعبير الإمام أحمد بن حنبل (١) رضي الله عنهما، فهو صاحب مذهب فقهي من المذاهب الأربعة المجمع عليها في الفقه الإسلامي.

ومما زاده شهرة على شهرته، ذبُّه عن حياض الحديث الشريف، وزوده عن حجيته وحجية الإجماع في الفقه وأصوله، حتى سماه أهل مكة «ناصر الحديث»، وأكد ابن حنبل هذا حين قال: «لولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث»(٢).

بالإضافة إلى أن للشافعي السبق في تدوين علم أصول الفقه، «فهو المبتكر لهذا العلم بلا نزاع، وأول من صنف فيه بالإجماع» (٣)، فكتابه «الرسالة» هو أول مصنف يتناول علم أصول الفقه كعلم مستقل بذاته.

وفي هذه «الرسالة» تتجلى صورة الشافعي اللغوي الحجة الثبت، مما يجعلنا نسترجع أقوال بعض علماء العربية فيه، فالأصمعي (ت: ٢١٦هـ) ذلك العالم اللغوي يصحح أشعار الشنفري على الشافعي (٤)، فضلا عن أشعار هذيل، إذ يقول: «صححت أشعار الهذليين على فتى من قريش، يقال له محمد بن إدريس»(٥).

أما عبدالملك بن هشام اللغوي (ت: ٢١٣هـ) فيقول: «الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة» (٦)، ويؤكد هذا أبوعثمان المازني (ت: ٢٤٩هـ)، شيخ النحاة في زمانه، يقول: «الشافعي حجة عندنا في النحو»(٧)، لذا يتعجب ثعلب (ت: ٢١٩هـ) من هؤلاء الذين ينقلون الشواهد اللغوية التي يرويها الشافعي دون النظر إلى لغة الشافعي نفسه، فيقول: «العجب أن بعض الناس يأخذون اللغة عن الشافعي، وهو من بيت اللغة، والشافعي يجب أن يؤخذ منه اللغة، لا أن يؤخذ عليه اللغة (٨)، يعني يجب أن

باحث لغوي

يحتجوا بألفاظه نفسها لا بما نقله فقط من أشعار العرب وكلامهم.

ولو نظرنا في كتاب «الرسالة» للشافعي لرأينا صحة ما يقول به ثعلب والآخرون من علماء اللغة والنحو، فالكتاب مليء بالشواهد اللغوية من كلام الشافعي نفسه، ومن فضل الله تعالى علينا أن وصلت إلينا نسخة من كتاب الرسالة بخط الربيع، راوية الشافعي وجامع كتبه، كتبت في حياة الشافعي- عليه رحمة الله- وقد قام بتحقيقها العلامة أحمد محمد شاكر (٩)، ومن أمانته العلمية- التي تميز بها- حافظ على النص كما هو مدون دون تدخل منه، وأضاف إلى هوامشه الشروح والتعليقات المفيدة التي استفدنا منها كثيرًا في كتابة هذه السطور.

وإليكم بعض النماذج من هذه الشواهد النحوية التي وردت في كتاب الرسالة:

١- حذف النون من الأفعال الخمسة دون ناصب أو جازم للتخفيف قال الشافعي ص٥٦٢: «وقال نفر من أصحاب النبي ﷺ: الأقراء الحيض، فلا يحلوا المطلقة حتى تغتسل من الحيضة

الثالثة»، والشاهد قوله: «فلا يحلوا» إذ أن لا نافية غير ناهية، فكان الأصل أن يقول فلا يحلون بثبوت النون ولكنه حذفها للتخفيف.

ويقول أيضًا ص٥٧٩: «ولقد وجدنا أهل العمل يأخذون بقول واحدهم مرة ويتركونه أخرى ويتفرقوا في بعض ما أخذوا به منهم»، والشاهد قوله: «ويتفرقوا» فهو محذوف النون بغير جازم أو ناصب، وبالرغم من أن الأفعال قبله مثبوتة النون إلا أنه حذف النون للتخفيف.

٢- نصب اسم كان عندما يكون خبرها جارا ومجرورًا أو ظرفًا، ففي ص١١٧: «ورواه عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ انه قال: خمس صلوات كتبهن الله على خلقه، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافًا بحقهن: كان له عند الله عهدًا أن يدخله الجنة»، والشاهد في قوله: «عهدًا» بالنصب مع أنها اسم كان مؤخر وجوبًا، والرفع فيها الأصل، ولكن الشافعي ينصب اسم كان عندما يكون خبرها جارًا ومجرورًا أو ظرفًا.

ومن ذلك كلمة «سُننًا»، في قوله ص ١٥٨: «وقد كانت لرسول الله في هذا سُننًا ليست نصا في القرآن»، وفي قوله ص١٧٤: «ثم كانت لرسول الله في بيوع سوى هذا سُننًا».

٣- إهمال عمل «لم» الجازمة ورفع الفعل بعدها، ومن شواهده قوله ص ٢٧٥: «وقد قال بعض التابعين: لقيت أناسا من أصحاب رسول الله ﷺ فاجتمعوا في المعنى واختلفوا عليّ في اللفظ، فقلت لبعضهم ذلك، فقال: لا بأس ما لم يحيل المعنى».

الشاهد قوله: «لم يحيل» إذ أنه لو جزم لقال لم يحل بحذف الياء لالتقاء الساكنين: ساكن المد، وسكون اللام للجزم، فلما لم يجزم لم يحذف الياء، ومنها قوله ص٣١١: «وخطبها على أسامة بن زيد بعد خطبتهما: فاستدللنا على أنها لم ترضى، ولو رضيت واحدًا منهما أمرها أن تتزوج من رضيت».

والشاهد قوله «لم ترضى» اذا أنه لم يحذف حرف العلة لأنه أهمل عمل لم، وفي ذلك سند لمن قال: إن إهمال عمل «لم» لغة من لغات العرب، وليس للضرورة الشعرية.

هذا قليل من جم كثير، تفيض به كتابات الشافعي وعلى الأخص رسالته، فلغة الشافعي لغة عربي قح، لم تصبه هجنة أو لكنة، والتي تكشف لنا عن الشافعي اللغوي، علاوة على الشافعي الفقيه.

هوامش

١- ابن حجر العسقلاني: توالي التأسيس، تحقيق عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦، ص٨٤.
٢- السابق: ٨٥.
٣- عبدالرحيم بن الحسن الإسنوي: التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تحقيق د.محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ص٤٥.
٤- ابن حجر العسقلاني مصدر سابق: ص٩٩.
٥- تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د.محمود محمد الطناحي، د.عبدالفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، ص ١٦١.
٦- ابن أبي حاتم الرازي: آداب الشافعي ومناقبه، تحقيق عبدالغني عبدالخالق، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٣، ص ١٠١.
٧- تاج الدين السبكي: مصدر سابق، ص ١٦١.
٨- مقدمة الرسالة لأحمد محمد شاكر: ص١٤، وانظر: كتاب الرد على الانتقاد على الشافعي في اللغة للبيهقي، تحقيق عبدالكريم بكار، دار البخاري، بريدة، ص ٣٠.
٩- طبعة دار التراث، الطبعة الثانية ١٩٧٩.

المصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية

د. خالد فهمي

أنتجت الحضارة الإسلامية نظرية عسكرية متفردة الجوانب منذ اليوم الذي فرض الله سبحانه فيه الجهاد والقتال، وكان نزول قوله تعالى ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ (الحج: ٣٩) مفتتحًا واضحًا بعد زمان طويل من الدعوة التي ترفع شعار «كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة»، وهي حقبة امتدت لتغطي مساحة البعثة المكية كاملة، وامتدت ظلالها مدة سنتين بعد الهجرة النبوية المشرفة تقريبا، يقول القرطبي في الجامع (٦٨/١٢) «لما هاجر نزلت ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا...﴾ وهي أول آية نزلت في القتال»(١) افتتح بها عهد الإعداد له.

منذ هذا التاريخ البعيد تشكلت أبعاد النظرية العسكرية الإسلامية بنطاقاتها المختلفة من أصول حاكمة وأخلاق مقيدة، ومعرفة منظمة، وواكب هذا التطور والتشكل جهاز اصطلاحي كاشف عن هذه الحدود والأبعاد، وهو الأمر الذي يظهر أن تاريخ ظهور مصطلحات العسكرية الإسلامية يبدأ من الإذن بالقتال، وإن كان ثمة ألفاظ عسكرية موروثة من الحقبة الجاهلية، ولكن وهبها من روحه الإسلامية، وصبغها بصبغته ومبادئه.

مصادر مصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية

أولا: المصادر التاريخية

العناية بمصطلحات العسكرية العربية، جمعًا وشرحًا وتصنيفًا، لا يمكنها أن تتغافل عن مصنفات التاريخ العربي بحال من الأحوال، ويمكن تمييز عدد من أنواع المصنفات التاريخية المعتبرة وأهميتها في

القرآن الكريم يزخر بالعديد من الألفاظ المتعلقة بالجهاد والقتال والتعبئة والتخطيط

هذا السياق كما يلي:

١- المصنفات التاريخية المعنية في المقام الأول بالتأريخ لأيام العرب وحروبهم معًا قديمًا وحديثًا، ولاسيما مصنفات التاريخ العام، كتاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير.

٢- مصنفات السيرة النبوية بوجه عام من لدن ابن هشام وإلى الصالحي الشامي صاحب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، مع عدم إهمال المؤلفات المعاصرة في هذا الميدان.

٣- مصنفات الغزوات تعيينًا، من مثل المغازي للواقدي، والغزوات لابن حبيش، والاكتفا في مغازي الرسول والثلاثة الخلفا للكلاعي.

٤- مصنفات الفتوح الإسلامية، من مثل فتوح البلدان للبلاذري، والفتوح لابن أعثم الكوفي وغيرهما.

٥- مصنفات الحكومة الإسلامية أو إدارة الدولة عند المسلمين، من مثل تخريج الدلالات السمعية للخزاعي، وشرحه وتطويره المسمى بالتراتيب الإدارية للكتاني.

٦- المصنفات الموسوعية العربية، كنهاية الأرب للنويري، وصبح الأعشى للقلقشندي.

٧- مصنفات التراجم الشخصية المعنية بالشخصيات العسكرية تعيينا، على ما نرى في سيرة صلاح الدين لابن شداد، والاعتبار لأسامة ابن منقذ.

ثانيا: المصادر الشرعية

القرآن الكريم مليء بعدد ضخم من الألفاظ المتعلقة بالجهاد والقتال والتعبئة، والتخطيط، ومواجهة العدو، والجغرافية العسكرية، مما هو ظاهر في عمل المرحوم محمود شيت خطاب، مما سنقف عليه بعد قليل.

ولا تقل مصنفات السنة الشريفة أهمية في هذا الميدان، ذلك أن عددًا من أبواب كتب السنة تشتمل على ألفاظ عسكرية كثيرة، ولاسيما في أبواب الجهاد والفتن.

ثالثا: المصنفات الفنية

١- مصنفات القنص والصيد، وهي مفيدة جدا في استخراج عدد من المصطلحات العسكرية العربية المتعلقة بالتدريب والخطط على وجه التعيين، بالإضافة إلى ألفاظ الأدوات وألفاظ الطرق التي كانت مستعملة في الصيد والقنص... إلى غير ذلك.

٢- مصنفات الأسلحة عند العرب، وهي مفيدة جدًا في استخراج المصطلحات العسكرية الخاصة بالأسلحة والذخيرة، ومفيدة في بيان ما كان مستعارا من غير العرب، ومن أشهر هذا النوع من المصنفات العسكرية الخاصة بصناعة الأسلحة عند المسلمين كتاب «الأنيق في المنجنيق» لابن

أستاذ اللغة في جامعة المنوفية - مصر

أرنبغا الزردكاش» .

٣-مصنفات المناصب الحربية، وهي مهمة في الكشف عن جوانب الفكر العسكري الإسلامي وما قدمه من أفكار حول الخطط العسكرية والآلات، ومن الكتب المهمة في هذا المجال كتاب الفروسية والمناصب الحربية، لنجم الدين الرماح المعروف بالأحدب .

رابعا: المعاجم اللغوية العربية

ضرورة العناية الفائقة بفرع من المعاجم العربية الخاصة بالموضوعات العسكرية، مما يسمى في تاريخ المعجمية العربية بالرسائل اللغوية الصغيرة، أو المعاجم الموضوعية ذات الموضوع الواحد، مثل كتاب السلاح لأبي عبيد، وأسماء السيف لابن خالويه، والرسائل الخاصة بالنبل والسهام والرماح.

خامسا: مؤلفات رواد النهضة الإسلامية المعاصرة

كان من المجالات التي لمسها هؤلاء الرواد ضرورة التنبيه إلى خطر إزاحة عدد من المصطلحات المتعلقة بالهوية الإسلامية، ومنها عدد من المصطلحات العسكرية المنبثقة من الحضارة العربية والإسلامية؛ فظهر التحذير من إماتة ألفاظ من مثل: الجهاد لمصلحة الدفاع، والمجاهد لمصلحة الجندي أو العسكر، والمرشد لمصلحة ألفاظ أجنبية أو معربة للفظ مكافئ دال على رتبة عسكرية بعينها.

ومن المهم جدا عدم إهمال أمثال كتابات محمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا والعقاد ومالك بن نبي وعلال الفاسي، والبشير الإبراهيمي، والكواكبي وغيرهم حول شروط النهضة والتغيير والإصلاح.

وظائف المصطلحات العسكرية

١- الوظيفة الدينية

والإيمانية؛ بمعنى أن النظر إلى حقل المصطلح العسكري في لغة العرب يصور ما صبغه الإسلام لهذا الجهاز الاصطلاحي؛ ذلك أن عددا من الألفاظ العسكرية أصابها قدر ضخم من التطور أو التغير على مستوى الدلالة والمعنى، بحيث يمكن قياس فارق ما بين دلالات المصطلح العسكري الإسلامي ودلالات المصطلح العسكري العربي قبل الإسلام؛ وقراءة ألفاظ من مثل: المثلة قائد إلى تصور منظومة الأخلاق التي أحاطت بعدد كبير من ألفاظ هذا الميدان المعرفي.

٢- الوظيفة الحضارية والمعرفية

يؤدي معجم المصطلحات العسكرية دورًا حضاريًا بما يعكسه من علامات تصب في هذا الباب المهم؛ ذلك أن الألفاظ العسكرية في العربية تعكس ما طوره المجاهد المسلم في مجالات العمل العسكري المختلفة بدءًا من الإعداد والتعبئة، وانتهاء بالنصر أو بتوقف القتال.

٣- الوظيفة اللغوية

وهي من الوظائف الهامة جدا في السياق المعاصر، لاسيما في مواجهة عدد من الأصوات المنتمية معرفيا لحقول العلم التطبيقية والتجريبية والتقنية، والتي لا ترى في الأفق قدرة للعربية على استيعاب المنجز المعرفي الغربي في هذه الميادين والتفاعل معها والتعبير عنها؛ ذلك أن تأمل ما وضعه اللسان العربي من تسميات ومصطلحات لعدد ضخم جدا لتصورات ومفاهيم منضوية تحت العلوم العسكرية، وما استطاعت أن تستوعبه هذه المفاهيم وتعربه مما نقل من تسميات ومصطلحات عسكرية من الأمم الأخرى لهو أمر يدعو إلى الإعجاب بهذه اللغة.

٤- الوظيفة المعجمية التاريخية

ثمة تأريخ لعدد كبير من الابتكارات في الميدان العسكري، في معاناة العرب المسلمين في جهادهم الطويل دفعا أو طلبا، وهو ما واكبه استحداث ألفاظ دالة معبرة عن هذه المبتكرات، مما يسهم في خدمة المعجمية التاريخية العربية في الحقل المتخصص.

في المعجمية المعاصرة..

مع الإقرار بالآثار السلبية لتغييب عدد كبير جدا من المصطلحات العسكرية العربية- لأسباب كثيرة- عن الاستعمال العسكري المعاصر، لعل أهمها روح التبعية التي خلفها الاحتلال الغربي في البلدان العربية المختلفة، فإن ثمة بعضا من ملامح العناية بالمصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية في المعجمية المختصة المعاصرة، نقف عند تجربتين تعكسان وعيا بقيمة هذا التراث الممتد لألفاظ العسكرية العربية الإسلامية، وهما:

١- «معجم المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم»، لمحمود شيت خطاب، يرحمه الله، والذي صدر عام (١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) في مجلدين، الأول يبدأ بالهمزة وينتهي بالطاء، والثاني يبدأ بالعين وينتهي بالياء، فيما يقرب من مائة وألف صفحة.

٢- «معجم السفن الإسلامية»، لدرويش النخيلي، الذي صدر بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٧٤م.

وقد اعتنى فيه ببيان أنواع السفن الحربية، وهو ما يدخل في الميدان الذي نعرض لأشكال العناية به في اللسان العربي، وقد رتبها جميعًا على حروف المعجم، وفق الترتيب الهجائي الشائع طلبًا للتيسير، وقد كان صانع هذا المعجم حريصًا على بيان السفن الحربية، بالنص تعيينا لمستوى استعمالها.

خصائص الجملة القرآنية

د.سامي عطا

من الأمور التي لا تحتاج إلى مزيد بيان أن الجملة القرآنية قد اختيرت بعناية، ثم نسقت في سلك واحد، فلا ضعف في تأليف، ولا تعقيد في نظم، ولكن حسن تنسيق، ودقة ترتيب.

وخير ما توصف به الجملة في القرآن أنها بناء قد أحكمت لبناته، ونسقت أدق تنسيق، لا تحسُّ فيها بكلمة تضيق مكانها، أو تنبو عن موضعها، أو لا تتعايش مع أخواتها، حتى صار من العسير، بل من المستحيل أن تغير كلمة بكلمة، أو تستغني فيها عن لفظ، أو أن تزيد فيها شيئا، وصار من يريد معارضة جملة في القرآن، أن يرجع بعد طول المطاف إليها، كأنما لم يخلق الله لأداء تلك المعاني، غير ما اختاره القرآن لهذا الأداء. قال ابن عطية عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (٥٤١هـ): «وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد، ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة» (١)

يقول مصطفى صادق الرافعي: «وإنك لتحار إذا تأملت تركيب القرآن، ونظم كلماته في الوجوه المختلفة، التي يتصرف فيها، وتقعد بك العبارة إذا أنت حاولت أن تمضي في وصفه، حتى لا ترى في اللغة كلها أدل على غرضك، وأجمع لما في نفسك، وأبين لهذه الحقيقة، غير كلمة الإعجاز...» إلى أن يقول: «فترى اللفظ قارًّا في موضعه، لأنه الأليق في النظم، ثم لأنه مع ذلك الأوسع في المعنى، ومع ذلك الأقوى في الدلالة، ومع ذلك الأحكم في الإبانة، ومع ذلك الأبدع في وجوه البلاغة، ومع ذلك الأكثر مناسبة لمفردات الآية، مما يتقدمه أو يترادف عليه...» (٢)

والجملة القرآنية تتبع المعنى النفسي، فتصوره بألفاظها لتلقيه في النفس، حتى إذا استكملت الجملة أركانها، برز المعنى ظاهرًا، فليس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظية فحسب، ولكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الجملة ضرورة لا محيد عنها، وإلا اختل وانهار.

خذ مثلا قوله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ (البقرة:٧٢١) تجد إسماعيل معطوفًا على إبراهيم، فهو كأبيه يرفع القواعد من البيت، ولكن تأخره في الذكر يوحي بأن دوره في رفع القواعد دور ثانوي، أما الدور الأساس فقد قام به إبراهيم، قال في «الكشاف»: «قيل: كان إبراهيم يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة» (٣).

وفي قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ (البقرة:٥٤) «تجد المستعان عليه في الآية غير مذكور، لا تخففا من ذكره، ولكن ليوحي هذا الحذف إلى النفس أن كل ما يقوم أمام المرء من مشقة، وما يعترضه من صعوبات، يستعان على التغلب عليه بالصبر والصلاة»(٤)

دراسة تطبيقية لاستخدام القرآن للجملة بنوعيها

تتألف الجملة من ركنين رئيسين هما المسند والمسند إليه، وهذان الركنان هما عمدة الكلام.

ويظهر تأليف الجملة. تبعا للمسند . بصورتين: فعل مع اسم، أو اسم مع اسم، وبالتعبير الاصطلاحي: فعل وفاعل أو نائبه، أو مبتدأ وخبر، نحو: أقبل سعيد، وسعيد مقبل، وكل التعبيرات الأخرى إنما هي صور أخرى لهذين الأصلين.

والصورة الأساسية للجمل التي مسندها فعل، أن يتقدم الفعل على المسند إليه، ولا يتقدم المسند إليه على الفعل إلا لغرض يقتضيه المقام.

والصورة الأساسية للجمل التي مسندها اسم، أن يتقدم

باحث أردني

المسند إليه على المسند، أو بتعبير آخر أن يتقدم المبتدأ على الخبر، ولا يتقدم الخبر إلا لسبب يقتضيه المقام أو طبيعة الكلام.

والفارق بين هاتين الصورتين: أن الجملة التي مسندها فعل إنما تدل على الحدوث، تقدم الفعل أو تأخر، وقد تفيد الاستمرار بالقرائن، وهذا يكون في الفعل المضارع فقط، كما في قوله تعالى: ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض...﴾ (فاطر: ٣)، فالرزق من الله متجدد ومستمر، لا ينقطع ولا يزول.

أما الجملة التي مسندها اسم فإنها تدل على الثبوت، وربما تفيد الدوام بالقرائن.(٥) وإذا كان وضع الجملة الاسمية على إفادة الثبوت، ووضع الجملة الفعلية على إفادة التجدد، فإن الجملة الاسمية تدل على معنى أوفى مما تدل عليه الجملة الفعلية، ولهذا ذهب البلغاء إلى أن الجملة الاسمية تفيد تأكيد المعنى، وقدتؤثر من أجل هذا في بعض المقامات على الجملة الفعلية(٦).

وقد يعدل القرآن أحيانًا عن الفعل إلى الاسم، فقد يكون الأصل أن يعبر عن الحدث بالفعل، ومع ذلك يؤتى بالاسم للدلالة على الثبوت. قال تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة: ٣٠)، فهو لم يجعله بعد، ولكن ذكره بصيغة اسم الفاعل للدلالة على أن الأمر حاصل لا محالة، فكأنه تم واستقر وثبت.

من جميل استعمال القرآن للفعل والاسم أنه يستعملهما استعمالاً مناسبًا مع وقوع الحدث في الحياة، فإذا كان مما يتكرر حدوثه ويتجدد استعماله، استعمله بالصورة الفعلية، وإن لم يكن كذلك استعمله بالصورة الاسمية.

فمن ذلك مثلاً: «استعمال القرآن للفعل «ينفق»، فإنه يستعمله بالصيغة الفعلية، لأن الإنفاق أمر يتكرر ويحدث باستمرار، قال تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (البقرة: ٢٧٤)، فاستعمل الفعل المضارع الدال على التجدد والحدوث، لأن الإنفاق أمر يتجدد. ولم ترد بالصورة الاسمية إلا في آية واحدة، هي قوله تعالى: ﴿ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار...﴾ (آل عمران: ١٧)، وهو في سياق أوصاف المؤمنين الدالة على الثبات»(٧).

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبًا﴾ (الكهف: ١٨).

فتعبيره بالأسماء في قوله: ﴿أيقاظا، هم رقود﴾، ﴿كلبهم باسط﴾، قد دل على دوام هذه الأفعال، وثبوت تلك الهيئات، واستمرارهم عليها، فالكلب باسط ذراعيه، ثابت ومستمر على تلك الهيئة، وهم مستمرون في رقودهم أيقاظا، أي: دائمي اليقظة منتبهين، لا تغمض أعينهم البتة. إن إيثار التعبير بتلك الأسماء قد كشف عن هيئة أهل الكهف، وأفصح عن ثباتهم على الهيئات المذكورة، ولماكان التقليب يتجدد، ويقع حينا بعد حين، لئلا تأكل الأرض من أجسادهم، فقد عبر عنه بالفعل المضارع ﴿نقلبهم﴾، الدال على التجدد والحدوث.

وانظر في قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ (التوبة: ٤٣). لقد عبر عن المنافقين بالاسم ﴿الكاذبين﴾الدال على الثبوت والدوام، لينبئ أن هذه عادتهم، فالكذب خلق ثابت فيهم، وصفة مستمرة دائمة لا تبارحهم، وأما المؤمنون: فقد عبر عنهم بالفعل الماضي ﴿صدقوا﴾، ليدل على أنهم حققوا الصدق وتحلوا به فلم يعدلوا عنه، وتأمل الفعلين ﴿يتبين لك﴾، ﴿وتعلم﴾، وما يدلان عليه من جلاء الصدق ووضوحه، وخفاء الكذب وكتمانه، فصدق المؤمنين يتبين للنبي ﷺ، وأما كذب المنافقين فيحتاج إلى علم حتى ينكشف ويظهر.

ومما أوردناه يتجلى لنا ما وراء التعبير بالاسمية والفعلية في النظم الكريم من أغراض ومعان يقصدإلى تحقيقها، ويتضح كذلك أن إفادة هذه الأغراض والدلالة على تلك المعاني، مرجعهما إلى دلالة الاسمية على الثبوت والدوام، ودلالة الفعلية على وقوع الفعل، أو على الحدوث والتجدد. كما ندرك أن الجملة القرآنية قد تكونت من كلمات قد اختيرت بعناية، ثم نسقت في سلك واحد، فلا ضعف في تأليف، ولا تعقيد في نظم، ولكن حسن تنسيق ودقة وترتيب. وهذا دليل من دلائل إعجازه، ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

مراجع

١. د.نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، مع نقد وتعليق، ص٩٥.
٢. انظر: مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٢٨١، ٢٨٢.
٣. محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف. ج١/ ص١٦٣.
٤. د. منير سلطان: بلاغة الكلمة، دار المعارف، القاهرة، ص٨٠١.
٥. انظر: د.فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان، عمان، ص٢٩.
٦. للاستزادة انظر: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (٧٤٩هـ): الطراز. ج٢/ ص ٥٢.
٧. د. فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، جامعة بغداد، ١٩٨٩م. ص ٣٠.

الأستاذ العذري.. معلم لا نظير له

د.محمد حسان الطيان

لا أعرف في دنيا التعليم معلمًا يشبه الأستاذ أحمد المعتصم العذري المدني، إنه نسيج وحده، وفريد عصره في اسمه ولقبه، وشكله وظرفه، ونمط تعليمه وشدة أسره، بل في ترتيبه وتنظيمه.. وفي زرعه القيم والمثل والثقة في نفوس تلامذته.

وإذا أنا تحدثت عن العذري.. فعم أتحدث؟ وبم أبدأ؟ أعن قوة حضوره وشدة أسره لكل من يحضر مجلسه أو يجلس في صفه؟ أم عن عشقه للعربية والتفنن في نقل هذا العشق إلى قلوب تلامذته؟ أم عن استقامته ونزوعه إلى الكمال؟! أم عن قدرته على تلقيب كل طالب في الصف بلقب يتنزّل منه منزلة الثوب اللائق بالجسد؟! فمن عظيم الصف.. إلى بطل الإعراب.. إلى الزاهد الناسك.. إلى من شهدت منظمة اليونسكو بعلمه وفضله.. إلى شكري أفندي.. إلى صاحب المشكلات والفتن.. إلى المجرم التائب... إلى غير ذلك من ألقاب لا ينقضي منها العجب لدقة انطباقها على أصحابها، وشدة تأثيرها في نفوسهم.

أم أتحدث عن فكاهته، وسرعة بديهته، وحسن تأتيه وجمال إلقائه، وبراعة استهلاله، وبديع تصويره، ولطيف تمثيله، ووضوح شرحه، وتنوع أدواته وطرائقه في التعليم؟!

فتح لنا بوابة اللغة وأذاقنا منها أفانين البلاغة والبيان نتفيأ ظلالها ونرتع في رياضها

أم أتحدث عن ارتقائه بتلامذته، وزرعه أعظم القيم في نفوسهم، وتزكيتهم وتربيتهم على المثل والمكارم والمحامد، وتجنيبهم كل ما لا يليق بهم من المفاسد والمساوئ، والنزوع بهم نحو حمل الأمانة وتحمل المسؤولية وبناء الشخصية.

أم أترك ذلك كله وأستذكر الأبيات والأقوال والحكم والأمثال التي روّانا إياها فنُقشت في أذهاننا نقشًا، بل حفرت في قلوبنا وعقولنا حفرًا، وكانت تطرق أسماعنا أول مرة فصادفت قلوبًا فارغة فتمكنت واستحكمت.. وأصبحت أنشودة نتغنى بها، وأهزوجة نرددها، ومازالت لنا زادًا ومعينًا نمتح منها وننفق كيف نشاء، وهي تربو وتزيد ببركة أستاذنا العذري رحمه الله وأعلى مقامه.

فمن ذلك قول المتنبي:

وَإِذا كانَتِ النُفوسُ كِبارًا
تَعِبَت في مُرادِها الأَجسامُ

وقوله:

ذو العَقلِ يَشقى في النَعيمِ بِعَقلِهِ
وَأَخو الجَهالَةِ في الشَقاوَةِ يَنعَمُ

وقول الآخر:

لا تحسبِ المجدَ تَمْرًا أنت آكله
لن تبلغَ المجد حَتّى تَلْعَق الصّبرا

وقول الشابّي:

ومن يتهيّب صُعودَ الجبالِ
يَعِشْ أبَدَ الدّهرِ بَيْنَ الحُفَرْ

وقول بشار بن برد:

إذا كُنتَ في كُلِّ الذُنوبِ مُعاتِبًا
صَديقَكَ لَم تَلقَ الَّذي لا تُعاتِبُه

وقول البارودي:

وَأَقْتَلُ داءٍ رُؤْيَةُ العَيْنِ ظَالِمًا
يُسِيءُ وَيُثْلَى في المَحَافِلِ حَمْدُهُ

وقول شوقي:

وَما نَيلُ المَطالِبِ بِالتَمَنّي
وَلَكِن تُؤخَذُ الدُنيا غِلابا

وَما اِستَعصى عَلى قَومٍ مَنالٌ
إِذا الإِقدامُ كانَ لَهُم رِكابا

ومن ذلك الحكمة العظيمة:

«السعيد من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ بنفسه»

وقول رسول الله ﷺ:

«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» (الأمالي المطلقة).

أرأيت أعظم من هذه الأقوال وأشرف من هذي المعاني تُربّى بها النفوس، وتُزكّى بها العقول، وتُرقى بها الرجال، وتبنى بها الأمم؟!

لقد حفظناها وفهمناها في طراءة الصبا ويفاعة النشأة من فم أستاذنا العذري، زقّنا بها كما تُزقُّ العصافير بأجمل وقع وأحلى تدبير، وكان كل واحد منها موضوع تعبير كلفنا بكتابته بعد أن أنار لنا الطريق حوله، وشرح لنا كل ما يتعلق به.

والأهم من ذلك كله، والأولى من ذلك كله، أنه عرف مفتاح العربية فملّكنا إياه، وعرف بوابة اللغة ففتحها لنا على مصراعيها، وأذاقنا منها أفانين البلاغة والبيان، نتفيّأ ظلالها، ونعيش في رحابها، ونرتع في رياضها.

كل ذلك كان عندما خصص حصة أسبوعية من حصص مادة اللغة العربية الست للقرآن الكريم، يقرأه الطلبة جميعهم، مسلمهم

أستاذ اللغة في الجامعة المفتوحة - الكويت

ومسيحيهم، قويهم وضعيفهم، لم يثنه عن ذلك تدخل إدارة أو سلاطة زميل جاهل، أو شكوى إلى مديرية أو وزارة.. بل مضى في طريقه بعزيمة حذّاء ماضية، يقرئنا القرآن، ويصحح لنا تلاوته، ويقوم ألسنتنا بقراءته، ويجعل الحوافز لحفظ بعض سوره وآياته، ويتفنن في تحبيبنا بكل ما يتعلق به.

أذكر أن أستاذ اللغة الفرنسية اعترض على أستاذنا العذري لحمله جميع الطلبة على قراءة القرآن في حصة اللغة العربية، فنظر إليه أستاذنا شزرًا وقال: لو أدركت ما في ذلك من فائدة ونفع للطلبة جميعهم لغسلت فمك سبع مرات إحداهن بالتراب، ووقفت في طابور من زمرتك لتحظى بتقبيل اليد التي مكّنتكم من قراءة القرآن!

لقد كان أستاذ العربية العذري، وأستاذ الفرنسية الدُّمّر على طرفي نقيض، فبينا يرتقي الأول بنا إلى يفاع المكارم والأخلاق والشيم، ينحدر الآخر بنا إلى حضيض الشتائم والمصائب والنقم، وبينما يزرع فينا الأول كل الثقة والاعتزاز والإباء والشمم، يدمر الآخر فينا كل جميل ومبدع وخلّاق، لقد كنا معهما على حد قول شيخ المعرة:

أرأيت أعظم من هذه الأقوال وأشرف من هذي المعاني تربّى بها النفوس وتُزكّى بها العقول وتُرقى بها الرجال وتبنى بها الأمم؟!

مِنَ الناسِ مَن لَفظُهُ لُؤلُؤٌ
يُبادِرُهُ اللَقطُ إذ يُلفَظُ
وَبَعضُهُمُ قَولُهُ كَالحَصى
يُقالُ فَيُلغى وَلا يُحفَظُ

ونعم فقد حفظنا كل قول قاله العذري، واطرحنا دُبْر آذاننا كل قارصة تفوّه بها الآخر.

وإن أنسَ لا أنسَى يوم توّجني الأستاذ العذري عظيمًا للصف إثر نيلي أحسن درجة في امتحان اللغة العربية، كان ذلك في حفل بهيّ سلمني فيه مقاليد العظمة، وهي ثلاثة أمور: أولاها مصافحة تُؤذِن بحصانتي من كل عقوبة، وثانيها إهداء كتاب من تأليفه سماه «في الإنشاء العربي» أفدت منه أنا وأولادي وتلاميذي من بعدي، وثالثها تسليمي دفتر الحوافز والعقوبات أسجل فيه كل ما يمنح للمحسنين أو يحذف للمسيئين والمقصرين من درجات في حصص اللغة العربية.

وهكذا كانت حصص العربية تمضي، تتخطّفها أفانين الأستاذ العذري، في نشاط لا يعرف الكلال، وجدّ لا يعرف الملل، وتنوّع في الأداء يحيط بكل معارفَ اللغة من نحو وإملاء وإنشاء ونصوص وقرآن، فبينا ترى الأستاذ يشرح درسًا أو يقرأ نصًا إذا به يطرح سؤالًا يثاب من يجيب عليه بزيادة درجة أو أكثر، أو يطلب إعراب كلمة يتنافس الطلبة في تقدير إعرابها، وإذا ما فرغ من تقرير درس دعا إلى مسابقة أو مبارزة يخرج فيها طالب أو طالبان أو أكثر ليكتبوا جملة لا تخلو من نكتة نحوية أو إملائية على نحو يذكي القريحة ويقدح زناد الفكر ويحرك نوازع الإبداع.

أذكر أنه أملى علينا مرة قطعة تجمع صنوف الهمزات في الكتابة العربية، ما بقي واحد منا إلا حفظها وتمثّل بها وتندّر بألفاظها، حتى إني أمليتها أمس على ولدي الأصغر عبادة بعد أربعين عامًا من حفظي لها، وكم كان سروري عظيمًا حين لم يخطئ في كتابة أي حرف منها، وهاكها فاحفظها وتدرب على همزاتها:

«قال الكأكائي لقوم تكأكؤوا عليه لمَ تكأكأتم عليّ كتكأكئكم على ذي جنة، افرنقعوا عني» .

لقد كان الطلبة يتعلمون من هذه الطرائق والأفانين أضعاف ما يتعلمونه في دروسهم المقررة وكتبهم المؤلفة.

لهُ في أفانين الكلام تَصَرُّفٌ وفي الشّعرِ إحسانٌ وفي النّثر إجمَالَ على أن انتفاعنا بأستاذنا العذري لا يكمن في تنوع طرائقه وتفنن عطائه فحسب، بل يكمن، في ظني، بالمحبة التي غرست في قلوبنا له، إنه الحب الذي يصنع المعجزات، ومن لانت كلمته وجبت محبته، ومن ذهبت كلفته وجبت ألفته.

وقد ملك أستاذنا العذري قلوبنا والله بكلمته اللينة وابتسامته المشرقة وأريحيته الكريمة وبيانه البليغ وقلبه العامر بالإيمان والخلق النبيل! وبقدر ما أحببناه أفدنا من علمه وفضله ونبله وخلقه.

رحم الله تعالى أستاذنا العذري رحمة واسعة، وأسبغ عليه شآبيب مغفرته ورضوانه، وجزاه عنا وعن تلامذته وأمته خير ما جزى معلمًا عن طلابه، ووالدًا عن ولده، ومربيًا عن تلامذته، ومصلحًا عن أمته.. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

من يتحدث باسم الإسلام؟

بدر محمد بدر

الكتاب: من يتحدث باسم الإسلام؟
المؤلفان: جون إسبوزيتو وداليا مجاهد
المترجم: د.عزت شعلان
الناشر: دار الشروق بالقاهرة
عدد الصفحات: ٢٤٠
الطبعة: الأولى ٢٠٠٩

يطرح هذا الكتاب فكرة أساسية، يحاول من خلال فصوله الخمسة التأكيد على صحتها وأهميتها، وهي أنه يجب الاستماع إلى «الأغلبية الصامتة» من المسلمين في العالم، وليس فقط متابعة القيادات السياسية والدينية والتركيز عليها وهي التي قد تكون متطرفة في آرائها أو مواقفها بحسب الرؤية الغربية، وذلك من خلال أكبر وأطول استطلاع رأي عالمي قام به معهد «جالوب» الأميركي لأبحاث ودراسات الرأي العام، في ٣٥ بلدًا إسلاميًا في الفترة بين عامي ٢٠٠١- ٢٠٠٧.

الاستطلاع الذي تمت صياغته بشكل علمي ومنهجي كان يهدف إلى التعرف على الآراء الحقيقية للمسلمين، أي كيف يفكر أكثر من مليار ونصف المليار مسلم في العالم؟ وهم «الأغلبية الصامتة بالإكراه» حسب تعبير الكتاب.

والمؤلفان هما: ون إسبوزيتو الباحث والمفكر الأميركي المتخصص في الشأن الإسلامي، وصاحب الدراسات المنصفة- إلى حد ما- للمسلمين، والباحثة داليا مجاهد، المصرية المولد والنشأة، والمدير التنفيذي لمعهد «جالوب» في الشأن الإسلامي وكبيرة المحللين للبيانات، والتي اختارها الرئيس الأميركي باراك أوباما أخيرًا ضمن فريق مستشاريه عن العالم الإسلامي.

وفي تقديمه للكتاب يشير الأستاذ فهمي هويدي- الكاتب الإسلامي المعروف- إلى أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م لم تنشئ تلك الصورة المشوهة عن المسلمين، وإنما ضاعفت فقط من حجم التشوه الكامن في إدراك الأغلبية الساحقة من الغربيين إزاء الإسلام والمسلمين، وهذا الكتاب يساعد في إنصاف المسلمين وفضح الصورة المشوهة التي رسمت لهم في الإدراك الغربي، هذه الصورة التي عمقت من الفجوة بين المسلمين والغربيين، وفتحت الباب للترويج لدوام التوتر والصراع والصدام بين الجانبين.

لماذا العداء مع الغرب؟

لقد جمع المؤلفان كميات هائلة من البيانات التي يرون أنها تمثل آراء المسلمين في العالم، بحثًا عن إجابات عن: ما هو أصل العداء للأميركيين في العالم الإسلامي؟ ومن هم المتطرفون؟ وهل يريد المسلمون الديموقراطية، وإذا صح ذلك فكيف تبدو؟ وما الذي تريده النساء المسلمات؟ وأهم ما كشفت عنه هذه البيانات، كما يقول مؤلفا الكتاب، أن الصراع بين المجتمعات الإسلامية والغربية ليس حتميًا، وأنه صراع سياسي أكثر منه صراع مبادئ، وما لم يستمع صناع القرار إلى الناس مباشرة، فسوف يظل المتطرفون من الجانبين يزيدون نفوذهم.

ويتناول الكتاب في الفصل الأول، من خلال استطلاع الرأي، الدور الذي يلعبه الدين في حياة المسلمين، ويخلص إلى أن الدين جزء مهم من الحياة اليومية للمسلم، وأنه جانب أساسي في الحياة لا يستطيع الإنسان أن يحيا بدونه، وعند السؤال عن أشد ما يدعو إلى الإعجاب بالعالم الإسلامي، كانت الاستجابة الأولى عند نسبة مئوية مهمة من السكان، في بلاد شديدة التنوع مثل: تركيا والسعودية وإندونيسيا هي الالتزام الصادق بالإسلام عند الناس.

ويعتبر الكثيرون الدين مؤشرًا أوليًا على الهوية، ومصدرًا للمعنى والإرشاد والعزاء والمجتمع، وعاملًا أساسيًا في تقدمهم، وترغب الأغلبية من الرجال والنساء جميعًا، في كثير من البلاد التي تغلب عليها نسبة المسلمين، أن ترى الشريعة الإسلامية مصدرًا للتشريع.

وتحت عنوان «ديموقراطية أم ثيوقراطية» يتحدث الفصل الثاني عن رؤية المسلمين للديموقراطية الغربية، ويبدأ بالإجابة عن سؤال: لماذا تغيب الديموقراطية عن كثير من بلاد العالم الإسلامي؟ والسبب- كما يرى- في التاريخ والسياسة أكثر من الدين.

لا.. للنموذج الغربي

وعلى الرغم من أن أولئك المشاركين في الاستفتاء يعترفون ويعجبون بجوانب عديدة في الديموقراطية الغربية، فإنهم لا يحبذون تبني النماذج الديموقراطية الغربية بالجملة، وإنما يفضلون نموذجا ديموقراطيا خاصا بهم، ينطلق من الشريعة الإسلامية ولا يعتمد على القيم الغربية، ويقدمون نموذجًا جديدًا للحكومة يكون ديموقراطيا ويحتضن القيم الدينية، وهذا يساعد في تفسير السبب في رغبة الأغلبية في أكثر البلاد الإسلامية في تطبيق الشريعة بوصفها مصدرًا للتشريع.

ولكن ما الذي يستطيع الغرب أن يفعله- من وجهة نظر المشاركين في الاستفتاء- لتحسين العلاقات مع العالم الإسلامي؟ ترى الأغلبية: إبداء المزيد من الاحترام والاهتمام (لا تنقصوا من مكانة البلاد العربية والإسلامية، أظهروا مزيدًا من فهم الإسلام كدين، ولا تحطوا من قدر ما يدعو

كاتب صحفي

إليه الإسلام).

ويناقش الفصل الثالث الظروف التي تصنع الراديكالي (المتطرف) في آرائه السياسية أو الاجتماعية أو الدينية، ويرى المؤلفان أن فهم المتطرفين وطبيعة التطرف يستدعي إدراكًا عالميًا، يمتد وراء الآراء المتعارضة للخبراء حول توصيف المتطرف، فالمتطرف لم يعد هو الأقل تعليمًا والأكثر فقرًا، ولم يعد كذلك هو الذي يعاني من البطالة، ومن دواعي الدهشة- حسب نتائج الاستطلاع- أن الراديكاليين السياسيين أكثر تفاؤلًا على العموم بمستقبلهم الشخصي من المعتدلين، ولكن هل تتعلق التقوى الشخصية بالآراء المتطرفة؟ الإجابة، لا. فلم يذكر مشارك واحد من إندونيسيا، على سبيل المثال، من الذين يؤيدون ويبررون هجمات الحادي عشر من سبتمبر، القرآن من أجل التبرير، وكانت استجابة هؤلاء علمانية دنيوية إلى حد كبير.. وبالتالي فالخلاف الحقيقي بين أولئك الذين يؤيدون الأعمال الإرهابية وبين الآخرين هو حول السياسة لا الدين.

إن المتطرفين سياسيًا أشد إيمانًا بأن السيطرة السياسية والحربية والثقافية الغربية هي تهديد كبير، وعندما سئلوا- في الاستطلاع- عن تحديد أعظم مخاوفهم من مستقبل بلادهم فكثيرًا ما ذكروا تدخل الدول الأخرى في شؤونهم الداخلية وأمنهم القومي والاستعمار والاحتلال وسيطرة الولايات المتحدة الأميركية، ويرون أن المجتمعات الغربية لا تبدي أي اهتمام بتعايش أفضل مع العالم العربي والإسلامي.

ماذا تريد النساء؟

ويناقش الفصل الرابع: ماذا تريد النساء؟ حيث يشير الباحثان إلى أن الصحافة الغربية تصور النساء المسلمات بأنهن ساكتات.. خاضعات.. هابطات إلى النطاق المنزلي، بينما يحتكر الرجال الأدوار الناشطة، وفي استطلاع لصورة المسلمات في الصحافة الأميركية، كانت نسبة ٧٣٪ تصور النساء في ظروف سلبية لكن نتائج معهد «جالوب» أظهرت عكس ذلك تمامًا، فأغلب النساء في كل بلد شارك في الاستفتاء يقلن إنهن يحصلن على نفس الحقوق القانونية مثل الرجال، وأنهن يصوتن في الانتخابات من دون تأثير العائلة، وأنهن يشغلن أعلى المستويات الوظيفية في المجتمع، وبينما تعجب النساء المسلمات بالكثير عن الغرب، فإن الغالبية لا تتطلع إلى زيادة المشابهة مع نظيراتهن في الغرب، وإذا كن يفضلن المساواة بين الجنسين، فالأرجح أنهن يرونها حسب شروطهن، وفي نطاق ثقافتهن الخاصة.

وتؤكد نتائج الاستطلاع أن الرجال الداعمين للحقوق النسائية أكثر تدينًا من أولئك الذين يناصرون الرأي المعارض، والواقع أن أولئك المعارضين للتفسيرات الإسلامية التي تدعو إلى زيادة المساواة بين النساء والرجال، إنما يفعلون ذلك باسم «الحفاظ على الثقافة»، ضد ما يتصور من الهجمة الضارية للتأثير الغربي، الذي يدعو إلى الفساد الأخلاقي.

إن الخلط بين الانفلات والتحرير إنما يقوي هؤلاء الناقدين، ويضعف الراغبين في إحداث تغيير إيجابي للنساء من الداخل.

حقائق وخرافات

أما الفصل الخامس والأخير فيأتي تحت عنوان «صدام أم تعايش»، وهو في تقديري أهم فصول الكتاب، حيث يدعو إلى إحلال الحقائق الدامغة عن العالم الإسلامي محل الخرافات السائدة في أذهان الغرب، وأولها أن «المسلمون هم المتهمون بالإرهاب» فإلقاء اللوم على الإسلام إجابة سهلة، وهي أيسر وأدعى إلى قلة الخلاف، من الفحص الجيد لجوهر الشؤون السياسية والمظالم التي تتردد أصداؤها في الكثير جدًا من بلدان العالم الإسلامي، ومنها خرافة: أن مستقبل أوروبا هو «أوروبا المستعربة» أي أن أوروبا في خطر من الأسلمة والتحول إلى حصن جديد للمسلمين، وهذا يفترض أن الإسلام معاد للقيم الغربية، وأن ازدياد السكان المسلمين في أوروبا سيؤدي في النهاية إلى أغلبية سكانية مسلمة تهدد طبيعة المجتمع الأوروبي، ومنها خرافة: «إنهم يكرهوننا من أجل حريتنا» لأن العكس تمامًا هو الواقع، والاعتقاد الشائع بأن المسلمين ليسوا منفتحين لأفكار الآخرين، ربما نشأ من فكرة أن معاداة السياسة الأميركية تساوي كراهية القيم والثقافة الغربية، ومنها كذلك خرافة: «نحن نشهد صدام الحضارات» لأن الشكوى الرئيسية عبر المجتمعات الإسلامية هي أن الغرب يحط من قدر الإسلام والمسلمين، ويساوي بين الإسلام والإرهاب، والصور الكاريكاتورية لم تكن هجاءً للإرهابيين، لكنها اختارت بدلًا منهم هجاء النبي المبجل (محمد صلى الله عليه وسلم)، الذي يعتبره المسلمون النموذج المثالي للحياة والقيم الإسلامية، وهو ما اعتبر هجومًا مباشرًا على الإسلام، وحطًا من قدر العقيدة.

وفي النهاية نؤكد أن الكتاب موجه في الأساس إلى المجتمع الغربي عمومًا، بهدف توضيح حقيقة الصورة الشائهة التي تكونت لدى الغرب على مدى زمني طويل عن الإسلام والمسلمين.

إعداد: خالد خلاوي

التخيل الإبداعي

كثير من الأعمال العظيمة كانت خيالًا في عقل أصحابها قبل أن تصبح واقعًا ملموسًا في حياة الناس، فإعمال العقل بقصد التفكير والتخيل الإبداعي كان المورد الأول لكثير من الإنجازات التي أفادت البشرية، وما فكرة الطيران إلا تخيل من عباس بن فرناس حوَّله إلى فكرة ثم حاول تطبيقها في أشهر محاولة للطيران عرفتها البشرية.

ويعتبر خبراء التنمية البشرية أن التخيل أقوى من المعرفة؛ ذلك لأن المعرفة تستمد قوامها من الماضي، أما التخيل فيجمع بين المعرفة المتراكمة من الماضي والطموح الذي يجتاز الحدود الزمنية إلى المستقبل، فبذلك تصبح قدرة الإنسان على تخيل شكل النجاح دافعا قويا لإدراك هذا النجاح.

وقد اهتم علماء المسلمين بالتخيل وأطلقوا على الخيال لفظ الخواطر، وأطلقوا على عملية التخيل إعمال الخاطر، وللإمام ابن القيم في ذلك كلام نفيس في كتابه الفوائد يقول رحمه الله: خلق الله سبحانه النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن ولابد لها من شيء تطحنه، فإن وضع فيها حَب طحنته، وإن وضع فيها تراب أو حصى طحنته، فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى، ولا تبقى تلك الرحى معطلة قط، بل لابد لها من شيء يوضع فيها، فمن الناس من تطحن رحاه حبًا يخرج دقيقا ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملًا وحصًى وتبنًا ونحو ذلك، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبيّن له حقيقة طحينه.

ويقول أيضًا: القلب لا يخلو قط من الفكر إما في واجب آخرته ومصالحها، وإما في مصالح دنياه ومعاشه، وإما في الوساوس والأماني الباطلة والمقدرات المفروضة.

وجماع إصلاح ذلك أن تشغل فكرك في باب العلوم والتصورات بمعرفة ما يلزمك من التوحيد وحقوقه، وفي الموت وما بعده إلى دخول الجنة والنار، وفي آفات الأعمال وطرق التحرز منها، وفي باب الإرادات والعزوم أن تشغل نفسك بإرادة ما ينفعك إرادته وطرح إرادة ما يضرك إرادته.

والتخيل الإيجابي طريق للإبداع في شتى مجالات الحياة من علوم وفنون وآداب، وهو أيضًا طريق لتعزيز الثقة بالنفس ودفعها نحو النجاح.

يقول جون كيهو في كتابه قوة العقل في القرن الحادي والعشرين: «يتمثل التخيل في أن ترحل بمخيلتك إلى عالم ترى فيه نفسك في وضع لم تكن فيه من قبل، وأن تتصور نفسك تقوم بالأشياء التي ترغبها، أو تحقق النتائج المنشودة التي ترغبها بنجاح.

ويضرب كيهو مثالًا على قوة التخيل في تعزيز الثقة بالنفس فيقول: إنك ترغب في أن تكون أكثر ثقة بالنفس فلتلجأ إلى التخيل، وتتصور نفسك متمتعًا بالثقة، كما ترى نفسك تقوم بأشياء، وتتحدث إلى أشخاص، وكل ذلك وأنت تتمتع بقدر كبير من الثقة، وتتخيل نفسك في مواقف ومواضع تراها في واقعك عسيرة عليك، ولكنك ترى نفسك في عالم خيالك تقوم بها بسهولة وثقة، وتؤدي فيها أداء حسنًا، وقد تتخيل كذلك أصدقاءك ومحيط أسرتك وهم يلقون إليك عبارات التقدير والتهنئة على ما تتمتع به من ثقة أنت حديث العهد بها، كما تشعر بالرضا تجاه ما تتمتع به من ثقة وما تستمتع به من الأحداث التي تقع لك نتيجة لتلك الثقة، كما تتخيل كل شيء يحدث أو قد يحدث لك وتحياه بذهنك وكأنه واقع تمر به الآن.

وهناك شرطان من أجل التخيل الناجح، هما:

- تخيل هدفك دائما وكأنه واقع يحدث لك الآن، واجعل الأمر واقعًا في ذهنك، واجعله محددًا بأدق تفاصيله، وانخرط في الدور وعشه في ذهنك.
- تخيل هدفك على الأقل مرة في اليوم.. تخيله بوتيرة يومية، فالتكرار قوة.

وإليك طريقة الانطلاق في تخيل ناجح:

- قرر ما ترغب القيام به.. اجتياز الامتحان، الحصول على ترقية، الالتقاء بصديق جديد، ادخار قدر من المال، أن تكون على قدر أكبر من الثقة، أن تفوز في إحدى الألعاب الرياضية، أن تقوم بتأليف أو كتابة عمل إبداعي جديد... الخ.
- عليك أن تقضي بعض الدقائق في حالة استرخاء، حتى يمكنك أن تشعر بالراحة التامة جسديًا وعقليًا.
- اقض من خمس إلى عشر دقائق يوميًا في تخيل الواقع الذي تنشد تحقيقه.

وقبل هذا كله يفضل أن تجدد نيتك لله.. أن يكون ما تريد التفكير فيه وتخيله عملًا نافعًا للمجتمع وأن تتوضأ وتصلي ركعتين وتسأل الله التوفيق.

- وينصح كيهو بضرورة التدرب على نوعين من الخيال وهما التخيل الحر المتدفق والتخيل الدقيق.

في حالة التخيل الحر المتدفق: عليك أن تسمح للأفكار والصور بأن ترد إلى ذهنك، وأن تذهب عنك دون أن تتخيرها متعمدًا ما دامت تعبر عن نتائج إيجابية

لما لديك من أهداف.

وأما في حالة التخيل الدقيق: لابد لك فيه أن تشكل بذهنك الصور الدقيقة والمحددة وكذلك المشاهد التي ترغبها، وتتبع الصورة التي رسمتها بشكل مسبق وتمررها بذهنك أكثر من مرة.

لابد أن تتدرب على هذين النوعين من التخيل، وأن تتذكر أن مفتاح الحل هو الممارسة، ذلك أن معظم الأشخاص يجدون صعوبة في المراحل الأولى للتخيل، ولن تقوم أذهانهم برسم وتخيل المشاهد التي يرغبونها، لكن لا تقلق إن حدث ذلك فليس من الضروري أن تكون الصورة كاملة ومتقنة، فإنك إن التزمت ببرنامج للتخيل له وتيرة منتظمة، فسوف تندهش حين يبدأ عقلك بشكل تدريجي في توليد الأفكار وتصوير المشاهد التي تتخيرها له، فنتائج تخيلاتك تتحقق حين تنطبع الصورة بذهنك مرارًا وتكرارًا لعدد من الأيام أو الأسابيع أو الأشهر إلى أن يتحقق هدفك.

صور من حياة المتميزين

الإمام ابن عقيل الحنبلي

كان الإمام ابن عقيل الحنبلي (٤٣١هـ- ٥١٣هـ- ١٠٤٠-١١١٩م) متميزًا في عطائه العلمي، دائم التفكير والتخيل، مهتمًا بما يرد على خاطره من مسائل نافعة، يقول عن نفسه وعن همته العالية في طلب العلم والتعليم: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عُمري، حتى إذا تعطَّل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملتُ فكري في حال راحتي، وأنا مستطرح، فلا أنهض إلاَّ وقد خطر لي ما أسطره، وإني لأجدُ من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشدَّ مما كنت أجدُه وأنا ابن عشرين سنة.

ويقول أيضًا: أنا أقصرُ بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سفّ الكعك وتحسيه بالماء على الخبزة لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفرًا على مطالعة، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه، وان اجلّ تحصيل عند العقلاء هو الوقت فهو غنيمة تنتهز فيها الفرص، فالتكاليف كثيرة.

ويقول أيضًا: وعصمني الله تعالى في عنفوان شبابي بأنواع من العصمة، وقصر محبتي على العلم وأهله، فما خالطتُ لعَّابًا قط، ولا عاشرتُ إلا أمثالي من طلبة العلم، قال: والغالب على أحداث طائفة أصحاب أحمد العفة، وعلى مشايخهم الزهادة والنظافة.

وقال عنه الإمام الذهبي رحمه الله: أبوالوفاء عليّ بن عقيل بن محمد بن عقيل البغداديُّ الظَّفريّ شيخ الحنابلة وصاحب التصانيف ومؤلِّف كتاب «الفنون» الذي يزيد على أربعمائة مجلّد، كان إمامًا مبرّزًا كثير العلوم خارق الذكاء مكبًّا على الاشتغال والتصنيف.

وقال ابن الجوزي في ترجمته: أفتى ابن عقيل، ودرَّسَ وناظر الفحول، واستفتي في الديوان في زمن القائم، في زمرة الكبار، وجمع علم الفروع والأصول وصنَّف فيها الكتب الكبار، وكان دائم التشاغل بالعلم.

كلمات في التميز

الخيال هو بداية الإبداع، إنك تتخيل ما ترغب فيه، وترغب فيما تتخيله، وأخيرا تصنع ما ترغب فيه.

جورج برنارد شو

- أولا يراودك الفكر، وبعد ذلك تنظيم هذا الفكر إلى أفكار وخطط، وبعد ذلك تحويل هذه الأفكار والخطط إلى واقع، وكما تلاحظ فإن البداية تنبع من خيالك.

نابليون هيل

- الشخص الناجح هو في الأساس شخص يستطيع أن يتخيل ويحول خياله إلى واقع، إنه يستطيع تخيل شيء ما، وعندما يتخيله يفكر كيف بالضبط يجعله يحدث.

روبرت آل شورتز

- خيالنا هو الحد الوحيد لما يمكن أن نأمل في تحقيقه في المستقبل.

تشارلز كترنج

- العقل يستطيع الإجابة عن الأسئلة، ولكن يجب على الخيال توجيهها أولا.

رالف جيرارد

- نفس القدر من الخيال يمكن أن يحقق النجاح أو الفشل وفقا لتوجيهك له.

ليونارد أور

الكشف المبكِّر عن سرطان الجلد

يشير عدد من الدراسات الطبية الحديثة إلى أن سرطان الجلد ينتشر هذه الأيام بمعدل يفوق أي نوع آخر من أنواع السرطان! ولا يتبارى مع معدل انتشار سرطان الجلد إلا انتشار سرطان الرئتين عند النساء، والذي كان مقصورًا إلى عهد قريب على الرجال البالغين! من جهة أخرى، تشير الدراسات نفسها إلى أن الكشف المبكر عن سرطان الجلد يمكن من استئصاله قبل انتشاره إلى أماكن أخرى من الجسم، مما يهيئ الفرصة لعلاج جذري.

د.عبدالرحمن النمر
طبيب مصري

إن من غير المعروف سبب الإصابة بسرطان الجلد، مثله في ذلك مثل معظم أنواع السرطانات! إلا أن هناك بعض العوامل التي يعتقد أنها قد تلعب دورًا في ذلك، تشمل التعرض المستمر لأشعة الشمس، وبالتحديد للأشعة فوق البنفسجية (وهي إحدى مكونات أشعة الشمس) والتعرض للإشعاع الصادر عن العناصر المشعة وللأبخرة الكيميائية.

هناك أنواع عدة من سرطان الجلد، أهمها وأخطرها النوع المعروف باس «الورم القتامي الخبيث» malignant melanoma» وكلمة القتامي، وهي الكلمة الغامضة في الاسم، مشتقة من اسم الصبغ الموجود في الجلد، والذي يعطي البَشَرة لونها عند كل إنسان، هذا الصبغ يسمى «القَتَامين» melanin pigment.

من النادر أن ينشأ الورم القتامي الخبيث قبل سن البلوغ، وفي خمسين في المائة من الحالات ينشأ الورم في علامات «الوحم» التي توجد على جلد بعض الناس منذ الولادة، في مناطق متفرقة من الجسم.. بينما ينشأ في خمسين في المائة من الحالات في جلد سليم تمامًا!

بقع الجلد المصطبغة ليست كلها خبيثة ولكن يجب استئصال علامات الوحم كنوع من الوقاية

عادة يبدأ ظهور الورم على هيئة بقعة داكنة على الجلد، في أي مكان على سطح الجسم، وتكون البقعة صغيرة الحجم غير منتظمة الشكل، إلا أنها تنمو بسرعة، فتكبر ويزداد حجمها، وترتفع عن سطح الجلد مكونة ورمًا صغيرًا، وتسبب البقعة منذ ظهورها التهابًا في الجلد المحيط بها ورغبة في حك (دعك) موضعها، وعادة يكون سطح البقعة (أو الورم عند تكونه) هشًا ضعيفًا، بحيث يسيل الدم بسهولة بمجرد تمرير الأصابع على موضع الورم.

أما في الوقت الذي ينمو فيه الورم القتامي الخبيث على سطح الجلد، فإنه ينتشر إلى أجهزة وأعضاء أخرى في الجسم، وهي عملية انتشار معروفة عن معظم أنواع السرطانات التي تصيب الإنسان، تسمى «الانبثاث» «metastasis» (أي انتشار خلايا السرطان من موضع العلة الأصلي إلى أماكن أخرى في الجسم، إما بواسطة تيار الدم أو بالانتشار مباشرة إلى التراكيب التشريحية المجاورة).

التشخيص المبكر

بالنسبة لضحايا السرطان، يقاس الشفاء من الداء العضال بما يسمى «معدل الحياة لخمس سنوات».

وتعليل ذلك أن معظم ضحايا السرطان يفارقون الحياة في غضون خمس سنوات من وقت تشخيص المرض، وسبب ذلك أن معظم أنواع السرطان تكون قد انتشرت في جسم الضحية وقت

ظهور الأعراض التي تنبه إلى وجود سرطان في الجسم، (من هنا تأتي أهمية الكشف المبكر عن السرطان، سواء في الجلد أو في أي موضع آخر من الجسم).

في دراسات حديثة صادرة عن «سكوتلندا» (في بريطانيا) وعن كندا، هناك إشارة واضحة إلى أن معدل الحياة لخمس سنوات عند المصاب بالورم القتامي الخبيث يتجاوز تسعين في المائة (بالدقة ٩١,٧٢٪) إذا جرى الكشف عن الورم في الجلد قبل أن يزيد سمكه (ثخانته) عن ملّيمتر واحد، وينخفض معدل الحياة لخمس سنوات بصورة حادة، ليصل إلى أربعين في المائة إذا وصل عمق الورم في الجلد إلى ثلاثة ونصف مليمتر!

هذه الزيادة في سمك (ثخانة أو عمق) الورم القتامي الخبيث بمقدار مليمترات قليلة (المليمتر جزء من عشرة من السنتيمتر، أو جزء من ألف من المتر) يمكن أن تحدث في أسابيع قليلة! ومع ذلك.. وعلى الرغم من أن الزيادة تبدو تافهة القياس، فإنها تؤدي إلى فارق ملحوظ في نسبة الشفاء! والسبب- كما أسلفنا- أن الورم القتامي الخبيث ينتشر إلى باقي الجسم في الوقت الذي ينمو فيه على سطح الجلد.

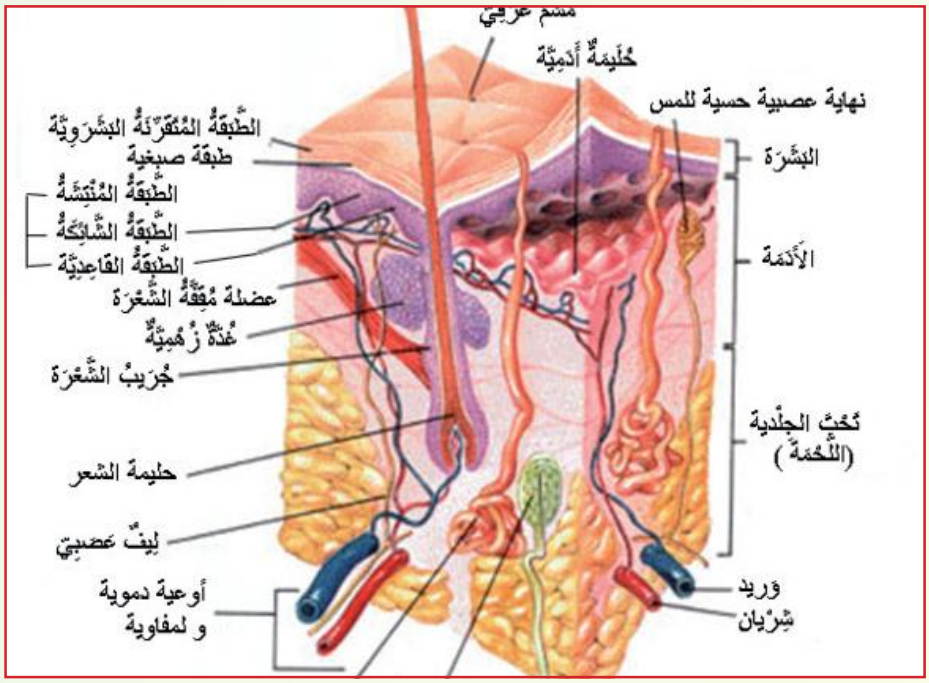

والمليمترات التي نتكلم عنها في هذا السياق لا تؤدي فحسب إلى تغير ملحوظ في نسبة الشفاء، بل إنها تؤدي أيضًا إلى تغير طريقة العلاج كذلك! فعند الكشف المبكر عن الورم القتامي الخبيث يمكن استئصال الجزء المصاب بالورم من الجلد- وهو جد صغير في هذه الحالة- ثم متابعة المريض بفحص شامل مرة واحدة كل عام للاطمئنان إلى عدم وجود بقايا للسرطان في الجسم، أما عند انتشار الورم فالقضية جد مختلفة.. إذ يلزم في هذه الحالة استئصال مساحة أكبر من الجلد، ثم علاج المريض بالعقاقير المضادة للسرطان لشهور عدة، وفي أحسن الأحوال لن يزيد معدل الحياة لخمس سنوات عن ثمانية وثلاثين في المائة حسب نتائج دراسة «سكوتلندا».

إن الهدف من استعراض الدراسات الحديثة عن سرطان الجلد في هذه السطور، هو التنبيه إلى خطورة البقع المصطبغة (التي يختلف لونها عن لون البشرة) على سطح الجلد، فظهور هذه البقع في أي مكان على الجلد، في أي وقت من العمر، يجب أن يكون دافعًا إلى مراجعة طبية متخصصة وعاجلة، والتأخر في المراجعة الطبية له ثمنه الفادح حسبما ظهر من الدراسات المشار إليها.

أما علامات الوحم «birthmarks»، فلا يجب أن تثير الذعر، ولكن يجب ملاحظتها باستمرار لمتابعة أي تغير في اللون أو زيادة في الحجم، فهذه هي النذر الأولى لوجود تحور سرطاني في الخلايا، وحيثما أمكن، فمن الأفضل استئصال علامات الوحم كنوع من الوقاية، وهي في هذه الحالة وقاية مرغوبة وحميدة.

ومن قبيل بعث الطمأنينة بعد الذعر الذي يمكن أن يثيره الكلام السابق، فإننا نذكر أن بقع الجلد المصطبغة ليست كلها خبيثة، لكن يجب أن يفصل في ذلك طبيب متخصص في أمراض الجلد.

الإسلام.. الماضي والحاضر والمستقبل

د. محمود مسعود

كانت الديانة اليهودية محور اهتمام العالم القديم قبل الإسلام، لكن بمجرد ظهور الدين الإسلامي صار المسلمون هم ركيزة واهتمام التاريخ الحضاري والفكري الإنساني إلى اليوم، والغربيون يدركون ذلك تماما، ومن هؤلاء الألماني هانز كنج الذي كتب كتابه «الإسلام.. الماضي والحاضر والمستقبل» وطبعه عام ٢٠٠٧ بعد أحداث الرسوم الدنماركية المسيئة لرسولنا الكريم ﷺ.

والمؤلف عالم من علماء الاجتماع والفلسفة وهو أحد علماء اللاهوت الألمان المرموقين، وفي أوائل الستينيات من القرن الماضي كان له دور فاعل في إقناع الكنيسة الكاثوليكية في تبني موقف أكثر إيجابية تجاه اليهود والحرية الدينية، حيث كان يعمل مستشارا لمجلس الفاتيكان الثاني، وقد حاضر عن الإسلام والمسيحية في جامعة توبنجن، وخلص في محاضراته تلك إلى أنه يستحيل وجود سلام عالمي دون أن يكون هناك سلام ديني، كما أنه ليس هناك سلام بين الأديان دون أن يكون هناك حوار فيما بينها، بل إنه لا يمكن أن يكون هناك حوار بين الأديان دون أن يكون هناك فهم موسع لأصول الديانات، وهذا ما حدا بالمؤلف إلى أن يعد برنامجا علميا لدراسة أديان التوحيد الثلاثة بدأه بكتابه عن اليهودية ثم عن المسيحية وختم موسوعته بهذا الكتاب الذي نحن بصدد عرضه عن الإسلام.

وتكمن أهمية هذا الكتاب والهدف الرئيس منه كما يقول المؤلف في إعادة الدعوة للجمهور، متدينين أو غير متدينين، سياسيين أو غير سياسيين، من الغرب ومن المسلمين للانشغال بالحوار، والتي من خلالها يمكن أن يحدث تقارب وتكامل بين الحضارات والأديان والأمم.

والكتاب يدور في أكثر من ستمائة صفحة وخمسة فصول وواحد وثمانين مبحثا وما يزيد عن أربعمائة فكرة وعنوان، وتدور فصوله الخمسة حول مسألة صورة الإسلام في الغرب وكيف أنها دائرة بين الصورة العدائية والصورة المثالية مرورا بالصورة الحقيقية، ثم مشكلات البداية التاريخية للإسلام وارتباطه بتاريخ الدين منذ خمسة آلاف سنة مرورا بتاريخ إبراهيم واليهود والنصارى في جزيرة العرب وصولا إلى الدين الجديد في الجزيرة العربية، ثم تحدث عن القرآن كملمح رئيس ومميز للإسلام عن غيره من الأديان السماوية، حيث أصبحت كلمة الله- التي كانت تعني عند النصارى ذات المسيح- كتابا يتلى، وهذا الكتاب نزل من السماء ورسالته الرئيسة هي كلمة التوحيد التي تظهر في شعائر الإسلام الأساسية، كما أن رسول الإسلام أصبحت حياته نموذجا حيا في ممارسة و إقامة الأحكام العملية للإسلام، ثم ظهور الخلافات الدينية والتشريعية فيما بعد وفاته، وبدأت المعارضة السياسية.

ثم توسعت الدولة الإسلامية وظهرت الإمبراطورية الإسلامية كدين عالمي من خلال الدولة العباسية، والتي اتضحت فيها المدارس الفقهية والعقدية، ثم تشعبت الدولة الإسلامية إلى دويلات حتى منيت بالهزائم أمام الصليبيين، وتحولت الصوفية من الفردية إلى الزوايا، ومن الزوايا إلى الحركات الشعبية، كما ظهر التفكير العقلي الحر في الفلسفة المشائية ثم انحصر وقفل باب الاجتهاد، خاصة بعد نكبة المسلمين وهزيمتهم من المغول، ثم ظهور مرحلة العثمانيين ومواجهة الحداثة الأوروبية ، ومن هنا بدأ عصر الإصلاح والتجديد وظهرت المنافسة بين النظام العلماني والنظام الإسلامي الأصولي، ولاحت في الأفق مأساة الفلسطينيين وذلك بوجود دولة يهودية على أرض فلسطينية، فكان التجديد الإسلامي هو السمة الغالبة على المسلمين بعد تلك المأساة، فبدأ التفكير الجدي في مستقبل النظام التشريعي والفقهي الإسلامي واتضحت التحديات التي تواجه النظام الإسلامي التقليدي وكيف يواجه مشكلات الحداثة والمرأة و المستقبل السياسي للدول الإسلامية وكذلك مستقبل النظام الاقتصادي الإسلامي، بل مستقبل الإسلام كمشروع حياة.

وسنقف هنا مع أهم فصل كتبه المؤلف تحت عنوان «التجديد».

والمؤلف يعارض في كتابه هذا نظرية صامويل هنتجتون صاحب صراع الحضارات ومستشار وزارة الدفاع الأمريكية، فحينما أرادت المؤسسة العسكرية الأميركية أن تبرر استمرارها في سباق التسلح حاولت أن تجد أيديولوجيا تدعم ذلك التوجه، وذلك باستبدال صورة العدو المسلم بصورة العدو الشيوعي. ويعترف المؤلف أن علاقة الغرب بالمسلمين تمر الآن بمرحلة صعبة للغاية، فالعالم اليوم في حاجة إلى إعادة العلاقات الدولية التي أصابها كثير من العوار بعد تلك المعايير المزدوجة التي تعامل بها الغرب مع المسلمين سواء في العراق أو أفغانستان أو في فلسطين، لهذا فهو يرى أن حوار الأديان بات أمرا ملحا، خاصة بين الغرب المسيحي والإسلام.

وفي المحصلة فقد أصبحنا أمام خيارين

الأول: التنافس بين الأديان وما ينتج عنه من صدام حضارات وحرب بين الدول.

الثاني: حوار بين

أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

الحضارات وسلام بين الأديان كخيار استراتيجي.

والمؤلف يرى أن الخيار الثاني يعد بديلا حقيقيا وليس مجرد وهم كما يظن بعض المتشائمين.

كما أعرب المؤلف عن قناعته بأن الولايات المتحدة ستجد مخرجا من حالة هستيريا الحرب التي تعيشها وستعيد اكتشاف نفسها بوصفها من أوائل الدول الديموقراطية، وقد صدقت نبوءته هذه بعد عامين من طباعة هذا الكتاب، إذ أسقط الأميركيون تيار المحافظين الجدد (الجمهوريين)، وانتخبوا أوباما (الديموقراطي) رئيسا لهم.

والمؤلف لا يغفل عن أن هناك متطرفين يجب ردعهم وردهم حسب زعمه، غير أن هذه المعركة ما كان لها أن تدار في ساحات القتال ولكن في أروقة السياسة، وذلك بتشجيع عمليات الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي من خلال التعاطف مع الإسلاميين الإصلاحيين، ودعم الحركات المعتدلة، ليصبح المسلمون شركاء للغرب في الحاضر والمستقبل، وعلى المسيحيين في الغرب ألا يغفلوا كذلك عن أن هناك ما يزيد على مليار ومائتي مليون شخص يعتنقون الإسلام، فالإسلام يغطي معظم أرجاء المعمورة.

ثم أخذ المؤلف يتساءل: لماذا يعد الإسلام أكبر ديانة بعد المسيحية وهو في نظر أتباعه الديانة الأقدم والأكمل؟ ولماذا كان قادرا أن يوحد شعوبا من حضارات مختلفة؟ وأين تكمن قوة وجاذبية الإسلام؟ وما مصادره وقيمه ورموزه؟ وما هي رسالته وجوهره ومبادئه الأساسية؟ وما هي أسس حياة المسلم السياسية والثقافية والأدبية؟ وما هي نقاط ضعفه وقصوره؟

الغرب سيواجه- حتما- الإسلام الإصلاحي سواء في داخل الدول الإسلامية أو من خلال تعزيز وجوده في البلاد الإفريقية والآسيوية

تنبأ ماركس وفوياريباخ ونيتشه وفرويد بنهاية عصر الدين وإحلال العلم بديلا عنه في كل شيء حتى في مسائل الغيب، ولكن ما كادت هذه النبوءة أن تزدهر، حتى فشلت- كما يقول المؤلف- على أيدي المسلمين، فعلى الرغم من أن الحداثة الغربية شملت معظم جوانب حياتهم، فقد بقي الدين يلعب دورا حيويًا وفاعلا في الحياة العامة، ويعود الفضل في ذلك إلى حركة الإحياء التي قام بها الإصلاحيون المسلمون من خلال تجديد الدين والتمسك بالحداثة والتطور العلمي في الوقت ذاته، والإسلام الآن يمر بتجربة إصلاح حقيقي في كل الأصقاع، في آسيا وإفريقيا.. في باكستان وماليزيا واندونيسيا وتركيا وغيرها، وهذه الظاهرة أدهشت الغرب وأزعجته في الوقت نفسه، حيث كان الغرب راضيا عن حالة الركود الثقافي والسياسي والديني للبلاد الإسلامية بعد عصر الاستعمار.

وتمثلت عناصر الإحياء كما يراها المؤلف في فشل السلطة السياسية حليفة الغرب، وظهور أزمة الهوية بين القومية (عربية فارسية تركية...) والإسلام، وفقدان الثقة في المشاريع التنويرية التي تبناها الغرب في العالم الإسلامي، ومن خلال ذلك ظهرت أصوات تنادي بالعودة للدين الإسلامي كمشروع حياة مقابل المشروع الغربي برمته، لاسيما أن هذا النداء طالما نودي به من قبل المجددين المحافظين ، كما أن هناك المعتدلين من المفكرين المسلمين مثل الأفغاني ومحمد عبده لكنهم لم يسيروا وفق منهج الغرب، بل ساروا من خلال الإسلام كمشروع حياة وظهر من خلال أفكارهم إصلاحيون أكثر تشددا في هذا الاتجاه.

وظلت النزعة الروحية عند المسلمين قوية ومستمرة في التجديد والعطاء أكثر بكثير مما تصور الخبراء الغربيون، الذين ظنوا أنه على المسلمين أن يتخلوا عن الدين كمشروع حياة في عصر الحداثة والتكنولوجيا، فعاد الغرب يتعلم من المجددين المسلمين كيف يمكن أن يحتفظ الدين بدوره في عصر التقدم العلمي والتقني، فأخذوا يحللون هذه الظاهرة من كل جوانبها، خاصة أنهم اكتشفوا من خلال المسلمين أنهم لم يدركوا البعد الديني وأثره في الطبيعة البشرية التي يصعب عليها أن تعيش بدون قيم وأخلاق الدين.

ثم إن الغربيين غفلوا عن أن للإسلام خصائص تجعله قابلا للتجديد دائما، ومن هذه الخصائص فكرة التدافع بين الإسلام وغيره، وعدم فصل الدين عن الدولة، وربط القيم والأخلاق بالمجتمع، ولم يكن هذا الترابط مجرد تراث، بل يمكن أن يستمر في المستقبل رغم ظهور التقدم العلمي وبالتالي فهناك تصالح دائم بين الإسلام والعلم.

ثم إن الغرب سيواجه- حتما- الإسلام الإصلاحي سواء في داخل الدول الإسلامية أو من خلال تعزيز وجوده في البلاد الإفريقية والآسيوية وكذلك مع الأقليات المسلمة في الغرب ذاته، مما جعل بعض الغربيين الذين أسلموا كمراد هوفمان وجارودي يقولون إن الإسلام هو القوة الثالثة في العصر الحديث، فالمجددون المسلمون يدمجون بين الهوية والحداثة، والدين الإسلامي يسلك طريقه الخاص في الاقتصاد والثقافة والعلم من منطلق أن الإسلام يملك القدرة على التطور في جميع مناحي الحياة وبذلك يصبح مشروعا حياتيا وطريقا ثالثا مخالفا للاشتراكية الغربية وللرأسمالية، وهو في ذلك يستند لعصوره الأولى التي تمكن المسلمون فيها من تقديم مشروع إنساني متكامل، تسامى فيه عن النعرات القومية والشعوبية، وصهر الشعوب والمجتمعات التي فتحها في بوتقة واحدة وكون مشروعه الخاص وبطريقته المميزة، وهذا الإسلام قادر اليوم أن يعود من جديد، ليقدم خدمات جليلة للإنسانية.

ثم ينهي المؤلف هذا الفصل بهذا النداء من أحد المصريين المقيمين في ألمانيا: حان الوقت للغرب للقيام بحوار جاد وحقيقي مع هؤلاء الإسلاميين الإصلاحيين لكون هذا هو الطريق الوحيد لتأسيس ديموقراطية في العالم الإسلامي.

دعاء

«اللهم إني أسألك كما هديتني للإسلام ألا تنزعه مني حتى تتوفاني وأنا مسلم، اللهم اجعل في قلبي نورًا وفي سمعي نورًا وفي بصري نورًا، اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري».

وعن عبدالله بن يزيد عن أبيه قال:

«سمع رسول الله ﷺ رجلًا يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال رسول الله ﷺ «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب».

غريب عبدالله مهنا

قبة الصخرة

كثيرًا ما نرى صورة قبة الصخرة في الصحف والمجلات وعلى شاشات التلفزيون، فماذا تعرف عن قبة الصخرة؟ توجد قبة الصخرة في الحرم الشريف ببيت المقدس بجوار المسجد الأقصى، وقد أقيم هذا البناء على صخرة تعد من العجائب، فهي صخرة غير منتظمة الشكل يبلغ أكبر أطوالها (١٨) مترًا من الشمال إلى الجنوب، وعرضها (١٣) مترًا من الشرق إلى الغرب، وأقصى ارتفاع عن أرض البناء متر ونصف المتر، وصدر حجر الصخرة ملبس بالرخام الملون بارتفاع ذراعين، وبآخر حجر الصخرة من الجانب الشمالي الغربي توجد قطعة حجر صغيرة محمولة على ستة أعمدة صغار، قيل إنه أثر قدم النبي ﷺ، وفي مواجهة حجر القدم توجد مرآة من السبعة معادن يسمونها «درقة حمزة» محمولة على ثلاثة أعمدة صغيرة.

وقد روي أن النبي ﷺ قد وضع قدمه عليها عندما عرج به إلى السموات العلا ليلة الإسراء والمعراج، وأن جميع الأنبياء والرسل قد سجدوا لله تبارك وتعالى عندها.

ومن العجيب وجود مغارة تحت هذه الصخرة المقدسة، يقع مدخلها في مواجهة محراب أمام الصخرة، وينزل إلى المغارة بأربع وعشرين درجة، ويبلغ طول المغارة من الشرق إلى الغرب عشرة أذرع، وعرضها سبعة ونصف من القبلة إلى الشمال، وبباطن المغارة محرابان عن اليمين واليسار، وأمام المحراب الأيمن صفة تسمى مقام الخضر، وبالركن الشمالي من المغارة صفة يسمونها مقام إبراهيم وجميع أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام.

وقد جاءت هذه الأوصاف في كتاب «مسالك الأبصار في الممالك والأمصار» لابن فضل الله العمري، وكتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي، لكن من الذي شيد هذا البناء الفخم حول هذه الصخرة المباركة؟

يقول المقدسي: قام بتشييد هذا البناء الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان حيث استشار المسلمين في بنائها، ورصد لها خراج مصر لسبع سنين.

وعهد بادارة العمل إلى اثنين من رجاله المخلصين هما رجاء بن حيوة بن جود الكندي أحد علماء صدر الإسلام، ويزيد بن سلام من مواليه، وهو من القدس.

وقد شرع البناؤون في البناء سنة ٦٦ هـ = ٦٨٥م وفرغوا منه سنة ٧٢ هـ = ٦٩١م ومما ذكره اليعقوبي في كتابه «تاريخ اليعقوبي» أنه قد بقي من المبالغ المخصصة للبناء مائة ألف دينار، فقرر عبدالملك بن مروان أن تكون مكافأة لعماله المخلصين رجاء ويزيد، إلا أنهما رفضاها قائلين: نحن أولى أن نزيدها من حلي نسائنا، فضلًا عن أموالنا، فاصرفها في أحب الأشياء إليك، فأمر عبدالملك بأن تسبك ذهبا وتفرغ على القبة والأبواب.

أما البناء المحيط بالصخرة فيتكون من مثمنين متوازيين يبلغ طول ضلع المثمن الداخلي (١٤,٤٠ مترًا)، أما المثمن الخارجي فيبلغ طول ضلعه (٢٠,٦ مترًا)، وفي وسط المثمنين توجد دائرة تحيط بالصخرة المقدسة يبلغ قطرها (٢٠,٤٤ مترًا)، وتعلوها قبة مستديرة يبلغ ارتفاعها عن سطح الأرض (١٠٥) قدمًا، ومنها أخذ البناء المحيط بالصخرة المقدسة اسمه، ويحصر المثمنان بينهما وبين الدائرة الوسطى رواقين يسمحان بالطواف فيهما حول الصخرة، وقد نقش اسم عبدالملك بن مروان في شريط من الكتابة الكوفية بأعلى المثمن الداخلي التي يبلغ طولها ٢٤٠ مترًا بالفص المذهب على أرضية زرقاء داكنة من الفسيفساء الزجاجية، وقوام الكتابة آيات قرآنية.

وبعد، فهذه نبذة عن هذا المكان المبارك، الموجود بجوار المسجد الأقصى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ (الإسراء: ١)، فمن الواجب علينا أن نضع مقدساتنا نصب أعيننا، وألا تغيب عن أذهاننا، خصوصًا في هذه الآونة الأخيرة، حيث يتربص الصهاينة بهذه الأماكن المقدسة لهدمها، والقضاء عليها، نسأل الله أن ينصرنا على أعدائنا، وأن يحفظ لنا المسجد الأقصى، وقبة الصخرة وأن يحرر أرض فلسطين الغالية، وكل شبر من أرض الإسلام.

د. يحيى سنبل

ثقافة الفساد

منذ عشرين عامًا تقريبًا كان نصيب الفرد المصري من القراءة نصف كتاب في العام، بينما تقول آخر الاحصاءات أن الإنسان العربي لا يقرأ أكثر من ثلاثة أو أربعة صفحات في الشهر الواحد، وقيل إن نصيب الفرد العربي انخفض إلى أقل من صفحة واحدة في الشهر! بينما نصيب الألماني ٨٩ كتابًا في السنة الواحدة، والشعب السويسري هو الشعب القارئ، والغريب أن مبيعات الكتاب في الولايات المتحدة الأميركية بلغت أربعة وعشرين مليار دولار في عام ٢٠٠٠، أما الخطير هو أن سعر كيلو الشحن للكتب من مصر إلى الخارج هو ٣٦٥ قرشا بينما سعر كيلو التصدير للخضار إلى الخارج ١٢٥ قرشًا، علمًا بأن هذا غذاء الجسد وذاك غذاء للروح، أما الذي دفعني للكتابة في هذا الموضوع فهو أنني شاهدت امرأة مصرية تطلب حجز كتاب من إحدى المكتبات المصرية قيمته ١٢٥جنيهًا مصريًا ظننته مرجعا مهما أو مخطوطا قديما من المخطوطات العلمية النادرة، خاصة انه توجد بالمكتبات عشرات الكتب الموجودة على الأرفف منذ سنوات لا تزال قيمتها تتراوح من سبعة جنيهات، حتى عشرين جنيهًا، تتحدث عن التاريخ والفقه والدين والفلسفة، وأمهات الكتب لمشاهير الكتاب والأدباء والعلماء لا يقترب منها أحد، تعجبت وسألت المرأة المصرية قائلًا: هذا الكتاب باهظ الثمن.. هل هو من التراث القديم أو مرجع تاريخي مهم فقالت: إنه كتاب «فن الطهي» للشيف سعيد!

هنا تأكد لي سر انتشار ثقافة الفساد العربي ولماذا لا يقرأ الإنسان العربي أكثر من ستة دقائق في العام مع أن المعايير الدولية نصت على ضرورة وجود مكتبة عامة لكل ستة آلاف نسمة، لم انزعج عندما علمت أن العالم العربي يصرف ٥٪ من الدخل القومي على التعليم، بينما تصرف إسرائيل ٧٪ على البحث العلمي فقط، البحث العلمي وليس التعليم! ولذلك حصلت على المركز الرابع عالميًا في البحث العلمي! بينما ننفق نحن العرب على قوات الأمن والجيوش العربية ٥٠٪ من الدخل القومي! ولذلك انتشر الجهل وثقافة الفساد العربي بعد خنق الديموقراطية في الأمة العربية، قتلوها بنشر الجهل وإنفاق المليارات على قوات الأمن لحماية الأنظمة والمؤسسات الحاكمة وخنق الحريات عند شعوبهم والسماح بنشر الأغاني الهابطة والأفلام الفاسدة، لقد انزعجت عندما سمعت اغنية عن الحمار وحب الحمار، وليس الوطن وحب الوطن والعلم، ومطرب آخر يروج للحشيش في أغنية أخرى لنشر ثقافة الفساد!

علي سليم

الإتقان..غاية ووسيلة

شيء جميل في حد ذاته أن يتقن الإنسان ما يعمله، أن يتقن الصانع صنعته، أن يتقن الطبيب أو المهندس أو الصحافي مهنته، وأن يصل فيها إلى حد الإجادة والتفوق، أن يتقن الطالب تحصيل مواد الدراسة، أن يتقن العابد صلاته وأن يؤديها بخشوع.

والشخص الذي يتقن ما يؤديه يستمتع بما يؤديه ولا يجد فيه مشقة بل يقبل عليه برغبة.

أشياء كثيرة في حياتنا حين يؤديها الإنسان على وجهها يستمتع بها ويجد نفسه فيها.

إن إتقان العمل وسيلة وغاية في آن واحد فالطبيب الذي يتقن مهنته وينبغ فيها يكتسب ثقة الآخرين المترددين عليه ويذيع صيته ويقبل عليه المرضى من كل حدب وصوب من داخل البلاد وربما من خارجها أيضًا. لماذا؟

لأنه أتقن مهنته وتفوق فيها وأبدع، والإتقان كغاية يحقق للشخص إثبات الذات والرضا عن النفس والاستمتاع بما يؤديه، فهو إذن غاية في حد ذاته كما أنه وسيلة لتحقيق ما يريده الإنسان لنفسه في الدنيا والآخرة.

ولذلك قال الرسول ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه» (صححه الألباني).

والإتقان لا يأتي من فراغ، ولكنه يأتي من رغبة أكيدة في التفوق والتمكن والإبداع، مصحوبة بجهد حثيث وعمل متواصل وهو لا يقتصر على مايحققه الشخص في الدنيا سواء من حيث الرضا عن النفس أو الاستمتاع بما يؤديه أو بما يترتب عليه من تحقيق النفع للفرد ذاته وللمجتمع من خلال التميز في المهنة أو الحرفة أو الصنعة وإنما له نفع أكبر وأدوم إن كان التميز والتنافس بين الناس في العبادة والتقرب إلى الله عز وجل، وقد لفتنا ربنا إلى هذه الوجهة في قوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم. على الآرائك ينظرون. تعرف في وجوههم نضرة النعيم. يسقون من رحيق مختوم. ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (المطففين: ٢٢-٢٦).

فالتقرب إلى الله بصالح الأعمال وبالنوافل يحقق لصاحبه ما لا يحقق إلا للسعداء من البشر ويكفي أن الله يحبه.

«... ومازال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه...» (البخاري) فالإتقان يحقق لصاحبه خيري الدنيا والآخرة طالما كان العمل والنية فيما يرضى الله تعالى وبما يحقق للإنسان في الوقت نفسه مستوى كريمًا من العيش.

محمد السيد عامر

إعداد: هالة محمد

أشجار على كوكب المريخ!

أرسل مسبار وكالة الفضاء الأميركية «ناسا» صورا لما يبدو انها أشجار على سطح كوكب المريخ.

وأظهرت الصور صفوفًا من الأشجار الصنوبرية الغامقة النابتة بين الكثبان والتلال الموجودة على سطح الكوكب، وكثبانا رملية مغطاة بطبقة رقيقة من ثاني أكسيد الكربون المجمد، أو جليد جاف، تبعد أقل من ٣٨٦ كلم من القطب الشمالي للكوكب والأشجار، ويقال إنها في الواقع آثار حطام سببته انهيارات أرضية كما يحدث عند ذوبان الجليد على سطح المريخ في الربيع.

تزايد حمضية مياه البحار والمحيطات

أكدت دراسة علمية أن تزايد نسبة حمضية البحار والمحيطات يهدد عددًا من الأحياء المائية بشكل أكبر مما كان يعتقد العلماء حتى الآن، وحسب الدراسة الدولية التي أشرف عليها معهد لايبندتس لعلوم البحار فإن أحياء مائية مثل نجم البحر وقنفذ البحر وشوكيات الجلد أصبحت هي الأخرى تعاني من النتائج السلبية لهذا الارتفاع في نسبة الحمضية.

وأشار الباحثون إلى أن التجارب الأولى التي أجروها في هذا الاتجاه أثبتت تزايد صعوبة تأقلم بعض الأحياء البحرية مع محيطها البحري المعروف ويؤدي هذا الارتفاع في نسبة الحمضية إلى نتائج وخيمة بالنسبة لهذه الأحياء وعلى رأسها شوكيات الجلد التي أصبحت تعاني من صعوبة بناء هياكل قوية من الكالسيوم.

سيارة تعمل بالقهوة!

افادت تقارير اخبارية بأن السعادة غمرت قلوب الناس في مدينة مانشستر البريطانية ابتهاجًا باختراع سيارة جديدة تعمل بالقهوة، واطلق عليها اسم «كارباتشينو» بعد أن أكملت رحلة لمسافة ٢٥٠ ميلا، وهذه السيارة التي تعمل بمسحوق القهوة المستعملة استخدمت ما يعدل أكثر من ١١ الف وحدة من قهوة الاسبرسو لإكمال الرحلة التي استغرقت نحو ١٧ ساعة وامتدت من لندن إلى مانشستر في شمالي انجلترا تم التوقف خلالها كل ٦٠ ميلًا للتزود بوقود القهوة.

قطن ينقل الكهرباء!

نجح علماء أميركيون في تطوير نوع من القطن القادر على نقل الكهرباء تمامًا كما تفعل الأسلاك الكهربائية، ولكنه مع ذلك يبقى خفيفًا ومرنًا بما يكفي لاستخدامه في الملابس، وقال الباحثون في جامعة كورنيل الأميركية إن هذه التكنولوجيا قد تسمح للمرء في يوم ما بارتداء قميص يمكنه أن يكون مصدرًا للتبريد في يوم حار جدا، وأن يحلل نسبة التعرق ويراقب نظام القلب، واضافوا أن الوسادة قد تتمكن من مراقبة موجات الدماغ، فيما يمكن أن يكون الفستان مصدرًا لشحن جهاز الأيبود أو «إم بي ٤» مؤكدين أن هذا ليس خيالًا علميًا وإنما قطن عام ٢٠١٠، واستخدمت تكنولوجيا النانو التي تم تطويرها في جامعة ورنيل بالاشتراك مع جامعات في بولونيا وكاهلياري بإيطاليا لابتكار تقنية تغلف آلياف القطن بجزيئات صغيرة تنقل الكهرباء.

وتمكنت الأبحاث من قبل من نقل الكهرباء عبر القطن لكنه كان يصبح صلبًا وثقيلًا، إلا أن التقنيات الحديثة تسمح باستخدام القطن في مجالات اخرى كالحياكة والخياطة.

اكتشاف كوكب غازي

تحول أحد الكواكب الغازية خارج المجموعة الشمسية على غرار المشتري ذي الحرارة المعتدلة نسبيًا إلى موضوع الدراسة المفضل في الأبحاث الجارية حول الكواكب خارج نظامنا الشمسي بسبب القدرة على مشاهدته بشكل واضح.

في هذا الشأن قال هانس ديغ (معهد كاناریاس للفيزياء الفلكية في تينيريفي - اسبانيا) الواضع الأساسي لهذه الأبحاث التي شارك فيها فريق عمل مؤلف من ستين عالم فلك أن «كوروت- ٩ بي هو أول كوكب خارج المجموعة الشمسية الذي يشبه كواكب من النظام الشمسي».

وكان القمر الصناعي الفرنسي «كوروت» اكتشف هذا الكوكب في عام ٢٠٠٨ على بعد ١٥٠٠ سنة ضوئية (السنة الضوئية = ٩٥٠٠ مليار كيلو متر) عن الأرض، وتستغرق دورة هذا الكوكب وهو بضخامة المريخ لكن اخف وزنًا منه، حول نجمة شبيهة بالشمس ٩٥ يومًا، على ما بينت الدراسة المنشورة في المجلة العلمية «نيتشر».

ويعتبر كوكب «كوروت- ٩ بي» أبعد عن نجمه من العديد من الكواكب الغازية العملاقة الأخرى خارج المجموعة الشمسية المعروفة باسم المشتريات الحارة، مما يفسر اعتدال حرارة سطحه المتراوحة بين ٢٠ و١٦٠ درجة مئوية.

وقد اكتشف أكثر من ٤٠٠ كوكب تدور حول نجوم أخرى شبيهة بالشمس منذ عام

١٩٩٥، بينها ٧٠ كوكبا من طريق الترانزيت أي حين يصادف مرور الكوكب خارج المجموعة الشمسية أمام نجمه، مما يؤدي إلى انخفاض في نسبة الضوء التي تتلقاها المناظير الفضائية أو الأرضية.

ويبقى «كوروت- ٩ بي» خلال مساره المداري عشر مرات ابعد عن نجمه من كواكب اخرى خارج المجموعة الشمسية اكتشفت بهذه الطريقة لذا يدوم مروره أمام نجمه كما نشاهده من الأرض وقتا أطول، في المجمل ثماني ساعات، ورأى علماء الفلك أن هذا الأمر يمنحهم وقتا كي يحللوا الغلاف الجوي للكواكب حين يعبره ضوء النجمة، آملين في رصد المياه والميثان أو ثاني أكسيد الكربون.

الكحول وسرطان الثدي

تشير نتائج دراسة جديدة إلى أن المرأة لا يمكنها أن تغير من تاريخ عائلتها في الإصابة بسرطان الثدي لكن قد يمكنها تقليص فرص إصابتها بالمرض عن طريق تناول المزيد من الخضراوات والحبوب الكاملة.

وأكدت العديد من الدراسات التي شملت ٤٠٠ ألف شخص، أن هناك احتمالات أقل بنسبة ١١٪ للإصابة بسرطان الثدي بين النساء في الفئات الأعلى اتباعًا لنظام غذائي، وأضافت الدراسات التي نشرت في الدورية الأميركية للتغذية الطبية، أن هؤلاء اللائي يستهلكن المشروبات الكحولية يواجهن زيادة أكبر بواقع ٢١٪ في احتمالات الإصابة بسرطان الثدي.

من هنا وهناك

● تشهد الكرة الأرضية قرابة نصف مليون زلزال وهزة أرضية كل عام لكن البشر لا يشعرون سوى بمائة ألف من هذه الهزات، في حين أن مائة زلزال فقط تنتج أضرارًا والباقي تمر بسلام.

وفي حين يحسم بعض العلماء أن الكرة الأرضية أصبحت أكثر نشاطًا من ناحية الزلازل، يرى آخرون أن مثل هذا الرأي يحتاج إلى برهان علمي.

● قد لا يبقى من ثلوج كيليمانجارو الاسطورية سوى ذكرى مما يشكل دليلًا اضافيًا على الاحترار المناخي في العالم، على ما أظهرت قياسات حديثة كشف عنها.

ويعتبر علماء الكتل الجليدية الأميركية الذين أجروا هذه القياسات، أن تسارُع وتيرة ذوبان الكتل الجليدية الجبلية في العالم يشكل دليلًا دامغاً على ارتفاع معدلات الحرارة على سطح الأرض.

● أكدت دراسة بريطانية خطأ التصور الحالي بشأن نشأة الغلاف الجوي للأرض وخطأ الاعتقاد بأن غازات الأرض، نشأت عن براكين كانت قذفت بكميات هائلة من الغازات إلى سطح الأرض وتقدم هذه الدراسة نظرية جديدة مفادها أن المحطات والغلاف الجوي للأرض تكونت بسبب سقوط أجسام ومواد شبيهة بالمذنبات وغنية بالغازات والمياه.

ويبحث علماء وكالة الطاقة الفضائية الأميركية «ناسا» عن نجم الموت الذي يدور حول الشمس ويقذف كوكب الأرض بمذنبات قاتلة.

فتاوى الوعي

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

بناء نوافذ البيوت على هيئة صليب

لاحظت في الآونة الأخيرة أن كثيرًا من البيوت قد وضعت نوافذ على هيئة الصليب وبشكل واضح، وأكثر هؤلاء وضعوها عن حسن نية.. فما حكم ذلك؟

لا يجوز للمسلم أن يبقي في بيته ما اتخذ صليبًا، بل تجب عليه إزالته، أما ما كان على هيئة الصليب ولم يقصد اتخاذه صليبًا فالأولى تغيير هيئته تنزهًا عن مشابهة الصليب، لحديث عائشة- رضي الله عنها- أن النبي ﷺ «لم يكن يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه»، أي قطع موضع التصليب فيه، (رواه البخاري).

كتابة القرآن بغير العربية

هل تجوز كتابة القرآن الكريم بالحرف اللاتيني بدل الحرف العربي أم لا؟

لا يجوز كتابة القرآن الكريم كلّه أو بعض آيات منه بغير اللغة العربية، حتى ولو كان بقصد تيسير قراءته لغير العرب أو للمسلمين الجدد، لما يترتب على ذلك من تحريف للقرآن الكريم وتبديل لبعض حروفه، ولكن تجوز كتابة معاني القرآن الكريم بغير اللغة العربية؛ ليستعان بها على فهم القرآن الكريم.

دفع الضرائب من الفوائد الربوية

يرجى من سيادتكم إفادتنا بشرعية التالي: يوجد لدينا عقارات في بعض الدول الأوروبية ندفع عنها ضرائب سنوية لهذه الدول.. فهل يجوز سداد هذه الضرائب من أموال ربوية ناتجة عن فوائد بنكية؟

لا يجوز إيداع الأموال في البنوك مقابل فائدة ربوية، وبالتالي لا يجوز تسديد الضرائب من هذه الأموال، لأنها خبيثة لا يجوز الانتفاع بها بحال من الأحوال، وإنما تصرف للمصالح العامة، عدا المساجد والمصاحف ولا تحتسب من الزكاة، ولا يقضى بها دين.

شراء أدوات وآلات للجنة خيرية من الفوائد الربوية

تبرع شخص للجنتنا بمبلغ ٢٠٠٠ د.ك، وهي عبارة عن فوائد بنكية، فهل يجوز للجنة التصرف بالمبلغ لشراء مستلزماتها من ثلاجة ومكيف وماكينة تصوير؟ علمًا بأن اللجنة بحاجة ماسة إلى الأموال نظرًا للأعداد الكبيرة من الأسر التي ترعاها بالرغم من حداثة إنشائها.

بما أن هذه الأموال سبيلها الصرف في وجوه الخيرات فلا مانع من شراء الأدوات التي تسهل عمل اللجنة، مع التنبيه إلى أنها ليست زكاة، ولا تجزئ عن الزكاة الواجبة في أصل المال.

التداعي لصلاة النافلة عند النوازل

ترغب لجنة التكافل بمنطقتنا في دعوة الناس إلى صيام يوم لله تعالى، وقيام الليل، وذلك في أحد مساجد المنطقة.

فنرجو الإفادة عن مشروعية هذا العمل وجزاكم الله خيرًا.

لا يشرع التداعي لصلاة نافلة جماعة كقيام الليل جماعة في المسجد، أما إذا كانت الدعوة لبرنامج منوع كتلاوة وذكر ودراسة علم، ثم أعقبه أو تخلله أداء صلاة فردية أو جماعية من غير دعوة إليها، كأن صلى أحدهم متنفلاً واقتدى به الآخرون كلهم أو بعضهم من غير حث على هذه الصلاة النافلة فإنه جائز.

وأما التواصي بصوم النافلة والتداعي لإفطار جماعي أو الحث على التصدق ونحو ذلك فإنه جائز ومشروع ومثاب عليه إن شاء الله.

رهن المنزل مقابل دين ربوي

توفي والدي وترك بيتًا من ضمن التركة، واختلف الورثة على البيت، وعرض هذا على المحكمة لحل هذا النزاع، وكان الحكم يقتضي بيع هذا المنزل وبما أني مع والدتي وأخواتي ونحن بعض الورثة بحاجة لهذا المنزل، حيث إننا نسكن في منزل بالإيجار، ولا نملك قيمة باقي أسهم الورثة، أردنا أن نرهن منزلاً في إحدى الدول العربية لنستفيد من مبلغ الرهن لكن كل البنوك في تلك الدولة ربوية، وشروط الرهن ربوية، فهل يجوز لنا الرهن لاضطرارنا لذلك؟

أجابت اللجنة بما يلي

أخذ الفوائد الربوية أو دفعها حرام شرعًا، لقول الله تعالى: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربو﴾ (البقرة: ٢٧٥)، ولحديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء» (رواه مسلم وغيره)، وعليه فلا يجوز للمستفتي أن يرهن عقاره لدى أي مصرف ربوي مقابل دين ربوي في مثل حال المستفتي، لما تقدم من ثبوت حرمته بالكتاب والسنة، وعلى المستفتي أن يؤمن المبلغ الذي يحتاج إليه من طريق مشروع آخر لبيع البيت المنوي رهنه أو غير ذلك.

والله أعلم.

قرار فقهي لمجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي) بشأن الاعتداءات على المسجد الأقصى

إن مجمع الفقه الإسلامي الدولي يرصد بإدانة وشجب كل ما يتعرض له الشعب الفلسطيني الأبي، وهو يخوض الصراع المرير مع العدو الصهيوني الغاشم المتغطرس الذي لا يأبه باحترام أدنى حقوق الإنسان؛ وخاصة ما جرى في العدوان الأخير على قطاع غزة، وما تم فيه من تشريد وتجويع وفقدان أمن، وحصار وقتل، لا يفرق بين شيخ وطفل وامرأة ومعاق، مع قطع الإمدادات والمؤن الأساسية التي تلبي أدنى الاحتياجات الإنسانية من غذاء ودواء. والمجمع أمام هذه الجرائم البشعة ليدعو دول العالم الإسلامي خاصة، والعالم أجمع أن يقوموا بواجبهم الشرعي الأخوي والإنساني في رفع ما يتعرض له الشعب الفلسطيني من معاناة وإمداده بالأساسيات التي يحتاجها.

كما أن مجمع الفقه الإسلامي الدولي يتوجه إلى كل فصائل الشعب الفلسطيني ومكونات مجتمعه المدني بدعوتهم إلى وحدة الصف وجمع الكلمة على أمر سواء لدرء الأخطار وصيانة الحقوق وإنهاء الاحتلال، بكل السبل الممكنة، كما يناشد المجتمع الدولي إلى ضرورة العمل بحزم وقوة لردع الاحتلال عن ممارساته الغاشمة ووقف الإرهاب الذي يقوم به.

كما يعبر المجمع عن قلقه البالغ وحذره الشديد جراء ما تتعرض له مدينة «القدس الشريف» من عمليات تهويد لمحو هويتها العربية والإسلامية، ومحاولات تهديم المسجد الأقصى المبارك، ومضايقة سكان القدس الأصليين من مسلمين ومسيحيين، ويؤكد على أن مدينة القدس والمسجد الأقصى هما من المقدسات لدى المسلمين في أرجاء العالم، ولأن المسجد الأقصى هو القبلة الأولى للمسلمين، ومسرى الرسول ﷺ ومعراجه إلى السموات العلا. وأن المسجد الأقصى المبارك هو للمسلمين وحدهم، ولا علاقة لليهود به، وإنه يجب الحذر من مخاطر المساس بحرمة هذا المسجد، وتحمل سلطات الاحتلال والدول الداعمة لها مسؤولية أي اعتداء على الأقصى ومدينة القدس الشريف، ولا يجوز أن يخضعا للمفاوضات ولا للتنازلات ولا يملك أحد الإقدام على ذلك.. فهما أسمى وأرفع من ذلك كله.

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

مِنْ دُرَرِ أمير المؤمنين

قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: «مَنْ كثرَ ضحكه قَلَّتْ هيبته، ومَنْ مَزَح استُخِفَّ به، ومن أكثر من شيءٍ عُرِفَ به، ومَنْ كثرَ كلامه كثرَ سقطه، ومَنْ كَثُرَ سَقطه قَل حياؤه، ومَنْ قل حياؤه قل ورعه، ومَنْ قَل ورعه قَل خيره، ومَنْ كثر أكله لم يجد لذكر الله لذّة، ومَنْ كثر نومه لم يجد في عمره بركة، ومَنْ كثر كلامه في النَّاس سقط حقه عند الله، وخرج من الدنيا على غير الاستقامة». (الحلم للحافظ ابن أبي الدنيا)

النَّفس العزيزة

قال الشَّافعي رحمه الله تعالى:

إذا سَبَّني نَذْلٌ تَزايدْتُ رِفْعَةً
وما العَيبُ إلا أَنْ أكونَ مُسابِبُهُ
ولو لم تكن نفسي عَلَيَّ عزيزة
لكنْتُها مِنْ كُلِّ نَذْلٍ تُحَارِبُه
ولو أَنَّني أَسعى لنفعي وجَدتَني
كثيرَ التَّواني للَّذي أنا طالِبُه
ولكنَّني أَسعى لأَنفعَ صاحبي
وعارٌ على الشُّبعانِ إنْ جاعَ صاحبُه

(ديوان الإمام الشَّافعي)

فضل الإسناد

الإسناد خصيصة هذه الأمة التي شرَّفها الله تعالى، وسنَّةٌ بالغةٌ من سنن العلم وآداب المتعلمين.

وفائدة حفظ الإسناد بقاء شريعة محمد ﷺ صافية صحيحة لا تشوبها عوامل الغلط والتصحيف، ولا تعتدي عليها عوادي الزيف والتحريف، فإنَّا لم نشاهد النبي ﷺ ولم تصل إلينا سننه إلا بالوسائط، فلو لم يكن الإسناد أصلاً في نقل الخبر والتوثيق منه لم تبق الشريعة، وقال ابن المبارك: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

ابتسامة

لقي خالد بن صفوان الفرزدقَ فقال: لا مرحبا بهذا الوجه الذي لو رآه صاحبات يوسف لما أكبرنه ولا قطَّعن أيديهنّ، فقال الفرزدق: ولا مرحبا بوجهك هذا الذي لو رأته صاحبة موسى لم تقل لأبيها: يا أبتِ استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين. (الأجوبة المسكتة لابن أبي عون، ت:٣٢٢هـ)

(الوَعظ المطلوب للقاسمي)

الفضائل والرَّذائل

قال ابن حزم رحمه الله: «ليسَ بينَ الفضائل والرَّذائل، ولا بينَ الطَّاعات والمعَاصي إلاَّ نفار النَّفس وأُنسها فقط، فالسعيد مَنْ أَنست نفسه بالفضائل والطَّاعات، ونفرت من الرذائل والمعاصي، والشقيّ مَنْ أَنست نفسه بالرذائل والمعاصي، ونفرت من الفضائل والطَّاعات، وليس هاهنا إلا صنع الله تعالى وحفظه...». (مداواة النُّفوس لابن حزم)

مَنْ أشعَرُ النَّاس

قال عبدالملك بن مروان لجرير: مَنْ أشعر الناس؟ فقال: «ابن العشرين» يعني طرفة، قال: فما رأيك في ابنَي أبي سُلمى - يعني زهيرًا وابنه كعباً، قال: كان شعرهما نيِّرًا. قال: فما تقول في امرئ القيس؟ قال: اتخذ الخبيثُ نَعْلَين، وأُقسمُ بالله لو أدركتُه لرفعتُ ذَلاذِلَه، قال: فما تقول في ذي الرّمة؟ فمدحه، قال: فما تقول في الأخطل؟ فمدحه، قال: فما أبقيت لنفسك شيئًا، قال: بلى والله يا أمير المؤمنين، وإنِّي لمدينةُ الشعر التي منها يخرجُ وإليها يعود، نَسَبْتُ فأَطْرَبْتُ، وهَجوتُ فأَرْدَيْتُ، ومدحتُ فأَسْنَيْتُ، وأَرْمَلْتُ فأَغْزرتُ، ورجزْتُ فأبحرت، فأنا قلتُ ضُرُوبَ الشِّعرِ كلّها، وكلُّ واحدٍ قال نوعاً منها. قال: صدقت!. (قصص العرب ٢/٢٦٨)

عداء الأقارب صعب

عداوة الأقارب صعبة، وربما دامت كحرب بكر وتغلب ابني وائل، وعبس وذبيان ابني بغيض، والأوس والخزرج ابني قيلة، والسبب في هذا أن كل واحد من الأقارب يكره أن يفوقه قريبه، فيقع التحاسد.

فينبغي لمن فضل على أقاربه أن يتواضع لهم، ويرفعهم جهده، ويرفق بهم، لعله يسلم.

قال رجل لرسول الله ﷺ: لي أقارب أصلهم فيقطعوني؟

فقال: «فكأنما تسفهم المل، ولن يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك». (صيد الخاطر لابن الجوزي)

مِنَ الجَفَاء

قال سفيان الثوري رحمه الله: «مِنَ الجَفاء أَنْ يَنْزِلَ العالِمُ في مَحلَّة قوم ولم يَذهبوا إليه ليَتَعلَّموا منه شيئاً مِنَ العلم» ، فإذا كان عدمُ حضورهم عند العالم جفاءً؛ فكيف بِمَنْ ظاهَرَهُ بالعداوة، وأصَرَّ على بغضِه وعدم محبَّته؟!

(القول العلي للسَّفَّاريني)

هَوِّنْ عَلَيْك

قال رجل للإمام الحسن بن يسار البصري: يا أبا سعيد، إنَّ قوماً يحضرون مجلسك، ليسَ بغيتهم الفَائدة، ولا الأَخذ عنك، وإنَّما هَمّهم تَتَبُّع سقط كلامك وتَعَنُّتك في السؤال؛ ليعيبوك بذلك، فتَبَسَّم الحسنُ ثُمَّ قَال: هَوِّن عليك يابنَ أَخي، فإنَّي حَدَّثتُ نفسي بسكنى الجنان فطمعت، وحدَّثت نفسي بمعانقة الحور الحسان فطمعت، وما حدَّثتُ نفسي قطّ بالسَّلامة مِنَ النَّاس، لأَنِّي قد عَلمت أَنَّ خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم، فكيف أُحدِّث نفسي بالسلامة منهم.

(الوَعظ المطلوب للقاسمي)

من دُرَر الإمام مالك

قال الإمام مالك رحمه الله: «اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلَّم الإنسان بكل ما سمع».

وقال لابن وهب: «العلم ينقص ولا يزيد، ولم يزل العلم ينقص بعد الأنبياء والكتب».

أول انتصار للعرب على العجم

«يوم ذي قار» من أعظم أيام العرب وأبلغها في كسر شوكة الفرس، وهو يوم لبَنِي شيبان، وكان كسرى أبرويز ملك الفرس قد غزاهم بجيشه فظفروا به.

قال أبوعبيدة: «يوم ذي قار هو يوم الحِنْو، ويوم قُرَاقِر، ويوم الجِبَايات، ويوم ذات العَجْرَم، ويوم بطحاء ذي قار، وكلهن حول ذي قار»، وذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط.

قال النبي ﷺ عندما سمع بانتصار العرب: «اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا». (مجمع الزوائد)، (الأوائل لأبي الهلال العسكري . معجم الأوائل)

دهاء

بعث ملك الروم إلى معاوية رضي الله عنه بقارورة، فقال: ابعث إلي فيها من كل شيء، فبعث معاوية إلى ابن عباس، فقال ابن عباس رضي الله عنه: لتُملأ له ماءً. فلما وُرِدَ بها على ملك الروم، قال: لله أبوه! ما أدهاه!، فقيل لابن عباس رضي الله عنه: كيف اخترت ذلك؟ فقال: لقول الله عز وجل: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ (الأنبياء: ٣٠). (الكامل في اللغة والأدب للمبرد).(صيد الخاطر)

فضائل أشبه بالرذائل

«ليس شيء من الفضائل أشبه بالرذائل من الاستكثار من الإخوان والأصدقاء، فإنَّ ذلك فضيلة تامة متركبة، لأنَّهم لا يُكْسَبون إلا بالحلم والجود والصبر والوفاء.. إذا أحصيت عيوب الاستكثار منهم، وصعوبة الحال في إرضائهم، والغرر في مشاركتهم، وما يلزمك من الحق لهم عند نكبة تعرض لهم، فإن غدرت بهم أو أسلمتهم، لؤمْتَ وذممت، وإنْ وَفَّيت أضررتَ بنفسك، وربما هلكت، وهذا لا يرضى الفاضل بسواه إذا تشبث في الصداقة، وإذا تفكَّرت في الهم بما يعرض لهم وفيهم من موت أو فراق أو غدر من يغدر منهم، كاد السرور بهم لا يفي بالحزن المُمض من أجلهم».

الإسلام يشق طريقه

مسك الختام

محمد القاضي

إن الاستجابة الكبيرة التي قوبل بها الدين الإسلامي في الرحاب دليل على ما لهذا الدين من محاسن كثيرة وفضائل جمة وآثار جليلة، ولعل من أروع مظاهر الإسلام أنه وضع الأسس والمبادئ العامة التي تمجد المثل العليا والآداب الرفيعة، وتُنظِّم المعاملات بين أفراد الجماعة الإسلامية، وتبني عالماً حراً يقوم على الآراء الناضجة، والحرية الفكرية، والاهتمام بالعلم، وقد حققت الحضارة الإسلامية قصدها من نشر المعرفة بجعلها واجبة، ومحاربة الأمية والعمل على رفع المستويات التعليمية.

رسالة خالدة احتفظت للإنسان بمكانه في الوجود كإنسان وبحظوظه فيه، وأباحت له ما شاء من الحظوظ وما آتاه الله من ملك استخلفه فيه على أساس الإحسان وعدم الفساد، وسوَّى بينه وبين أخيه الإنسان، فلا طبقية ولا عرقية ولا أجناس.

ومهما تعددت أسباب اعتناق المسيحيين أو غيرهم للإسلام في أوروبا وغيرها، فالقاسم المشترك بينهم هو ما في الإسلام من سماحة ويسر وعدالة، وشفاء للنفوس مما لا يكلف المعتنق القليل أو الكثير، فباب الدخول فيه مفتوح على مصراعيه لكل من تاقت نفسه إليه.

لقد وحد الاسلام بين صفوف المسلمين وأحدث بينهم الالتئام الاجتماعي الذي قل أن عرفت مثله البشرية من قبل.

يقول المحامي الإيطالي روزاريو باسكويني الذي كان يرأس تحرير صحيفة إيطالية متواضعة تعرف باسم «رسالة الإسلام» وقد اختار لنفسه اسما إسلاميا: «إن الاتجاه إلى اعتناق الاسلام بين صفوف المسيحيين في إيطاليا آخذ في التوسع يوما بعد يوم، ومثلما يحدث في فرنسا وإنجلترا، فإن عددا متناميا من المسيحيين يلوذون اليوم بالعقيدة الإسلامية طلبا للخلاص الروحي من عبودية الحياة المادية، ومنهم المهندسون والفنانون والمثقفون والطلاب وحتى احدى الراهبات، والبعض أقدموا على هذه الخطوة بعد الزواج من شخص مسلم، بينما اختارها البعض الآخر لأسباب فكرية او دينية صرفة. ولكن أيًا كان الدافع الأصلي فكلهم تقريبا يؤكدون أن القرار النهائي رافقه دائما شعور بالضيق من حياة المجتمع الاستهلاكي الموغل في ماديته ومن فرط الاجهاد، وتوق جارف إلى الآفاق الروحية المفقودة في معظم شرائح المجتمعات الغربية».

وهكذا نرى أن الإسلام يأخذ طريقه في أوروبا وفي غيرها بالطرق السلمية الهادئة وبالحوار والتفاهم، وكأنه نهر ينساب بشكل طبيعي مهما وقفت أمام مياهه السدود والعراقيل، وبعيدا عن أي تزمت أو حركة من الحركات المتشددة أو المتسلطة التي يشهدها عالمنا اليوم.. وصدق الله تعالى في قوله: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النحل: ١٢٥).

كتاب «الأربعين في فضائل آل البيت الطاهرين»

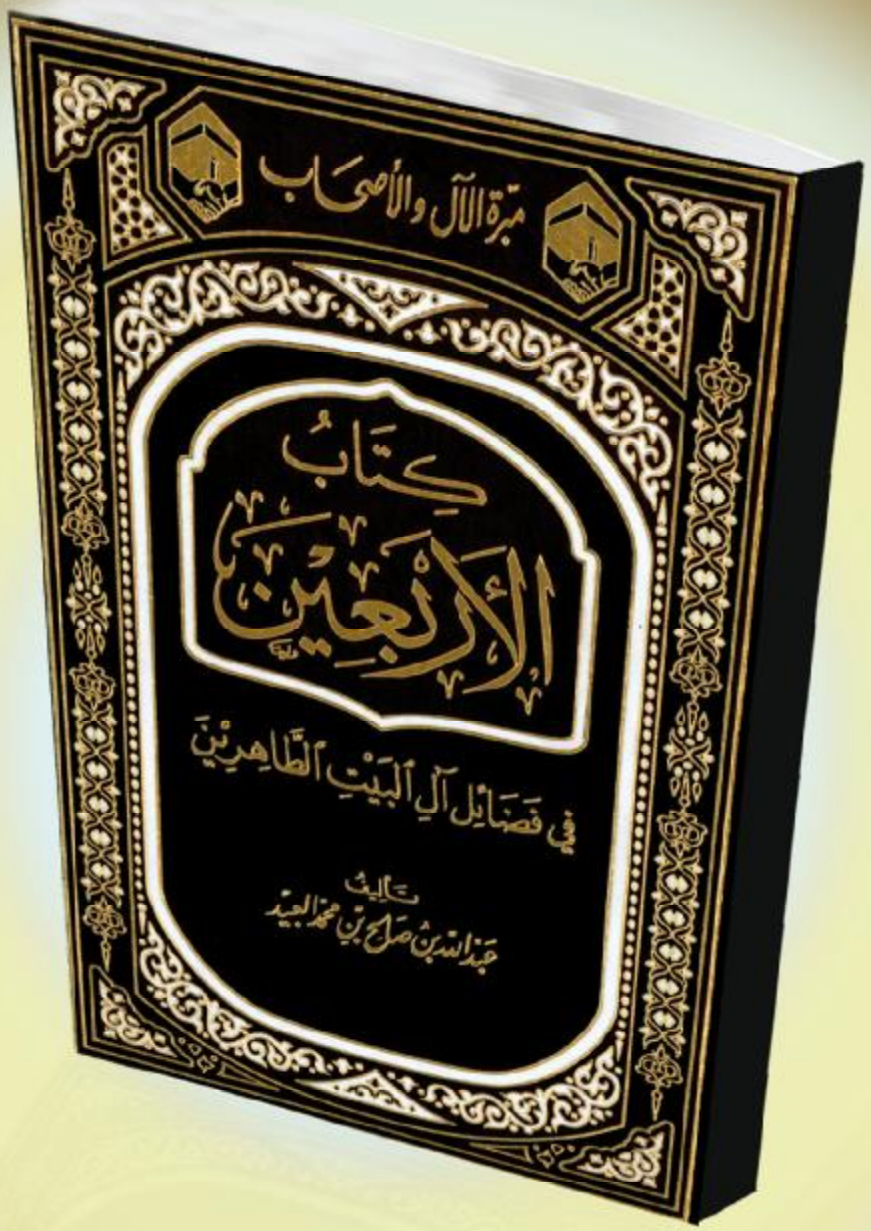

كتاب «الأربعين في فضائل آل البيت الطاهرين» للشيخ عبدالله بن صالح العبيد، حوى أحاديث مُسنَدَة إلى رسول الله ﷺ في فضل آل البيت الطاهرين، رضي الله عنهم أجمعين، وهو من مفاخر مشروع القراءة والسّماع الذي عقدته مبرة الآل والأصحاب بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ترسيخا للمحبة العظيمة التي يُكنّها المسلمون لرسول الله ﷺ ولآله الطيبين المباركين.

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

رحمة للعالمين

نفائس
المشروع القيمي لتعزيز العبادات

الفكرة والإعداد والإشراف العام
صلاح أبا الخيل

برنامج تلفزيوني باللغتين (العربية / الإنجليزية)

إلى كل من تعثر في خطاه .. إلى كل من أشقته الحياة .. إلى كل من يلتمس النجاة ..
تهدي إدارة الإعلام الديني برنامجها التلفزيوني في

" نفائس رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم"

ويتضمن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم باستخدام أحدث التقنيات الإعلامية، داعيةً المولى بأن يكون بهمة في ناموس الأخلاق والقيم، وثروة تتوارثها الأجيال على مر الزمن.

إنتاج إدارة الاعلام الديني بوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
www.nafaess.com
info@nafaess.com